٢

سلسلة رجال من الماضي



عبدُ الكريم قاسِم

رَجُلُ الدَّوْلَةِ البَسِيطُ وَمُؤَسِّسُ الجُمْهورِيَّةِ العِرَاقِيَّةِ

المؤلف
رضا سعد

مقدمة الجزء الثاني

هذا هو الجزء الثاني من سلسلة رجال من الماضي، ونكتب فيه عن رجل أحبَّه الفقراء ووقف إلى جانبهم، رجل كان صادقًا في كلامه، ونزيهًا في عمله ، وبسيطًا في حياته. إنه الزعيم عبد الكريم قاسم قائد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م ، التي غيّرت نظام الحكم في العراق وأعلنت قيام الجمهورية.

كتبت هذا الكتاب بلغة قريبة من الناس، بعيدة عن التعقيد والمصطلحات الصعبة، حتى يفهمه كل من يقرأه، خصوصًا الشباب الذين لم يعرفوا الكثير عن هذا الزعيم، ولم يعيشوا زمنه، بل سمعوا عنه من الآخرين.

لن أقول إن قاسم كان ملاكًا، ولن أصفه بالطاغية. سأذكر ما فعله، وأعرض ما قيل عنه، وأترك للقارئ أن يفكر ويحكم بنفسه . أرجو أن يجد القارئ في هذه الصفحات ما يقرّب له صورة هذا الرجل، وتجعله يعرف جزءًا مهمًا من تاريخ العراق.

تنويه منهجي

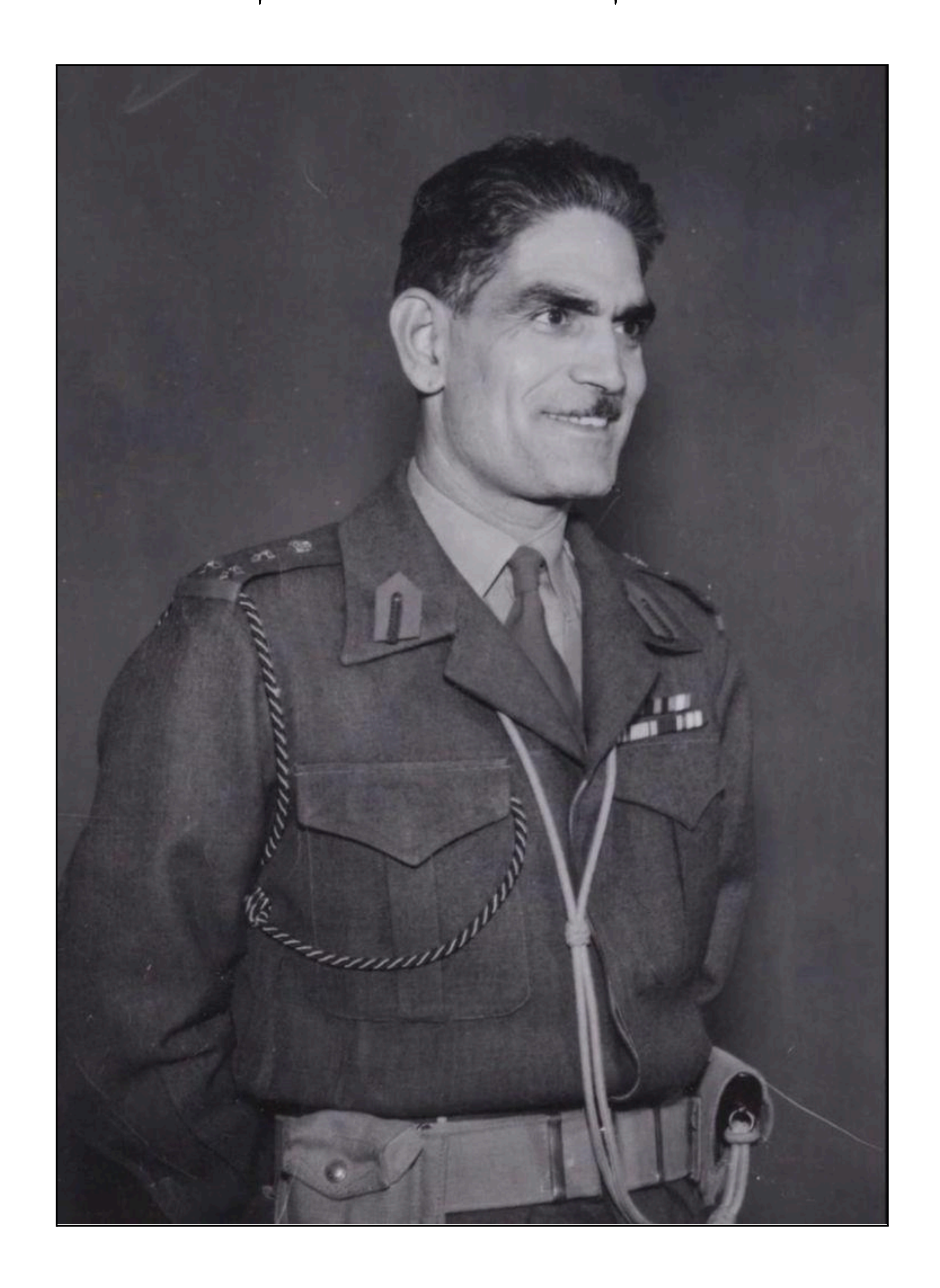
في هذا الكتّاب، التزمت بقاعدة واضحة لا أحيد عنها: "أنا لا أكتب جملة ما لم أجد لها مصدرًا." ولهذا السبب، قد يلاحظ القارئ أن بعض الفصول تبدو جافة أو يغيب عنها الأسلوب القصصي أو التحليل العاطفي، خاصة حين أتناول الوقائع التاريخية الدقيقة، مثل تأسيس تنظيم الضباط الأحرار أو خلفيات ثورة ١٤ تموز.

كما قد يبدو حضور الزعيم عبد الكريم قاسم خافتًا أحيانًا في بعض الفصول الأولى، لكنه في الحقيقة حاضر في الجوهر، لأن كل ما يتعلّق بتنظيم الثورة ومبادئها وإنجازاتها، هو في الأصل جزء من مسيرته ومسؤوليته ودوره القيادي.

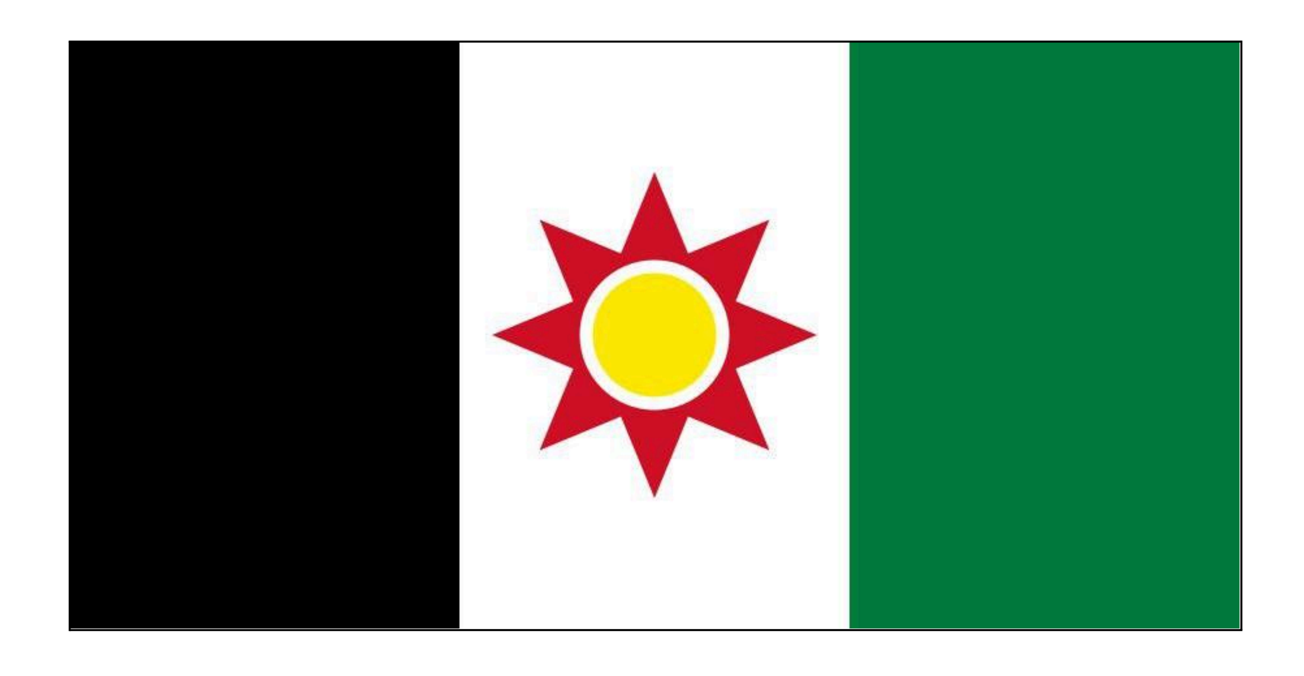
إنني لم أُضِف على قاسم صفات من خيالي، ولم أنسب له مواقف لم أجدها في المصادر، بل قدمته كما رأيته في الوثائق والمراجع، وحرصت أن أترك للقارئ الحكم.

مؤلف السلسلة وباحثها

الزعيم الركن عبد الكريم قاسم



علم الجمهورية القاسمة



الفصل الأول

حياته - نشأته - عائلته - صفاته

إن سيرة الزعيم عبد الكريم قاسم تُعد من السير التي تحمل أهمية خاصة في تاريخ العراق الحديث، بل ويمكن القول إنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتاريخ الحركة الوطنية العراقية، وما مرّت به من تحولات كبرى في القرن العشرين. لقد كانت حياة هذا الرجل مليئة بالمواقف التي تستحق التوثيق والتأمل، لا لكونه تولّى حكم العراق في مرحلة حساسة فقط، بل لأنه أصبح رمزًا لشخصية القائد الذي ظل الشعب يؤمن به، ويتمسك بأفكاره، ويجد فيه الأمل بإرادة الحياة الكريمة والعدالة الاجتماعية. وعندما نقرأ ما كُتب عن الزعيم، نجد شهادات كثيرة، من معاصريه ومن الباحثين بعده، تؤكد أن شخصيته كانت ذات

تأثير كبير في محيطها، وأنه ترك بصمة لا يمكن تجاهلها في تاريخ العراق الحديث. ولهذا السبب جاء هذا الكتاب، لا بهدف تمجيده أو مهاجمته، بل لرغبة صادقة في دراسة شخصيته بموضوعية، وبأسلوب بسيط يفهمه القارئ العادي، لأنه من حق كل الناس أن يتعرفوا على من قاد بلدهم في وقت مصيري.

لقد كان الزعيم عبد الكريم قاسم إنسانًا بسيطًا في مظهره، لكنه كان عظيمًا في مواقفه. عرفه الناس قائداً شجاعاً، يواجه التحديات دون خوف، ويتخذ قراراته بناءً على ما يراه صحيحًا، لا ما يفرضه عليه الآخرون.

م يكن عبد الكريم ممن يبحثون عن المجد الشخصي أو الثروة أو المناصب، بل كان رجلاً من عامة الناس، خرج من بيئة متواضعة، وفهم معاناة الفقراء، لذلك نراه دائمًا قريباً منهم، يتحدث بلغتهم، ويقف إلى جانبهم. لم تغره السلطة، ولم تجذبه الأضواء، وكان يستطيع أن يعيش حياة مريحة لو أراد، لكنه اختار طريق المسؤولية، وتحمل في سبيل ذلك الكثير من الأعباء. لم يكن الحكم في عهده سهلاً، بل واجه خلال فترة حكمه تحديات داخلية وخارجية عديدة، ومع ذلك، ظل صوته عاليًا، ينادي بالحق، ويدعو إلى الوحدة الوطنية، ويرفض الاستعمار وكل أشكاله. ومن هنا، لا غرابة أن يظل اسمه حاضرًا في ذاكرة العراقيين،

وأن يُذكر بكل احترام في كتب التاريخ، فهو من القلائل الذين لم يساوموا على كرامة وطنهم ، ولم يخضعوا لضغوط القوى الكبرى. وقد أغنى عبد الكريم قاسم بتجربته الغنية والمليئة بالتناقضات سيرة الزعامة الشعبية في العراق. فربما لم يتحّمل زعيم عراقي قبله مثل هذا القدر الكبير من المسؤوليات والتحديات، ومع ذلك واجهها بصبر ورباطة جأش. لم يكن معصومًا عن الخطأ، لكنه كان دائمًا يضع مصلحة العراق أولاً، ويسعى بجدٍّ لبناء دولة عادلة، يكون فيها لكل فرد حقه، دون تمييز. لقد قضيت سنوات طويلة في دراسة حياة الزعيم عبد الكريم قاسم، وراجعت فيها العديد من الكتب والمصادر والشهادات،

وخرجت منها بقناعة أن من يتحدث في الشؤون السياسية، يجب أن يتحلى بالصراحة والوضوح، وأن يواجه الحقائق مهما كانت مؤلمة أو غير مرغوبة. ولهذا السبب كتبت هذا الكتاب، بكل حيادية وتجرد، بعيدًا عن المبالغة أو النية السيئة.

* * *

﴿ ولادته ﴾

ولد الزعيم عبد الكريم قاسم في بغداد يوم ٢١ كانون الأول سنة ١٩١٤ من اسرة عراقية ومن ابوين عراقيين في محلة المهدية في جانب الرصافة من بغداد . وهو زبيدي النسب ، ثم انتقلت عائلته الى كرادة مريم (ناحية العباسية في بغداد) [١] .

﴿ نسبه ﴾

كانت عشيرة زبيد من احلاف آل ربيعة [٢] الطائيين، والعشائر الزبيدية من عشائر العراق المعروفة بكثرتها ومكانتها هي من العشائر القحطانية وردت الى العراق وبلاد الشام في أوائل الفتح الإسلامي ولا تزال

بعض أصولها وتفرعاتها في جزيرة العرب ، و عشيرة الزبيد من احلاف آل ربيعة ولكن حدثت بعد ذلك جفوة بينهما ونزاع بسبب حب السيطرة على البادية ومراعيها ولقد ذكر لنا المقريزي في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) في حوادث سنة ٦٥٩ هـ ان قبيلة زبيد كثر وزاد سلوكها ضد جماعة من البادية فأرسل سلطان مصر عسكراً بمعينة قبيلة طي فوقعوا بعرب زبيد وقتلوا منهم جماعة وعادوا غانمين [٣] .

وفي سنة ٧٣٧ هـ قطعت زبيد الطرقات وخرجت عن طاعة آل مهنا فغضب. فغضب السلطان لذلك وجرد آل مهنا وآل فضل من قطاعاتهم بسبب عدم منع زبيد من الخروج عن طاعة السلطان، وروى لنا

ابن الفرات في تاريخه مجلد ٩ (ج٢) أنه في ذي القعدة سنة ٧٩٦ هـ جاءت الأخبار بأن الأمير عامر بن طاهر - امير ربيعة الطائية يحثوه عرب زبيد هو ومن معه، وكان معه جماعة من امراء ال مهنا وغيرهم من العربان الى عند الفرات فارموا بأنفسهم في الفرات فغرق، وغرق معه سبعة عشر اميراً من عربان آل مهنا بعد أن قتل منهم خلق كثير [٤].

***

﴿ نشأته ودراسته ﴾

نشأ الزعيم عبد الكريم قاسم نشأة خشنة وعاش عيشة كلها حركة ونشاط

وانكباب على الدراسة وتحصيل العلوم ففي السابعة من عمره كان والده

قد انتقل به مع سائر أفراد اسرته الى بلدة الصويرة فأدخل ولده عبد

الكريم مدرستها الابتدائية حيث درس فيها لمدة أربعة سنوات [٥] . وفي

سنة ١٩٢٦ عاد هو وأهله الى بغداد عدا عمه الرئيس (النقيب

)المتقاعد علي محمد الذي كان أحد ضباط حكومة الدولة العثمانية

واتخذوا مسكنهم في محلة قنبر علي وواصل المترجم له دراسته في

مدرسة الرصافة الابتدائية وتخرج منها في نهاية سنة ١٩٢٧ الدراسية ثم

دخل مدرسة الثانوية المركزية ونجح باستمرار حتى السنة الرابعة .و

في أثناء الامتحان النهائي ألم به مرض اضطره الدخول الى المستشفى

ففاتت عليه فرصة الامتحان المذكور . ولما شفى من مرضه امتحن مع المكملين ونجح في جميع الدروس بتفوق ثم حاز شهادة الإعدادية الفرع الأدبي [٦] .

وفي هذا الصدد يذكر طالب مشتاق عن عبد الكريم قاسم: « إنه تلميذ قديم من تلامذتي في المدرسة الثانوية المركزية في بغداد سنة ١٩٢٧ م ، إنه تلميذ هاديء يبتعد عن مخالطة زمائله ويقضي فترة نفسه في زاوية منعزلة، مظهرة يعلن عن فقر الحال فقدان المال، عابس الوجه، ضعيف البنية، يتجنب الاجتماع مع رفاقه وبالناس أجمع » [٧] . وسعى بعد حصوله على شهادة الدراسة الاعدادية الى التعيين في وزارة التـربية

فعين معلما في مدرسة الشامية الابتدائية في قضاء الشامية لواء الديوانية

في جنوب العراق ، وقضى في التدريس سنة واحدة ١٩٣١ - ١٩٣٢

.

ويبدو أن مهمة التدريس لم ترق له فقد ذكر السيد هديب الحاج حمود

الذي كان تلميذا في الصف السادس في المدرسة المذكورة أن : « عبد

الكريم قاسم كان معلما ناجحا في درس اللغة الانكليزية وكان منعزلا

عن زملائه وعن سكان القضاء ، فلم يقم أية علاقات صداقة مع أي

شخص في قضاء الشامية بالرغم من أن زملاءه المعلمين كانوا يترددون

على مجالس الضيافة في القضاء » [٨] .

﴿ والده ﴾

وهو قاسم محمد بكر الزبيدي ، اتخذ التجارة مهنة له وكان يعمل شريكاً مع والد مصطفى علي الذي أصبح وزيراً للعدل في حكومة ثورة ١٤ تموز وقد ذكره محمد حديد وزير المالية في حكومة الزعيم عبد الكريم [٩].

توفي والده قبل ثورة ١٤ تموز ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في بغداد [١٠].

* * *

﴿ والدته ﴾

اسمها كيفية بنت حسن اليعقوب الساكني، يرجع نسبها الى عشيرة

تميم العدنانية، كانت امرأة ممشوقة القامة باسقة مستديرة الوجه يميل لونها إلى الحمرة مع البياض الشديد، تلف رأسها بفوطة بيضاء، توفيت قبل ثورة ١٤ تموز و دفن حسب وصيتها في وادي السلام في النجف الأشرف.

له شقيقان :

اولاً: حامد: وهو الأخ الأكبر، وكان من تجار بغداد وقد اشتغل مع هادي لجلبي أبو أحمد الجلبي ، ورشدي الجلبي، وكان وكيلهم، واشتغل مع الخضيري أحد تجار بغداد، وكان حامد يملك عدد من الدواب على نهر دجلة نقل بين بغداد والبصرة قبل ثورة ١٤ تموز وكان يعمل شريكاً

مع والد مصطفى علي الذي أصبح وزيراً للعدل في حكومة ١٤ تموز.

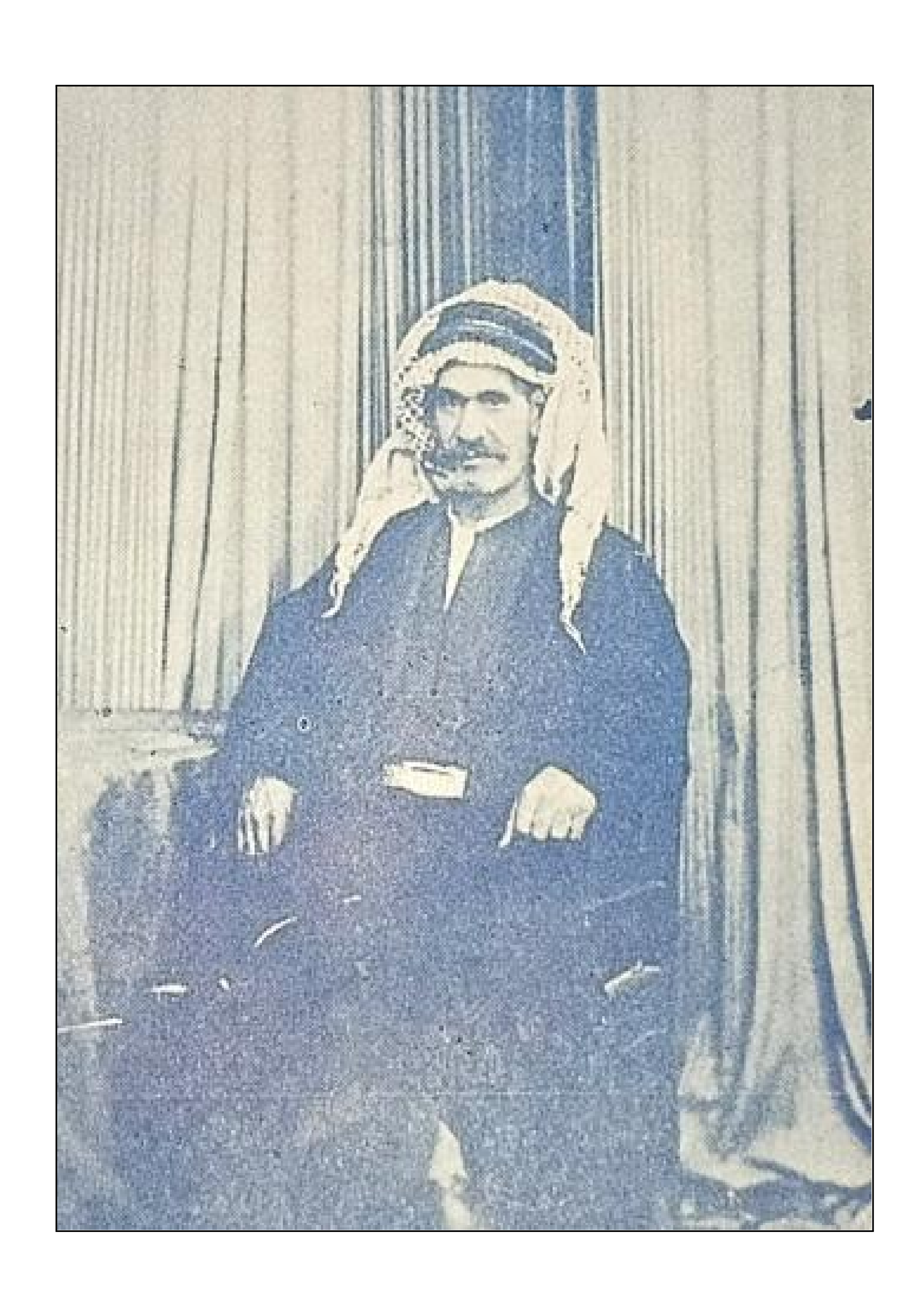
ثانياً: عبد اللطيف وهو الأخ الوسط لعبد الكريم قاسم شقيق الزعيم كان

نائب ضابط في الجيش في الحكم الملكي وبقي كذلك بعد ثورة ١٤ تموز

حتى توفي وهو متزوج وليس له أولاد ولا بنات

***

والد الزعيم عبد الكريم قاسم المرحوم قاسم محمد بكر



﴿ التحاقه بالكلية العسكرية ﴾

في منتصف عام ١٩٣٢ وعندما أعلن عن حاجة الجيش العراقي إلى ضباط جدد وفتح القبول في الكلية العسكرية ، استشار عبد الكريم قاسم صديقه وصديق العائلة المقرب السيد مصطفى علي حول الالتحاق بالكلية العسكرية فأثناه عن عزمه ونصحه بمهنة التدريس لأنها أفضل له من مهنة الجيش ، غير أن عبد الكريم دخل الكلية العسكرية بعد نصيحة قريبه الزعيم عبد الجبار جواد وكان ذلك في ١٥ أيلول ١٩٣٢ وتخرج منها برتبة ملازم ثان في ١٥ نيسان ١٩٣٤[١١] .

وفي ٩ تموز ١٩٣٨ دخل دورة الرمي وقيادة الحضيرة .

وفي ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٠ دخل كلية الأركان وتخرج منها بتاريخ ١١ كانون الأول سنة ١٩٤١ بدرجة - آ - ودخل دورة الحروب الجبلية للضباط الأقدمين الأولى . اشترك بامتحان اللغة الانكليزية وحاز على الجائزة المخصصة للناجحين في هذا الامتحان . وبتاريخ ٤ تشرين الأول ١٩٥٠ لغاية ٢٢ كانون الأول سنة ١٩٥٠ اشترك بدورة الضباط الأقدمين في انكلترا [١٢] .

* * *

الزعيم عبد الكريم قاسم مع أحد تلاميذه الرياضيين



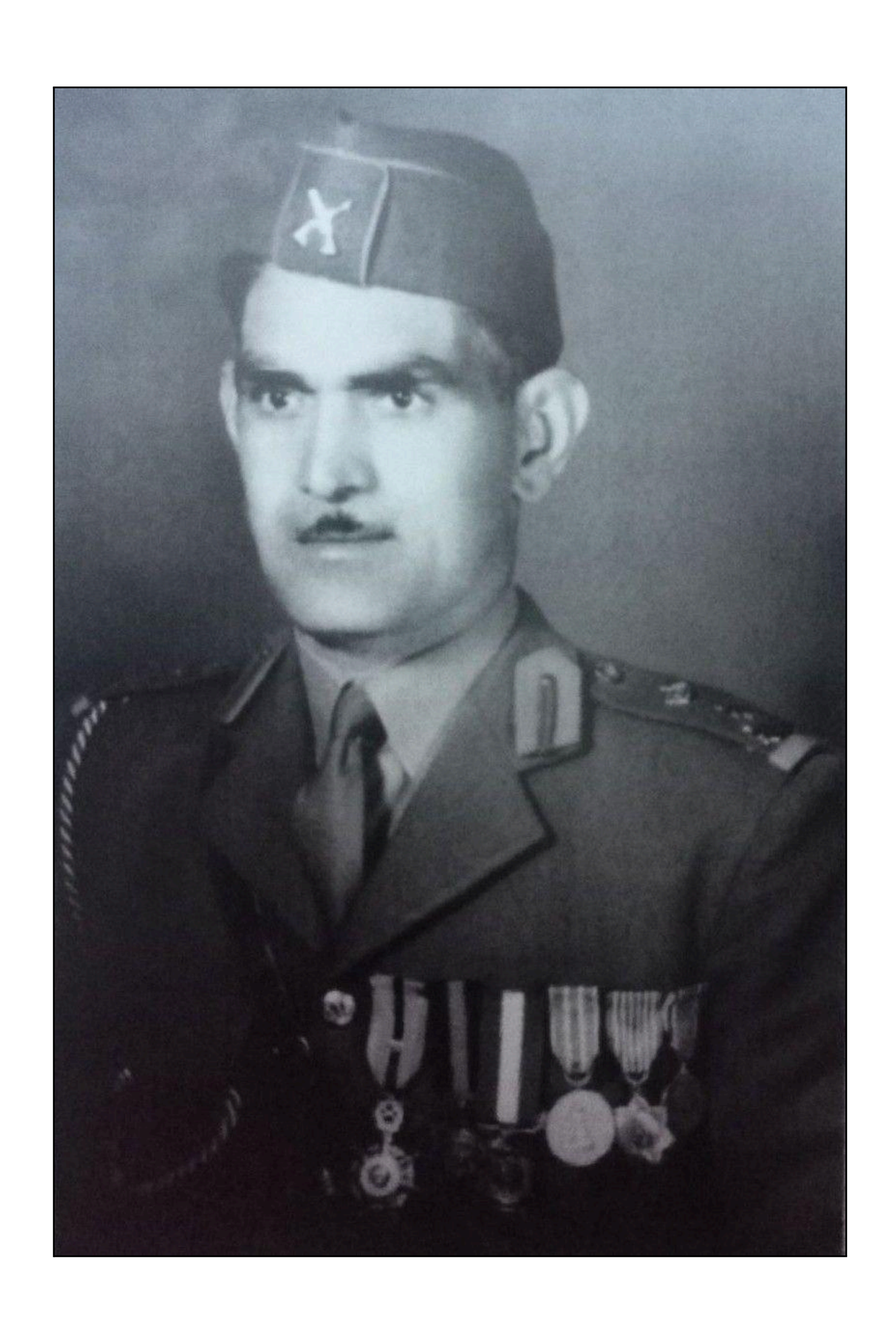
﴿ أوسمته ﴾

حصل الزعيم عبد الكريم قاسم أثناء خدمته على عدة أوسمة ، ففي ١٣ آب ١٩٣٥ منح نوط الخدمة الفعلية لاشتراكه في حركات الفرات الأولى . وفي ١ تشرين الثاني عام ١٩٤٥ منح نوط الشجاعة لاشتراكه في العمليات الفعلية في منطقة الزيبار المجاورة [١٣] . كما حصل على شكر قائد القوات العراقية في الأردن أثناء الهجوم على مواقع الصهاينة على رأس التل في ١٣ حزيران ١٩٤٨ ، وحصل على شكر من نفس القائد بعد ان قام بصد هجوم الصهاينة واسترجع فيه المواضع وغنم بعض الأسلحة ، كما منح نوط الحرب والنصر في ٩ عام ١٩٥١ ، ومنح

وسام الرافدين من الدرجة الرابعة للجيش ومن النوع العسكري في ٣٠ نيسان ١٩٥٣ ، كما منح وسام الإنقاذ عام ١٩٥٤ . ٢٩ نيسان ١٩٥٧ منح نوط الشرطة للخدمة الممتازة [١٩] .

الزعيم عبد الكريم قاسم بعد ترقيته الى رتبة (زعيم ركن) بتاريخ الثاني

من آيار لسنة ١٩٥٥ ويظهر في الصورة مرتدياً كامل انواطه



﴿ حركاته الفعلية ﴾ (٢٠)

اشترك الزعيم عبد الكريم قاسم بحركات الفرات الأولى من يوم ١١ مايس ١٩٣٥ الى ٢٩ تموز من السنة نفسها وكان منتسبا آنذاك الى الفوج الثالث .

وبتاريخ ٣ أيلول ١٩٤٥ اشترك في حركات برزان الثالثة لغاية ٢٠ تشرين الأول من السنة ذاتها وكان بمنصب مقدم لواء المشاة الثالث واشترك في حركات حرب فلسطين من ٥ مايس ١٩٤٨ الى ١١ حزيران ١٩٤٩ . وكان في حركات مركز لواء بغداد في زمرة التدريب بمديرية الحـــركات العسكرية من يوم ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ الى ١٩

كانون الأول من السنة المذكورة .

واشترك بمنصب معاون مدير الادارة للقوات العراقية الموفدة الشرق الأردن ثم اسندت اليه قيادة الفوج الأول لواء الأول والفوج الثاني لواء الأول . وكان في جميع هذه الحركات مثال القائد الكريم كما يقول جنوده .

***

﴿أوصافه﴾ (٢١)

لقد وهب الله الزعيم عبد الكريم قامة رشيقة مديدة وصدراً رحباً واسعا

و منكبين عريضين وجسما قويا ويدين حديديتين وجبهة واسعة هلالية

وعينين براقتين ، وله صوت ذو نبرات لطيفة ولكنه اذا تكلم خرج

كلامه من أعماق قلبه بكل طلاقة ، ويجيب على اسئلة الصحفيين

المحرجة مهما كان لونها بكل مهارة ولباقة ويناقش السياسيين على

اختلاف ميولهم واتجاهاتهم كسياسي بارع ويدخل في المواضيع

الاجتماعية كاجتماعي كبير كما يدخل في مناقشات مع الاقتصاديين

فيتفوق عليهم كاقتصادي خبير وهو إذا خطب ارتجل خطبة ارتجالا

ويتدفق فيه كالسيل وهو لا يميل الى الكلام الكثير ومع ذلك ففي

امكانه أن يتكلم أو يخطب لعدة ساعات .

وقد عرف الزعيم عبد الكريم ببعد النظر والأناة فهو لا يعطي رأيا إلا بعد الاستماع إلى آراء الغير . والزعيم عبد الكريم كتوماً للأسرار متيقظا شديد الحذر خبيرا بأحوال الناس وزانة للأمور قوي الذاكرة يطالع الكتب فيعيها وتبقى عالقة بذاكرته وهو يعتز بمجموعة كبيرة من الكتب القيمة .

* * *

﴿ طعامه وشرابه وملبسه ﴾ (٢٢)

كان طعام الزعيم عبد الكريم قاسم بسيطًا ومحدودًا، يكاد يقتصر على الفواكه والخضروات والسوائل، مع استبعاده الكامل لأي نوع من

المسكرات. وكان يفضل "بيض الغنم" المشوي، ولا يأكل الرز ولا اللحوم غير المشوية، وإن أكل منها فلا يشبع، ويشرب الشاي بقلة. وقد أُلحِق بمقره في وزارة الدفاع مطبخ أمريكي حديث يديره طباخ ماهر، متواجد طيلة الوقت لتلبية رغباته وتحضير أكلاته المفضلة، رغم أن الطعام كان غالبًا ما يأتيه من منزل شقيقه حامد.

ويذكر المقربون منه، مثل المقدم الركن جاسم العزاوي، أنه لم يكن يهتم كثيرًا بما يأكل، ولم يكن يدخن أو يشرب الخمر (٢٣)، بل عاش حياة زاهدة ومتحفظة، حتى في عاداته الغذائية. أما عن أوقاته في تناول الطعام، فيروي الصحفي محمد أمين دوغان ثناء دعوته للطعام :

« يبدو أنك متفق مع عبد الناصر في مواعيد الأكل، فكلاكما يتناول غذاءه في الخامسة بعد الظهر وعشاءه في منتصف الليل » ، فرد قاسم مبتسمًا: « أما أنا، فهذا هو غذائي وعشائي في وقت واحد » ، في إشارة إلى بساطته في الطعام وتواضعه في العادات. وفي مظهره، كان عبد الكريم قاسم شديد العناية بملابسه، وخصوصًا الزي العسكري، فلكل موسم لديه أكثر من زي، وكان ميّالًا إلى الأناقة وحسن الهندام. يهتم بالنظافة اهتمامًا بالغًا، حتى إن الماء كان من مستلزماته الدائمة. وكان من اطباعه الخاصة أنه لا يقبّل أحدًا ولا يسمح لأحد بأن يقبّله.

* * *

﴿ زواجه ﴾

غالبًا ما يستغل رؤساء الدول وقادتها مناصبهم ومكانتهم لتحقيق مصالحهم الشخصية، وأول ما يسعون إليه هو تكوين أسرة، مثل بقية الناس. بل إن الكثير منهم يتجاوز ذلك، فيسعى لتحقيق رغبات غير مشروعة، تمتد أحيانًا إلى الاستيلاء على المال العام والخاص، بدعم من المحيطين بهم الذين يستفيدون بدورهم من سلطتهم ونفوذهم.لكن هذا لم يكن حال الزعيم عبد الكريم قاسم.

فعلى الرغم من تمتّعه بكل صفات الرجولة والاحترام والهيبة التي تجعل أي امرأة تتمنى الارتباط به، بالإضافة إلى منصبه الكبير كرئيس

للوزراء ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة، لم يكن يشغل باله شيء سوى العراق وشعبه. لقد جعل مصلحة الوطن فوق كل اعتبار، وترك شؤونه الشخصية جانبًا، مقدمًا مصلحة العراقيين على مصلحته الخاصة [٢٤].

ومن الأمور التي أهملها الزعيم تمامًا هي مسألة الزواج. وقد تحدث المؤرخ الدكتور هادي عليوي عن هذا الجانب في أحد كتبه، فنقل عن المقدم جاسم كاظم العزاوي، مرافق الزعيم بعد الثورة، قوله إن حياة عبد الكريم قاسم خلت تمامًا من أي سلوك أخلاقي سيئ، وإنه قبل الثورة كانت له صديقة واحدة، لكنه لم يلتقِ بها بعد الثورة أبدًا [٢٥].

كما يروي حسن العلوي الذي كان جارًا لعائلة الزعيم قبل الثورة، أن والدة عبد الكريم كانت تُسأل من النساء عن سبب عدم زواجه، فكانت تجيب: « عبد الكريم لا يريد أن تحل واحدة مكاني » . لكنها، وبعد أن تقدم ابنها في العمر، قالت مرة: « سيتزوج بعد أن يُنهي شغلة معينة » ، لكنها توفيت قبل أن يتحقق ذلك [٢٦] .

* * *

﴿ ثقافته ﴾ [٢٧]

لم تحظَ ثقافة أيّ حاكم في العراق أو العالم العربي باهتمام النقاد كما حظيت به ثقافة عبد الكريم قاسم. فعندما عجز خصومه عن التشكيك في

وطنيته وإخلاصه للشعب والوطن، أو في انتمائه القومي، توجهوا للطعن في مستواه الثقافي. "والسؤال المطروح: هل كان عبد الكريم قاسم مثقفًا، أم أن مستواه الثقافي كان محدودًا؟

يروي الكاتب حسن العلوي، الذي كان يسكن بجوار منزل الزعيم عندما كان تلميذًا، أنه كثيرًا ما استعان بوالدة قاسم لاستعارة كتب من مكتبته، ويصفها بأنها كانت تحتوي على كتب في الجغرافيا والتاريخ واللغة والأدب، إضافة إلى مجموعة من الكتب الأجنبية. ويلاحظ العلوي كثرة الخطوط والتعليقات داخل الكتب، مما يدل على اهتمام قاسم بالقراءة، وخصوصًا في مجال النحو.

ويضيف أنه عندما أصبح عبد الكريم قاسم زعيمًا للعراق ، لاحظ خلو خطابه من الأخطاء اللغوية، مما أعاد إلى ذاكرته تلك القراءات المبكرة. رغم هذه الشهادات، لا يزال البعض يصرّ على وصف قاسم بقلة الثقافة. فهل المقصود بالثقافة هنا هو غياب التخصص الفلسفي أو الفكر المنهجي العميق؟

لا شك أن قاسم لم يكن مؤدلجًا، أي أنه لم يتبنَّ فكرًا عقائديًا واضحًا كالاشتراكية أو القومية العربية، وهو ما يُعده بعض المراقبين سمة إيجابية في بلد متنوع الاتجاهات الفكرية والقومية والدينية كالعراق. والأيديولوجيا غالبًا ما تكون قوالب فكرية جامدة قد تُفرض على الواقع،

مما يحد من قدرة السياسي على التكيّف مع المتغيرات. قاسم كان ضابطًا خريج الكلية العسكرية العراقية وكلية الأركان، وتلقى تدريبًا في بريطانيا (سانت هيرز). وكان يطالع الصحف الوطنية مثل "الأهالي"، ويتابع الصحافة الغربية، ويُعرف عنه تأثره بأفكار جماعة الأهالي.

ويذكر الدكتور عبد الخالق حسين أن ثقافة الزعيم عبد الكريم قاسم تفوق كل الذين جاءوا بعده وكل الذين كانوا قبله . وذكر وزير خارجيته، هاشم جواد، أن قاسم كان يخصص وقتًا للقراءة أيام الجمعة في بيته.

ورغم أنه لم يكن مفكرًا محترفًا على غرار برتراند راسل أو جان بول سارتر، فإن المقارنة لا تكون عادلة إذا ما قورنت ثقافة قاسم بثقافة

مفكرين عالميين، بل يجدر مقارنته بمن حكم العراق قبله وبعده. فعلى سبيل المثال، كانت ثقافة الملك فيصل الأول مستمدة من النظام العثماني، في حين كانت ثقافة غازي محدودة، وعبد الإله لم يُكمل دراسته الثانوية، ونوري السعيد تلقى تعليمه في المدارس العسكرية العثمانية، دون وضوح في نجاحه في دورة الأركان.

أما عبد السلام عارف، فثقافته العسكرية لا تُقارن بمستوى أكاديمي عالٍ، والأمر ذاته ينطبق على شقيقه عبد الرحمن، وعلى أحمد حسن البكر وطاهر يحيى.

وبالمثل، فإن الثقافة السياسية والعسكرية لعبد الناصر لا ترقى لمستوى

تخصصي عالٍ. أما علي صالح السعدي، فقد اتُّهم بضعف التركيز والانغماس في حياة اللهو ، وكان مولعاً بلعب القمار ، وحتى انه كان ينفق الاشتراكات الحزبية على لعبة القمار ، والادهى من ذلك ، انه أنفق المبلغ المخصص للعلاج من أمراض القلب على موائد القمار في عهد رئيس الجمهورية احمد حسن البكر [٢٨] .

وهنا يبرز تساؤل مهم: هل تُعد الثقافة معيارًا حاسمًا في نجاح القادة السياسيين؟

فالتاريخ مليء بأمثلة لقادة انتصروا رغم محدودية ثقافتهم، في حين أُقصي مثقفون عن السلطة. فمثلًا، نوري السعيد لم يكن أكثر ثقافة من

محمد فاضل الجمالي، الأكاديمي وخريج الجامعات الأمريكية. كما لم يكن عبد السلام عارف أثقف من عبد الكريم قاسم، ولا طاهر يحيى أثقف من عبد الرحمن البزاز، المعروف بثقافته القانونية ومؤلفاته.

* * *

﴿ نزاهته ﴾

لقد كانت نزاهة الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم سبباً في دفع كبار مسؤولي الدولة إلى الالتزام بالنزاهة في مؤسساتهم، فقد أراد الزعيم أن تكون النزاهة مبدأ عاماً لا يخصه وحده، بل يشمل النظام كله. لم تكن

نزاهته مجرد صفة شخصية أو خُلقاً فردياً، بل انعكست على طبيعة الحكم الذي قاده منذ صباح ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وامتدت إلى جميع مفاصل الدولة، من السلطة التشريعية والتنفيذية إلى القضاء.لقد كانت هذه النزاهة نابعة من أمرين أساسيين هما: الصدق مع النفس، والعدالة في تطبيق القوانين. والنزاهة ليست فقط في المال، بل تشمل السلوك والمواقف ، وتمتد إلى القرارات التي تتخذ لخدمة الناس. ولو تأملنا أبرز منجزات ثورة ١٤ تموز، لرأينا أنها مرتبطة بمفهومي الصدق والعدالة.

فقانون رقم ٨٠ الذي استعاد حقوق العراق النفطية من الشركات الأجنبية، وقانون الإصلاح الزراعي الذي أعاد للفلاح كرامته، وقانون

الأحوال الشخصية الذي أعطى المرأة شيئاً من حقوقها، ومشاريع بناء المصانع والمستشفيات والمساكن للفقراء، كلها تعبر عن هذه الروح النزيهة [٢٩] .

لقد كان كبار المسؤولين في عهد قاسم حريصين على أن يقتدوا به في أخلاقه وسلوكه، فقاموا بواجباتهم بأمانة وشرف. ولم تُسجل ضدهم قضايا فساد أو رشى أو استغلال للنفوذ، رغم اختلاف طوائفهم وانتماءاتهم. حتى الخصوم السياسيون لم يوجهوا تهم فساد مالي أو إداري لذلك النظام.

أما القضاء في تلك الفترة، فكان مثالاً للطهارة والعدل، ولم تُعرف عنه

قضايا رشوة أو محسوبية. ومن الأمثلة على ذلك، قضية الحزب الإسلامي العراقي عام١٩٦٠ ، حين رفض وزير الداخلية إجازة الحزب، فلجأت الهيئة المؤسسة إلى القضاء، فأصدرت محكمة التمييز قراراً بنقض قرار الوزير، وأمرت بمنح الإجازة، في موقف نزيه شجاع يؤكد استقلال القضاء وعدالته [٣٠] .

إن مقاومة المغريات تحتاج إلى شجاعة وانضباط. وليس كل إنسان يقدر على مقاومة إغراء المال والجاه، لكن من يتحلى بالصدق مع النفس ويملك إرادة قوية يستطيع أن يصمد. والزعيم عبد الكريم قاسم كان شجاعاً في حياته العسكرية، منضبطاً في تصرفاته، ولذلك تمسك بالنزاهة

والأمانة، ووقف في وجه كل مغريات الدنيا بثبات وثقة [٣١] . فقد كان قاسم زاهداً في المال عفيف اليد ، فلم يستغل منصبه لاقتناء الاموال والعقارات ويخرج منها ثرياً ، انما جاء بملابسه العسكرية وانتقل إلى جوار ربه بها ، فقد كان في جيبه ساعة إعدامه فقط ستة عشر ديناراً وهو في أعلى سلطة في الدولة . ولم توجد له عقارات وحسابات بنكية في سويسرا أو غيرها من الدول [٣٢] .

* * *

﴿ شجاعته ﴾

اشتهر قائد ثورة ١٤ تموز بالشجاعة والإقدام وهذا كلام القريبين منه ،

حيث كثيراً ما شوهد في المجامع متقدماً الصفوف ، فيبعث بثباته روح الحماس بين جنوده ، فيقتدون به ويستميتون ، ويلقي الرعب في نفوس الأعداء . وليس أدل على ذلك من مواقفه البطولية في الحركات الحربية التي اشترك فيها في سوق الشيوخ ، وشمال العراق ، وفي سوح المعارك بفلسطين . ومن أهم هذه الوقائع والحركات :

١ - ﴿ حركات الشمال ﴾ (٣٣)

اشترك بحركات الشمال من ٣ أيلول - ٢٠ تشرين الأول ١٩٤٥ وهو برتبة رئيس أول ركن بمنصب مقدم لواء الجحفل الثالث الذي كان يقوده آنذاك اللواء الركن حسيب الربيعي ، واشتبك اللواء (بمعركة

بادليان) ومعركة (مازنة) وتحمل عبء المعارك ، ولقد سقطت بعض الضحايا وكان أحدهما مؤثراً تماماً على معسكر اللواء وهي قبة مسيطرة والنار تسيل منها على المعسكر ، وفجأة تقدم الزعيم من تلقاء نفسه فجمع الجنود المتفرقين كالمراسلين والمخابرين وغيرهم ، وبعث فيهم روح الحماس ومما قاله لهم : « إخواني لقد احتل الثوار هذه القمة واني مصمم على إعادتها بكم وبشجاعتكم وسوف تروني في مقدمتكم » ، ثم أمرهم بتركيب الحراب والتقدم ، وتقدم أمامهم متسلقاً المرتفعات العالية على الرغم من النيران التي أخذت تنصب عليه من تلك القمة ، ولم يلتفت الى الخسائر التي لحقت بجنوده الى أن وصل القمة المذكورة

واضطر الثوار أمام تصميمه وعزمه على الانسحاب منها .

ولما عاد قال له أمير اللواء الركن مزهر الشاوي آمر أحد أفواج بحفل اللواء الثالث بحضور اللواء الركن حسيب الربيعي لقد بيضت وجهنا بعملك هذا ، واطلب اليك نظراً الى كفاءتك وشجاعتك هذه أن تسترجع القمة الثانية ، وأشار بيده اليها .

فرد عليه المرحوم الربيعي بقوله : أنا لا أضحي بتقدم لوائي فأنت آمر فوج ولديك سرايا يمكنك استرجاعها بواسطتهم ، وقد سبق لي أن قلت للزعيم في حينه لما جازفت وجمعت الجنود المتفرقين واسترجعت الربيئة في مثل هذا الموقف وخاطرت بنفسك .

فكان جوابه : لقد جازفت وأقدمت على هذه الحركة لإنقاذ الموقف ، ولو كانت الربية قد بقيت بيد الثوار لأصبحنا كلنا في عداد القتلى .

٢- ﴿ في فلسطين ﴾

ننقل ما ذكره العقيد محسن الرفيعي عن شجاعة الزعيم عبد الكريم قاسم في فلسطين حيث قال [٣٤] : « كانت بيننا وبين اليهود مدة من الهدنة ، ولكن كانت تحدث بعض الصدامات والمناوشات بين وحدتنا واليهود خلال تلك الهدنة ، وكنا نرد عليهم بشدة سواء بالمدفعية بعيدة المدى أو بالهاونات ، وقد سحبت منا هذه المدافع التي كانت تصل إلى ضواحي تل

أبيب ، وتم تعويضنا بأخرى أقصى مدى لها ثلاثة كيلو مترات، وعلى ضوء هذه الحوادث ، وبغية عدم تكرار ذلك فقد صدر أمر من القيادة العراقية بإجراء لقاء مع اليهود وبإشراف مراقبي الهدنة الأمريكان في الحد الفاصل بين القطاعات .

وقد حصل اللقاء فعلا ، وحضره عن الجانب العراقي المقدم الركن عبد الكريم قاسم آمر الفوج ، وأنا - اي محسن الرفيعي - بصفتي نائب المساعد ، وترأس الجانب الإسرائيلي الرائد سمخا . وبعد إبداء كل طرف وجهة نظره، وقدم شكواه من الطرف الآخر ، حصل احتكاك بين الطرفين المفاوضين ، حتى وصل الأمر بأن تحدى رئيس المفاوضين

اليهود الرائد سمخا المقدم الركن عبد الكريم قاسم قائلا له بالحرف الواحد : « سأتناول طعام الغداء غداً في كفر قاسم مقر قيادتكم » . فأجابه الزعيم قائلا : « نعم ستتناول طعامك غداً في مقري كأسير حرب » ، وانتهى الاجتماع بتلك العبارة ولم يحقق أي شيء وأذكر بأن سائق الرائد سمخا كان يهودياً عراقياً ، وعندما جاء أمره للاجتماع معنا اتصل هذا السائق بسائق من قطعاتنا العسكرية ، وتمنى أمامه لو أن القطعات العراقية ساعدته في العودة إلى العراق .

بعد أيام قلائل هجم اليهود على تل يقع على الجناح الأيسر امواقع إحدى سرايا فوجنا، واحتلوا الموقع فعلا ، و خطة محكمة وضعها

أمر الفوج المقدم الركن عبد الكريم قاسم تمت استعادة الموقع في اليوم التالي، فقد أصدر أوامره إلى مجموعة استطلاع الفوج المكونة من آمر سرية الإسناد الرائد عباس خضر ، وأمر السرية الأولى القطعة المكلفة بالهجوم وأنا الرئيس محسن الرفيعي نائب المساعد والملازم أكرم محمود آمر فصيل الهاون ، وتم استطلاع مواضع العدو ، وحال بدء الهجوم فر اليهود مذعورين تاركين معظم تجهيزاتهم ، وعندها أقام اليهود الدنيا وأقعدوها ، مما دفع القيادة العامة العراقية أن تصدر أمراً للعقيد الركن مزهر الشاوي الذي كان آمر جحفل اللواء الرابع عشر أن يحقق في ظروف المعركة ويحدد الجانب المسؤول الذي تسبب في هذه المعركة ،

وجاء في تقريره أن المقدم الركن عبد الكريم قاسم هو المسبب لما جرى ، فاعترض على هذا القرار ، وطلب أن يحال التحقيق إلى ضابط آخر فأعادت القيادة العراقية التحقيق موعزة إلى العقيد الركن عمر علي القيام بذلك ، فجاء تقريره موضحاً أن ما قام به آمر الفوج الأول كان عملا بطوليا يجب القيام به، وإلا لتمكن اليهود من تهديد مواضع كافة القطعات العراقية في كفر قاسم حتى طولكرم ، وتصبح نابلس تحت رحمة اليهود، والتي لولا هذا التصدي لسقطت بيد اليهود .

وعلى ضوء هذا التقرير وجهت القيادة العراقية كتاب شكر إلى المرحوم المقدم الركن عبد الكريم قاسم ، وهو محفوظ في اضبارة الشخصية .

وفي موقف ثالث ، حصار الجيش المصري في الفالوجة ، إذ جرت

معركة عنيفة بين المصريين والصهاينة في مناطق الفالوجة التي تقع جنوب

المواقع الدفاعية لفوجنا ، فقد قام الجيش الإسرائيلي بهجوم عنيف على

مواقع بجحفل تابع لأحد ألوية الجيش المصري في منطقة الفالوجة ،

وكان مقدم لواء هذا الجحفل المقدم جمال عبد الناصر، وكانت حصيلة

ذلك محاصرة مواقع هذا الجحفل ، والتي لا تبعد كثيراً عن مواقع فوجنا

في كفر قاسم .

وفي إحدى الليالي جاءني مراسل الآمر وأخبرني بأن الأمر توجه إلى

المرصد عند قطعاتنا الأمامية ، فأسرعت إليه ، وإذا به عصبي المزاج ،

وقال لي : « اتسمع يا محسن هذا القصف الذي تقوم به المدافع

اليهودية على المواقع المصرية في الفالوجة ، ونحن نتفرج على ذلك ،

والقيادة لا تحرك ساكنا » . وأردف قائلا : « والله يجب أن أجر

الجيش العراقي لمعركة ضد اليهود لمعاونة الجيش المصري ، مهما كان

الثمن . » . وعدنا بعدئذ إلى مقر الفوج .

وفي صبيحة اليوم التالي دعاني لمرافقته في السيارة التي كان يقودها

بنفسه، وتوجهنا إلى نابلس حيث مقر جحفل اللواء الرابع عشر الذي

كان يقوده العقيد الركن مزهر الشاوي ، وبعد التحية والسؤال عن

الحال بادرة المقدم الركن عبد الكريم قاسم قائلا : « إن الجيش المصري

محاصر في الفالوجة والقيادة العراقية في فلسطين لا تحرك ساكنا لمساعدته ، وإزاء هذا الموقف فإنني مصمم على إدخال الجيش العراقي طرفا في هذه المعركة ، وقد اتفقت أنا والعقيد الركن صالح زكي توفيق آمر جحفل اللواء الرابع المعسكر في منطقة جنين والعقيد الركن عمر علي أن نهاجم الجيش الإسرائيلي لتخفيف الضغط عن الجيش المصري ، ووعدني بأن يبدءا بالهجوم بعد أن أبدأ أنا ، وهدفنا من ذلك إلزام القيادة العراقية بزج باقي القوات العراقية في المعركة ، فهل أنت على استعداد للاشتراك معنا في هذه العملية . » فأجابه العقيد مزهر وبحضوري : « نعم وفي أول إشارة أستلمها منك للبدء بالعملية » ،

وأقسم على ذلك . وأرسل العقيد مزهر على ضابط مخابرة الجحفل المقدم

خيري وأمره بأن يتفق معي على الإشارة التي ترسل من الفوج الأول ،

والتي تدل على بدء الهجوم .

وغادرنا معسكر اللواء عائدين إلى مقر الفوج في كفر قاسم ، لأسباب

أجهلها صرف النظر عن القيام بالعملية ، وكان يزورنا باستمرار في

معسكر الفوج العقيد الركن صالح زكي توفيق، ويتفقد جبهتنا . وفي

موقف رابع حيث يقول الرفيعي : « صدرت الأوامر لفوجنا من القيادة

العامة العراقية للهجوم على إحدى المستعمرات الصهيونية في مدينة

القدس ، فأصدر المقدم الركن عبد الكريم قاسم أمراً لجماعة تلقي

الأوامر في الفوج للاجتماع ليصدر الأوامر بهذا الخصوص. وخلال تهجم أحد أمراء السرايا وهو الرائد هاشم الشيخلي على القائد العام للجيوش العربية الملك عبد الله بن الحسين ورئيس أركان القيادة العامة الجنرال كلوب باشا منتقداً إياهم استخدام الجيوش بما فيه مصلحة الإسرائيليين ، فأحس الأمر بالحرج أمام الضباط، فما كان منه إلا أن أصدر أمراً لي بإرسال برقية إلى القيادة العراقية العامة ينبئها بما حدث، وأملى علي صورة البرقية فتركت الاجتماع لأنفذ الأمر ، وغبت عنه ساعة واحدة ، وعدت ، فسألني : « هل أرسلتها » ، فأجبته : « نعم » . والواقع أنني لم أرسلها ، وبعد انتهاء الاجتماع ذهبت إليه في خيمته ،

وأخبرته بأنني في الحقيقة لم أرسل البرقية ، فما كان منه إلا أن شكرني على عملي هذا الذي لو أتممته لحدثت مشاكل للرائد هاشم ، وأمرني بتمزيق البرقية ، وظهرت عليه علامات الارتياح والاطمئنان » .

في سياق مشاركة الجيش العراقي في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، برز المقدم الركن عبد الكريم قاسم الذي أصبح لاحقاً فريقاً ثم توفي من خلال قيادته لما يُعرف بـ"رتل المجامع". تميز أداؤه بقرارات جريئة وتحركات ميدانية فعّالة، حيث اتخذ مساراً خطيراً يمر قرب مستعمرات صهيونية، ما يدل على جرأة في التنفيذ [٣٤] . ففي ١٢ تموز، قاد بنفسه مفرزة من فصيل مدفعية جوال وفصيل مشاة وحضيرة رشاشات،

عبرت نهر الأردن من جسر الشيخ حسين وتمركزت في منطقة كرس، ثم قامت بقصف مستعمرة صهيونية غربي الأردن، موقعة خسائر في آليات العدو [٣٥] . وفي حادثة أخرى، بعد ورود معلومات عن قيام القوات الصهيونية بإنشاء تحصينات جديدة غرب نهر الأردن، أمر قاسم بإرسال مفرزة من مدافع هاون ٣ مع حضيرة مشاة لقصف تلك التحصينات، ما أدى إلى تراجع القوات المعادية وتركهم للموقع دون محاولة العودة إليه.

كما بادر بإرسال رعيل من المدرعات إلى المنطقة، واتخذ إجراءات تحذيرية لقطاعات وحدته، وعند اقتراب المدرعات من مواضع العدو

فتحت نيرانها، مما أدى إلى انسحاب القوات الصهيونية باتجاه الشمال (٣٦) .

تعكس هذه الوقائع قدرة عبد الكريم قاسم على التخطيط الميداني السريع واتخاذ قرارات مباشرة في ظروف عسكرية حساسة، وتُظهر دوراً فعّالاً له في العمليات العراقية خلال الحرب.

* * *

﴿ تحليل شخصية عبد الكريم قاسم ﴾

إن دراسة شخصية عبد الكريم قاسم لا يمكن أن تنفصل عن دراسة أوضاع العراق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عاشها منذ

الحرب العالمية الأولى حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وتبلورت في تفاعلاتها ، وأحداثها شخصيته ، وتعقيداته ، وكرهه للاستغلال والاستعمار .

فقد كان للزعيم قاسم موقفا مبدئيا إتجاه الوطن ومصالحه حتى في اصعب الظروف، وكان عداءه الاستعمار وبالأخص بريطانيا صادقا وخالي من شوائب وداعيا مستمرا في أغلب خطاباته الى التحرر والاستقلال السياسي والاقتصادي [٣٧] .

عاش الزعيم عبد الكريم قاسم في عائلة فقيرة تسكن حيا فقيرا وقضى طفولته الصعبة في أوضاع مالية صعبة ، كما اشتغل في صباه مع والده

في النجارة ثم عمل فلاحا في الصويرة . وقضى حياته حتى دخوله الكلية العسكرية في فقر وعوز [٣٨] .

أحس الزعيم عبد الكريم قاسم عندما كان معلما ما يعانيه الفلاحون من اضطهاد واستغلال طبقي من قبل الإقطاع الذي كان سائداً في النظام الملكي. كما أدرك ما يعانيه العامل من سوء أحواله المعيشية عندما كان يشتغل مع والده في النجارة .

كما عاش ضابطا فقيرا يحس بما يعانيه الجنود والضباط الصغار من استغلال قومي وطبقي فرضه الاستعمار البريطاني والفئة الحاكمة وقد تنقل عبد الكريم قاسم خلال حياته بين الريف والمدينة ،

ورأى الفارق الكبير بينهما وما يقاسيه أبناء الريف من سوء الأحوال

الاقتصادية والاجتماعية . كما شاهد الفرق الشاسع بين العراق ، و

ظروفه واوضاعه السيئة ، وبين الحالة في البلدان الأخرى التي زارها ،

وخاصة انكلترا وما وصلت إليه من تقدم حضاري وازدهار اقتصادي

وارتفاع في مستوى المعيشة .

كما أن نشأة عبد الكريم قاسم الأولى في حي المهدية ثم محلة قنبر علي في

جانب الرصافة حيث تقيم عائلات تنتمي إلى أعراق ومذاهب دينية

متعددة قد وفرت له جوا سمحا غير مشوب بتعصب عرقي أو ديني

وقد أثر ذلك على عقيدته السياسية . التي تأثرت بالأفكار التي التي

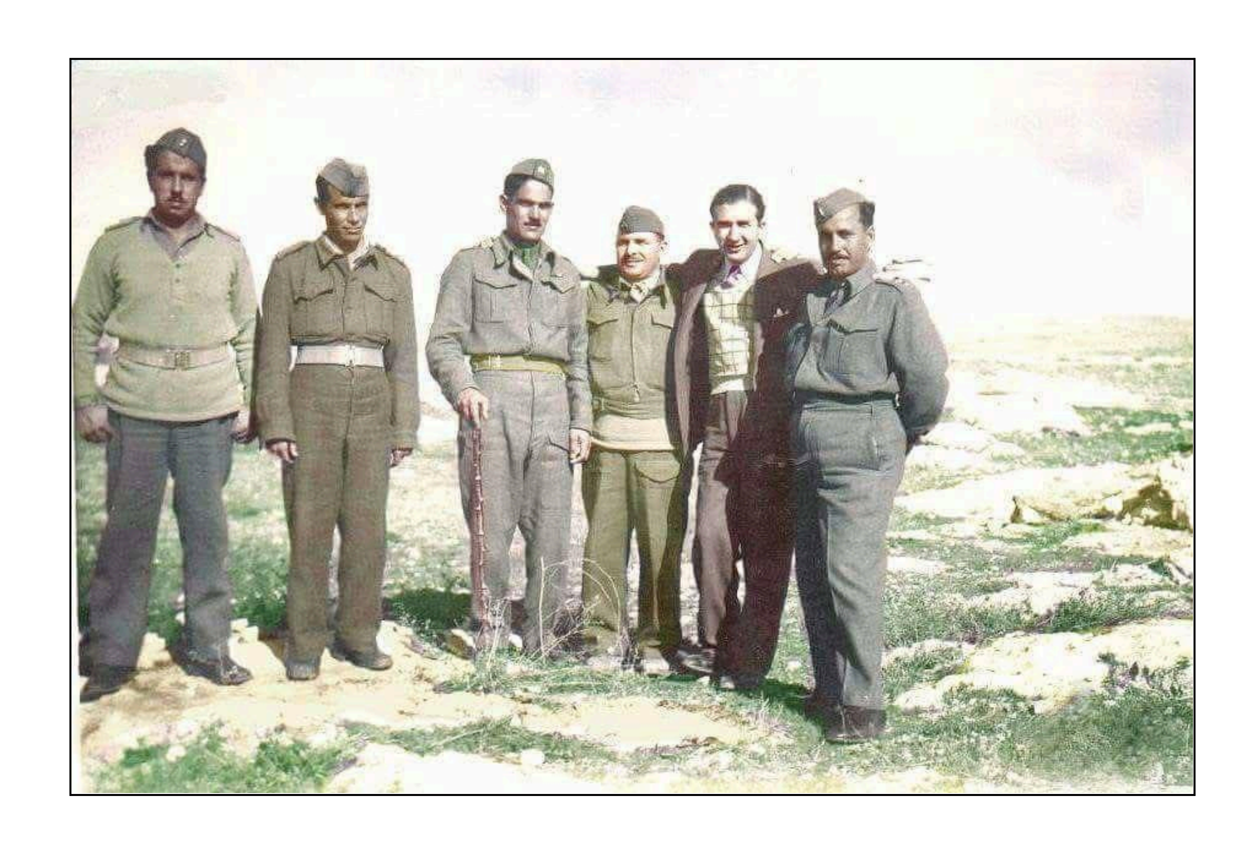
كانت جماعة بكر صدقي تدين بها اثناء الانقلاب سنة ١٩٣٦ ، والتي مؤكد على الوحدة الوطنية ، والتعاون بين العرب والكرد . وهناك من ادعى أن الزعيم عبد الكريم قاسم كانت تربطه علاقة بالغرب ، فقد ذكر جابر عمر وزير التربية في وزارة الجمهورية العراقية الأولى أن للزعيم عبد الكريم قاسم قاسم علاقات مع بريطانيا ولا يرغب بالمس بمصالحهم .

ولكن هذا افتراء وكلام غير دقيق ، حيث أصدر الزعيم عبد الكريم قاسم قانون ٨٠ الذي أضر بالمصالح الغربية وبشكل قوي حتى إنَّ بريطانيا هدّدت باحتلال العراق ، ردا على قانون التأميم [٣٩] . لم يقتصر الضرر الناتج من القانون بمصالح بريطانيا فقط بل الحق الضرر

بأمريكا أيضاً وسبب متاعب اقتصادية لأمريكا [٤٠] . في الواقع ان الزعيم عبد الكريم قاسم لم يكن لا شيوعيا ولا اشتراكيا ولا ديمقراطياً ولا انكليزياً . وهذا ما بينه سلوكه بعد الثورة وما عبر عنه هو بنفسه اذ كان دائما يردد انا فوق الميول والاتجاهات [٤١] .

* * *

المقدم عبدالكريم قاسم في فلسطين مع رفاقه



من المنشورات التي رمتها الطائرات الإسرائيلية على الجيش العراقي والتي تحرض الجنود العراقيين على المقدم عبد الكريم قاسم



احدى المنشورات التي رمتها الطائرات الاسرائيلية على الجيش العراقي عـام ١٩٤٨

ايها الجندي الكردي ورجل الجبال !

حكومة العراق اعطتك الاوامر بقتل عائلتك واخوانك. زوجتك واولادك بالسجن .. بيوتكم وقريتكم شبت بها النار.

مالك والجيش العراقي المسند الرعب؟ اي جنون اجبركم على ان تنسوا اهلكم؟ الرجال اللذين يضربوك هم عراقيين. اين الاكراد الامجاد والاحرار؟

هل تعرف من كان آباءكم؟ متى تسلكو طريقهم؟ اتركوا الويل والمصائب لاصحابه. التحقوا باصدقائكم واخوانكم الاسرائيليين والجيش الاسرائيلي يساعدك.

جندي اسرائيلي: ان قيادتك تأمر عليك بهذا التعامل مع الجندي حامل هذا الاعلان بمعاملة حسنة!

هو جاء الينا بسلام كصديق... عامله بشرف وتعال به الى قيادتك!!!

الجندي العراقي كامل مراد رقم ١٠٠٦٠٧ من فصيلة المخابرة التابع لسرية المقر بفوج الأول للواء الأول من كتيبة قاسم قد التحق الينا. وهو في حالة حسنة وغاية الصحة والكمال. ويخصكم بالسلام ويرسل تحيته لجميع معارفه واصدقائه.

ايها الجنود: الى متى تصبروا رغماً عنكم ضرب وحقارة ورزالة من قبل ضباطكم؟ ان ضباطكم يأكلوا ويشربوا مايحلو ويطيب لهم... وانتم اكلكم وشربكم مثل الوحوش. الضباط ساكنين براحة تامة وفسح بالبيوت والخيم... وانتم تتقاوون من البرد برطوبة الأرض والعراء تحت السماء.

هل انتم اليس آدميين مثل ضباطكم؟ وهل حسبتم الأضيل (كما يعتقدون) قد انسام واحتيم نحوكم! وهل المقدم عبد الكريم يريد ان يجعلكم عبيد بعصاه؟ وهل جئتم الينا لكي تحاربوا او لتعطو الرغد والهناء لضباطكم ولتنعموا معيشتهم؟ اعطوكم الأوامر لترك بيوتكم... انتم الآن ببلاد غريبة!!! السكان العرب هنا لايحبوكم... الجوع والمرض قاتلهم وقد مات منكم الكثير!!!

لاتسمعوا بأمر القوة والسيطرة التي جلبت عليكم المصائب والقتل! اعملوا جهدكم بإنهاء هذه الحرب التي لا هدف لها والمصائب التي لا احد يريدها وبطليا. لا تترددوا اكثر وتعالوا لطرفنا.

جندي اسرائيلي: انت مأمور بهذا من قبل قيادتك للتعامل مع الجندي حامل هذا الأعلان بمعاملة حسنة.

هو جاء الينا بسلام كصديق عامله بشرف وتعال به الى قيادتك!!!

هوامش الفصل الأول

(١) العقيد عبد الكريم الجدة ، ثورة الزعيم المنقذ ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠ ، مطبعة البرهان ، بغداد ، ص ٥ ؛ الدكتورة فائزة المهداوي ، هل أنصفنا التاريخ ، ص ١٤٤ .

(٢) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، القاهرة، ١٩٦٣ م ، ص ٢٦٨ .

(٣) د. فائزة المهداوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٤٨ .

(٤) د. فائزة المهداوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٤٩ .

(٥) العقيد عبد الكريم الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص ٥ ؛ ليث

عبد الحسن الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، منشورات مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨١ ، بغداد ، ص ٣٢٣ .

(٦) العقيد الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص ٥ ، ليث عبد الحسن ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٢٤ .

(٧) طالب مشتاق، أوراق أيامي ١٩٠٠ - ١٩٥٨ ، دار الطليعة، بيروت، ص ٥٦٨

(٨) ليث عبد الحسن ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٢٤ .

(٩)محمد حديد ، مذكراتي ، ص ٣٢٥ .

(١٠) د . فائزة المهداوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٤٤ .

(١١) ليث عبد الحسن ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٢٤ ؛ العقيد الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص ٦ .

(١٢) العقيد الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص ٦ .

(١٣) حيث كتب عنه أمر اللواء الثالث في تقريره السنوي بعد الحركات الفعلية التي جرت في تلك المناطق بين ٩ آب ١٩٤٥ و ٢٠ تشرين الأول ١٩٤٥ : « إنه ضابط ركن حلوق جدا ، وكريم النفس، شهم مخلص لأمره ودقي في أعماله ، وثقافته العامة جيدة وسوف يكون في المستقبل من ضباط الجيش القديرين » . انظر : ليث عبد الحسن ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٢٦ .

(١٩) العقيد الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص ٨ ؛ ليث عبد الحسن ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٢٦ ؛ د. هادي حسن عليوي ، عبد

الكريم قاسم الحقيقة ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٥ .

(٢٠) العقيد الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص ٧ .

(٢١) العقيد الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص ٨ - ٩ .

(٢٢) د. هادي حسن عليوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٧ ، العقيد الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص ٩ .

(٢٣) الشاعر المرحوم محمد مهدي الجواهري ، مذكراتي ء ج٢ ، ص ١٨١

(٢٤) اللواء شاكر محمود العزاوي ، آمر حماية الزعيم وآخر الصامدين ، اعداد الصحفي صباح زاير ، ٢٠١٩ ، ٧٩ .

(٢٥) د. هادي حسن عليوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢١ .

(٢٦) حسن العلوي ، عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين ، لندن ، ١٩٨٣ ، ص ١٣ .

(٢٧) للمزيد انظر : اللواء شاكر محمود العزاوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٩٥ ؛ مقال الكتروني للدكتور عبد الخالق حسين بعنوان ثورة وزعيم ، ص ١١١ ؛ حسن العلوي ، المصدر السابق الذكر .

(٢٨) شامل عبد القادر ، عبد الخالق السامرائي و ٣٠ شخصية من عهدي البكر وصدام ، مكتبة المجلة ، بغداد ، ص ٤٨١ .

(٢٩) اللواء شاكر محمود العزاوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٧٧ .

(٣٠) نفسه .

(٣١) العزاوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٧٨ .

(٣٢) د . هادي حسن عليوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٤٧ .

(٣٢) العقيد الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٢

(٣٣) العقيد محسن الرفيعي ، انا والزعيم مذكرات العقيد محسن الرفيعي مدير الاستخبارات العسكرية في زمن عبد الكريم قاسم ، ط١ ، ٢٠١٠ ، ص ٢١ وما بعدها .

(٣٤) اللواء الركن خليل سعيد ، تاريخ حرب الجيش العراقي في فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، ج٢ ، ١٩٦٧ ، ص ٦٢.

(٣٥) اللواء خليل سعيد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٦٠ .

(٣٦) اللواء خليل سعيد ، المصدر السابق الذكر، ج١ ، ص ١٤١.

(٣٧) الدكتور الاستاذ عقيل الناصري ، من ماهيات السيرة ، من

أوجه الصراع السياسي في الجمهورية العراقية ، سطور للنشر والتوزيع ، ص ٣٠٤ .

(٣٨) خطب الزعيم ، ج ١ ، ١٩٥٩ ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٣٩) نجم محمود ، المقايضة : برلين بغداد الخلفية التاريخية لحرب لم تنته بعد ، منشورات الغد ، ص ٣٤٨ ؛ الدكتور عقيل الناصري ، استعادة

الزعيم حوارات وآراء عراقية تجاه عبد الكريم قاسم وثورة ١٤ تموز ، إعداد الصحفي نوري صبيح ، ط١ ، دار البصائر ، ص ٧٠ .

(٤٠) Gary M. Boutz , Kenneth H. Williams, U.S Relations with Iraq , p 27

(٤١) اللواء شاكر محمود العزاوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٩٣ .

الفصل الثاني

الضباط الأحرار ومحاولات التغيير قبل ١٤ تموز

قبل أن يطلق الزعيم عبد الكريم قاسم ورفاقه شرارة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، لم تكن فكرة التغيير بعيدة عن أذهان العسكريين الوطنيين، بل كانت النار تحت الرماد، تنتظر اللحظة المناسبة لتنفجر. هذا الفصل لا يروي فقط كيف تأسس تنظيم "الضباط الأحرار"، بل يُسلّط الضوء على المحاولات الجادة التي سبقت تموز، والتي كادت أن تغيّر وجه العراق قبل ذلك التاريخ.

لم تكن ثورة تموز مجرد قرار اتُّخذ في يوم وليلة، بل كانت نتيجة تخطيط دقيق، وتحرّكات سرية، واجتماعات محفوفة بالمخاطر. اجتمع ضباط من طبقات فقيرة ومتوسطة، جمعهم حب الوطن وكره الظلم، وعاهدوا

أنفسهم على قلب نظامٍ رأوه مستسلماً للأجنبي .

* * *

﴿ إندماج العسكريين بالحركة الوطنية ﴾

لقد كان للعسكريين في العراق دائما دور في السياسة، غير إننا سوف نتناول الأسباب المهمة التي دفعت الضباط الأحرار إلى تشكيل تنظيماتهم التي الحرب العالمية الثانية فحسب ويمكن إجمالها على النحو التالي [١] :

١ ـ منذ بداية تأسيس الجيش العراقي، كان الضباط يشعرون بأنهم أوعى العناصر الموجودة في البلاد، حيث يسود الجهل والحرمان والمرض. وكان هذا الشعور يزداد لديهم بازدياد شعورهم بأنهم

قريبون جداً من السلطة في حكمها البلاد وفي مواجهتها الدول الأخرى. وعندما كانت السلطة في النظام الملكي تدخرهم في أوقات الأزمات العصيبة لمواجهة قوى الشعب ، كان الشعور يساورهم بأنهم يستطيعون أكثر من غيرهم أن يوجهوا البلاد نحو سياسة وطنية فعالة . إن شعورهم بآلام الشعب من ناحية وشعورهم بالقوة التي تحت تصرفهم دفع بهم بعيداً إلى الانغمار بالعمل السياسي ومن ثم الاندماج بالحركة الوطنية .

٢ - عجز الحكومات المتعاقبة التي تولت الحكم قبل ١٤ تموز ١٩٥٨ عن -تحقيق الأهداف الوطنية والقومية التي كان يتطلع إليها الشعب العراقي

والأمة العربية والتي وعدت تلك الحكومات بتحقيقها، فلم يجد الضباط الأحرار سبيلا إلى تحقيقها إلا بتنظيم أنفسهم بتنظيمات سرية لغرض إسقاط النظام الملكي وتحقيق المطالب الوطنية والقومية . فتشكلت عدة تنظيمات للضباط الأحرار منذ عام ١٩٥٢ حتى الثورة في ١٤ تموز ١٩٥٨.

٣ - فشل حركة ١٩٤١ التحررية التي قام بها الضباط القوميون في العراق وما لاقاه الشعب العراقي بصورة عامة والجيش بصورة خاصةمن أحكام الإعدام بخيرة ضباطه. وأراد الإنكليز تصفية الجيش العراقي خوفاً منه ولكن بعض العناصر المخلصة الموجودة فيه حالت دون ذلك،

ومع ذلك فقد عملوا على تقليص عدد وحدات الجيش العراقي وإرهاقه بكثرة التدريبات والمناورات حيث كان الجيش طيلة أيام وفصول السنة في تدريب ومناورات بالعتاد الحي .

٤ - حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وما انتهت إليه من نكبة العرب، حيث شعر الضباط الشباب وابرزهم الزعيم عبد الكريم قاسم ، أن فشلهم في حرب فلسطين سببه سياسي أكثر مما هو عسكري، وإن النصر يجب أن يمر ببغداد قبل فلسطين وشعروا بتواطؤ الحكام وتقاعسهم عن تحرير فلسطين، فازدادت نقمة الضباط الشاب على الحكم وعاهدوا أنفسهم على إزالة هذا الحكم .

٥ - منذ أن نجحت حركة الضباط الأحرار في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وقوضت النظام القائم في مصر، جوبهت هذه الحركة من قبل الحكومات العربية ذات النظم الملكية ولاسيما تلك التي تسير في ركاب الاستعمار بالهلع والفزع في حين أنها ألهبت حماس الضباط الشباب وأجّجت مشاعرهم الوطنية ودفعتهم لتشكيل تنظيمات سرية للقيام بعمل عسكري ضد النظام الملكي الرجعي على غرار التنظيم السري المصري. لذلك اقتبس الضباط الشاب نفس إسم التنظيم العسكري المصري وهو «الضباط الأحرار» وأطلقوه على تنظيمهم الذي بدأ يتبلور في نهاية عام ١٩٥٢ .

٦ - الانحدار الطبقي للضباط الشباب حيث أن أغلبهم ينحدر من الطبقات الكادحة، فأعضاء اللجنة العليا لتنظيم الضباط الأحرار يمثلون التركيب الاجتماعي لمختلف الضباط الأحرار في الجيش العراقي [٢] إن هذا الإنحدار الطبقي للضباط الأحرار جعلهم يفكرون بضرورة إصلاح الأوضاع في البلاد وخصوصاً وضع الفلاحين فكان قانون الإصلاح الزراعي من جملة القضايا التي تم مناقشتها في اللجنة العليا للضباط الأحرار.

٧ - ظهور الأحزاب ذات الأيديولوجيات الثورية كحزب البعث العربي الإشتراكي ، والحزب الشيوعي العراقي وازدياد نشاطهم في صفوف

الشعب والقوات المسلحة، مما أدى إلى زيادة الوعي الثوري لدى الضباط والجنود بضرورة التخلص من النظام الملكي .

٨ - إزدياد الانتفاضات الشعبية التي حدثت في الفترة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى قيام الثورة في ١٤ تموز ١٩٥٨ م ، وازدياد الإضرابات العمالية مما ساعد على زيادة النقمة لدى الضباط والجنود على الحكم .

* * *

﴿ تأسيس تنظيم الضباط الأحرار ﴾ (٣)

عندما نريد أن نفهم كيف بدأت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، علينا أولًا أن

نرجع إلى الأوضاع التي كان يعيشها العراق قبل الثورة. فقد كان الشعب العراقي يعاني من أوضاع صعبة: الفقر منتشر، والبطالة كثيرة، والجهل كان منتشر بشكل مخيف في الدولة وصل الى ٦٥ ٪ من الشعب كانوا من الأميين (أي لا يقرأ ولا يكتب) [٤] ، والظلم واضح، والفساد مستشرٍ في الدولة، وكانت العائلة المالكة والحكام يعيشون حياة الترف ، بينما أغلب الناس لا يجدون لقمة العيش.

ان الضباط في الجيش لم يكونوا غرباء عن هذا الواقع، فهم أيضًا أبناء هذا الشعب، منهم ابن الفلاح، وابن العامل، وابن العائلة البسيطة. كانوا يرون المعاناة أمام أعينهم، في بيوتهم وشوارعهم وأسواقهم، بل

وحتى داخل وحداتهم العسكرية. ولذلك، بدأت تزداد داخلهم مشاعر الغضب، والإحساس بالمسؤولية تجاه ما يحدث في بلدهم. بدأ هؤلاء الضباط يفكرون: "إلى متى نظل نعيش بهذا الظلم؟ هل نبقى ساكتين بينما الشعب يُسحق؟ ألا يجب أن نفعل شيئًا؟" ومع تكرار هذا السؤال، واشتداد الأزمات، بدأت فكرة الثورة تكبر و تترسخ.

لكن هذه الفكرة لم تأتِ من فراغ، بل كانت نتيجة تراكمات وأحداث كثيرة أثرت في الضباط:

١- الحرب العراقية – البريطانية عام ١٩٤١ : حين حاول العراق

التحرر من النفوذ البريطاني، لكن المحاولة فشلت، وأُعدم عدد من الضباط الذين شاركوا في ما عُرف بحركة مايس. هذا الحدث ترك أثراً عميقاً في نفوس الضباط، وأشعل فيهم روح التحدي.

٢ - هزيمة العرب في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ : حين شعر الضباط بالإهانة والخذلان، خصوصًا عندما توقفت القوات العراقية عن القتال في وقت حساس، ما كشف لهم ضعف القيادة وارتباطها بالأوامر الأجنبية.

٣- ثورة الضباط الأحرار في مصر عام ١٩٥٢ : عندما أطاح الجيش في مصر بالملك وأقام جمهورية، شعر الضباط في العراق أن بإمكانهم

فعل الشيء نفسه، وأن التغيير ممكن.

٤- انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ في العراق: حيث خرج الطلاب والعمال والفلاحون يطالبون بحقوقهم، فقامت الحكومة بقمعهم باستخدام الجيش. هذا القمع جعل الضباط يشعرون بالذنب، وقال بعضهم: "نحن لا نريد أن نكون أدوات ظلم ضد أبناء شعبنا."

هذه الأحداث، وغيرها، جعلت فكرة التغيير عبر الجيش تبدو معقولة. شعر الضباط أن على الجيش أن يكون في خدمة الشعب، لا في خدمة الحاكم، ولهذا قرروا أن ينظموا أنفسهم سرًا، ويستعدوا للقيام بثورة تطيح بالنظام الملكي.

وقد يسأل سائل : لكن ما هي الأسباب الرئيسية التي دفعتهم لذلك؟

١ - الرغبة في إصلاح حال البلد: كان الضباط يحلمون بوطن خالٍ من الفقر، مليء بالعدالة، تسوده الكرامة، وتُحترم فيه إرادة الناس. لكنهم أيقنوا أن هذا الإصلاح لا يمكن أن يتحقق بوجود النظام الملكي، الذي كان ضعيفًا أمام النفوذ البريطاني، وفاشلاً في حل مشاكل الشعب.

٢ - فقدان الثقة بالحكم: ازدادت خيبة أمل الضباط بسبب مواقف الحكومة من قضايا العرب، مثل موقفها السيء في حرب فلسطين، وسكوتها في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦, وكذلك قبولها الدخول في "حلف بغداد" عام ١٩٥٥ ، وهو حلف جعل العراق تابعًا

لبريطانيا، ومعزولاً عن إخوانه العرب.

التحالف مع الأردن عام١٩٥٨ : حين قرر العراق أن يتحد مع الأردن، لم يكن الهدف مصلحة الشعب، بل كان لحماية العائلة المالكة الهاشمية، التي كانت تحس بالخطر بعد قيام الجمهورية في مصر وسوريا. ومع هذا الاتحاد، تحمّل العراق أعباء مالية كبيرة لدعم الجيش الأردني، مما زاد من غضب الضباط.

كل هذه العوامل وغيرها دفعت عددًا من الضباط الشجعان إلى الاجتماع سرًا في مجموعات صغيرة. كانوا يجتمعون اثنين أو ثلاثة فقط، حتى لا يُكشف أمرهم. ومن بين هذه المجموعات، برزت خلية يقودها

ضابط اسمه رفعت الحاج سري [٥] . بدأت هذه الخلية عملها بشكل واضح في سنة 1952، وكانت تنمو بهدوء، وتضم عددًا متزايدًا من الضباط الشباب.

هؤلاء الضباط كانوا يختارون من يثقون بهم فقط، بعد التأكد من إخلاصهم ووطنيتهم، وكانوا يتبعون نظام "الخلايا" أي أن كل مجموعة لا تعرف من هم أعضاء المجموعات الأخرى، حتى إذا انكشف واحد، لا تنكشف البقية. ولم يكن هناك زعيم واحد أو قيادة عليا معلنة، بل كان العمل جماعياً وسرياً.

كان هدفهم واضحً وهو إسقاط النظام الملكي، وتأسيس نظام جمهوري،

يخدم الشعب العراقي، ويحقق العدالة والحرية.

وهكذا، بدأت أولى الخطوات نحو ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م، التي غيّرت وجه العراق، وأعلنت قيام الجمهورية العراقية بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم، بعد سنوات طويلة من الحكم الملكي.

***

﴿ تنظيمات حركة الضباط الأحرار ﴾

١ - تنظيم العقيد الركن محي الدين عبد الحميد: وقد ضم هذا التنظيم العقيد الركن ناجي طالب، والعقيد الركن محسن حسين الحبيب

والعقيد المهندس رجب عبد المجيد ، والمقدم الركن عبد الكريم فرحان

، والمقدم الركن صبيح علي غالب ، والمقدم وصفي طاهر ، والرائد

الطيار محمد سبع ، وغيرهم من الضباط ذوي الرتب الصغيرة .

٢ - تنظيم الزعيم الركن عبد الكريم قاسم : وقد ضم هذا التنظيم كل

من : العقيد الركن عبد السلام عارف ، وأخيه العقيد عبد الرحمن

عارف ، والعقيد طاهر يحيي والزعيم الركن احمد صالح العبدي، والعقيد

الركن عبد الوهاب الأمين ، و العقيد فاضل عباس المهداوي ، والعقيد

الركن إسماعيل العارف ، وعدد آخر من مختلف الرتب ، وقد دعي

هذا التنظيم تنظيم « المنصورية » ، وكان معظم ضباطه من اللواءين

التاسع عشر والعشرين .

٣- تنظيم العقيد رفعت الحاج سري : وقد ضم هذا التنظيم كل من : المقدم صالح عبد المجيد السامرائي، والعقيد الركن ناظم الطبقجلي ، والعقيد الركن عبد الوهاب الشواف ، والرائد الركن خالد مكي الهاشمي ، والرائد الركن عبد الستار عبد اللطيف إضافة إلى عدد آخر من مختلف الرتب .

٤ - التنظيم الحزب الشيوعي : وقد ضم هذا التنظيم كل من : العقيد إبراهيم حسين الجبوري ، والرائد فاضل البياتي ، والرائد الركن موسى إبراهيم ، والرائد خزعل السعدي ، والرائد كاظم الموسوي ، والرائد

خليل إبراهيم اللامي ، والرائد كاظم عبد الكريم ، والملازم إحسان مهدي ، والملازم حسن الوائلي ، والملازم منعم جاسم ، والملازم أول المتقاعد عطشان الازيرجاوي ، عضو اللجنة المركزية للحزب العراقي ، ومسؤول الخط العسكري ، وعدد آخر من صغار الضباط، وضباط الصف الشيوعي و المنتسبين للحزب الشيوعي .

ويعتبر تنظيم العقيد الركن محي الدين عبد الحميد وتنظيم، الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ، والتنظيم الشيوعي بقيادة العقيد إسماعيل الجبوري من أقوي تلك التنظيمات . وقد جرى توحيد تنظيم محي الدين عبد الحميد و تنظيم رفعت الحاج سري ، و شكلت لجنة عليا للتنظيم الموحد .

وفي كانون الثاني ١٩٥٦ جرى لقاء مع تنظيم عبد الكريم قاسم ، وبعد مناقشات مستفيضة حول أهداف التنظيمات وتوجهاتها ، تم الاتفاق على دمج التنظيمين معاً مكونين تنظيماً واحداً دعي { اللجنة العليا لحركة الضباط الأحرار } .

وقد تم اللقاء في منزل الرائد الطيار المتقاعد محمد السبع حيث حضر قادة المجموعات جميعاً ، وجرى انتخاب الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيسا للتنظيم باعتباره أعلاهم رتبة ، وجرى ، أداء القسم من قبل الجميع وهذا نصه: « أقسم بالله العظيم ، وبشرفي العسكري ، أن أخدم وطني إلى جانب إخواني الضباط المشتركين لتحريره من المستعمرين وعملائهم

، ومن الحكم الاستبدادي ، الذي يعاني منه الشعب وأعمل دون خوف أو تردد لمصلحة الشعب ، بناءاً على ما يقرره إخواني الضباط الأحرار وأن أكتم أسرارهم وأحميهم من أي أذى في جميع الظروف والأحوال»

وقد تم انتخاب عبد الكريم قاسم، أكبرهم رتبة رئيسا للتنظيم، فيما انتخب محي الدين عبد الحميد وناجي طالب نائبين للرئيس، وانتخب رجب عبد المجيد سكرتيراً [٦] .

﴿ قضية نعمان ماهر ﴾

في أوائل ١٩٥٧ جرى حديث بين نعمان ماهر وعلي حيدر الركابي

(سوري الجنسية) صديق الأمير عبد الإله عن سوء الأوضاع في العراق وارتباط حكامه بالاستعمار. وقال نعمان إن الجيش لن يسكت. نقل علي حيدر هذا الحديث إلى الأمير عبد الإله، فأوعز الأمير إلى رئيس أركان الجيش باعتقاله واعتقال شكيب الفضلي الذي كان حاضراً الحديث. تعرض الاثنان إلى تحقيق دقيق ولم يتوصل إلى نتيجة. وفي ١٧ نيسان أحيل نعمان ماهر إلى التقاعد وعين شكيب الفضلي ضابط تجنيد في إحدى نواحي شمال العراق [٧].

وقبل قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م ، أصبح عدد أعضاء اللجنة العليا خمسة عشر ضابطاً وهم [٨] :

١ - الزعيم عبد الكريم قاسم.

٢ - العقيد الركن عبد السلام عارف .

٣ - العقيد الركن محي الدين عبد الحميد .

٤ - العقيد الركن ناجي طالب.

٥ - العقيد الركن محسن حسين الحبيب.

٦ - العقيد الركن عبد الوهاب الأمين.

٧ - العقيد الركن عبد الوهاب الشواف .

٨ - العقيد الركن صبيح علي غالب.

٩ - العقيد المهندس رجب عبد المجيد.

١٠ - العقيد طاهر يحيى .

١١ - العقيد عبد الرحمن عارف.

١٢ - المقدم الركن عبد الكريم فرحان .

١٣ - المقدم وصفي طاهر.

١٤ - المقدم رفعت الحاج سري.

١٥ - الرائد الطيار المتقاعد محمد سبع .

أما عدد الضباط الأحرار فلقد بلغ (٢٠٣) ضابط في مختلف الوحدات العسكرية، وبسبب عدم وجود وثائق مكتوبة عن تنظيم الضباط الأحرار وأعضائه ، لم نستطع الحصول على جميع أسماء الضباط الأحرار وإنما فقط هذه الأسماء ، وهم [٩] :

١ - اللواء الركن نجيب الربيعي (عُين رئيساً لمجلس السيادة بعد الثورة)

٢ - الزعيم الركن أحمد صالح العبدي .

٣ - العقيد الركن ناظم الطبقجلي .

٤ - العقيد الركن خليل سعيد .

٥ - العقيد الركن عزيز العقيلي.

٦ - العقيد الركن إسماعيل الجنابي.

٧ - العقيد أحمد حسن البكر

٨ - العقيد عبد اللطيف الدراجي .

٩ - العقيد إسماعيل فياض.

١٠ - العقيد إسماعيل مصطفى .

١١ - العقيد عادل جلال.

١٢ - العقيد علي العاملي.

١٣ - العقيد عبد الله سعيد.

١٤ - العقيد محمود عبد الرزاق.

١٨ - العقيد شمس الدين عبد الله.

١٦ - العقيد فاضل محسن الحكيم.

١٧ - العقيد فاضل عباس المهداوي.

١٨ - العقيد الركن ماجد محمد أمين.

١٩ - المقدم ذياب العلكاوي.

٢٠ - المقدم نعمان ماهر الكنعاني.

٢١ - المقدم شكيب الفضلي.

٢٢ - المقدم صالح عبد المجيد السامرائي.

٢٣ - المقدم عبد الجبار عبد الكريم.

٢٤ - المقدم فاضل محمد علي.

٢٥ - المقدم فتاح الشالي.

٢٦ - المقدم محسن الرفيعي.

٢٧ - المقدم عبد العزيز جاسم الجبية.

٢٨ - المقدم الركن عبد الغني الراوي.

٢٩ - المقدم محمود مسلط.

٣٠ - المقدم نوري الراوي.

٣١ - المقدم نهاد فخري.

٣٢ - المقدم طه صالح السلطان.

٣٣ - المقدم عبد الهادي الراوي.

٣٤ - الرئيس الأول الركن محمود عزيز.

٣٥ - الرئيس الأول الركن مصطفى عزيز

٣٦ - الرئيس الأول عبد الجبار عبد الكريم.

٣٧ - الرئيس الأول حميد المولى.

٣٨ - الرئيس الأول عبد المجيد سبع.

٣٩ - الرئيس الأول مظهر محمد.

٤٠ - الرئيس الأول خليل إبراهيم حسين.

٤١ - الرئيس الأول الطيار عارف عبد الرزاق.

٤٢ - الرئيس الأول عبد الكريم محمود.

٤٣ - الرئيس الأول سعيد مطر.

٤٤ - الرئيس الأول كاظم مرهون.

٤٥ - الرئيس الأول إبراهيم حمودي غزال.

٤٦ - الرئيس الأول حسين علي العجيل.

٤٧ - الرئيس الأول عدنان محيي الدين .

٤٨ - الرئيس الأول هاشم.

٤٩ - الرئيس الأول مجيد الجلبي.

٥٠ - الرئيس الأول علي الخفاف .

٥١ - الرئيس الركن إبراهيم جاسم التكريتي.

٥٢ - الرئيس الركن صبحي عبد الحميد.

٥٣ - الرئيس الركن عبد الستار عبد اللطيف.

٥٤ - الرئيس الركن حسن مصطفى النقيب.

٥٥ - الرئيس الركن خالد مكي.

٥٦ - الرئيس الركن صالح مهدي عماش.

٥٧ - الرئيس الركن جاسم كاظم العزاوي.

٥٨ - الرئيس الركن محمد مجيد.

٥٩ - الرئيس الركن إسماعيل تايه النعيمي.

٦٠ - الرئيس الركن الطيار حردان عبد الغفار التكريتي.

٦١ - الرئيس الركن خالد حسن فريد.

٦٢ - الرئيس الركن علي حسين جاسم.

٦٣ - الرئيس الركن محمد خالد.

٦٥ - الرئيس الركن عبد العزيز أحمد شهاب.

٦٦ - الرئيس الركن هادي خماس.

٦٧ - الرئيس الركن عرفان.

٦٨ - الرئيس طه ياسين .

٦٩ - الرئيس إبراهيم عباس.

٧٠ - الرئيس أكرم محمود اللامي.

٧١ - الرئيس بهجت سعيد.

٧٢ - الرئيس إبراهيم عبد الرحمن.

٧٣ - الرئيس خضر محمد.

٧٤ - الرئيس عبد الجواد حامد.

٧٥ - الرئيس عبد الستار الجنابي.

٧٦ - الرئيس عبد الله الشاوي.

٧٧ - الرئيس منذر سليم.

٧٨ - الرئيس هاشم عبد الغفور الراوي.

٧٩ - الرئيس نعمة النعمة.

٨٠ - الرئيس أنور عبد القادر.

٨١ - الرئيس عبد الستار الشيخلي.

٨٢ - الرئيس خماس العزاوي.

- الرئيس سامي خليل.

الرئيس طارق نجم.

٨٥ - الرئيس حازم حسن.

٨٦ - الرئيس زكريا طه.

٨٧ - الرئيس سالم سلو الدين.

٨٨ - الملازم الأول سعيد محمد علي.

٨٩ - الملازم الأول محمد حسن شلال.

٩٠ - الملازم الأول كامل إسماعيل.

٩١ - الملازم الأول حاتم حسن الياسين.

٩٢ - الملازم الأول طارق ناجي.

٩٣- الملازم صالح مهدي.

٩٤ - الملازم صلاح الدين بهجت.

٩٥ - الملازم الأول أحمد محسن.

٩٦ - الملازم عزيز عباس.

٧ - الملازم ناظم السعدي.

٩٨ - الملازم عبد المنعم الشيخلي.

٩٩ - الملازم أحمد أبو الجين.

١٠٠- الملازم حافظ علوان.

١٠١ - الملازم حامد مقصود.

١٠٢ - الملازم حبيب شبيب .

١٠٣ - الملازم رشاد سعيد.

١٠٤ - الملازم زهير البنا.

١٠٥ - الملازم سامي مجيد الاطرقجي.

١٠٦ - الملازم عبد الحميد السراج .

١٠٧ - الملازم عبد الرزاق صالح العبيدي .

١٠٨ - الملازم عبد الله الحديثي .

١٠٩ - الملازم عبد الله مجيد.

١١٠ - الملازم عبد الله مصطفى.

١١١ - الملازم عبد المطلب موسى

١١٢ - الملازم عمر محمد الهزاع

١١٣ - الملازم فاضل الساقي .

١١٤ - الملازم قاسم الجنابي .

١١٥ - الملازم محمد حسن شلش

١٠٧ - الملازم عبد الغفار عبد الكريم.

١١٨ - الملازم عبد الكريم جهاد.

١١٩ - الملازم عبد الكريم رفعت.

١٢٠ - الملازم محمد علي سعيد .

١٢١ - الملازم فاضل عباس.

١٢٢ - الملازم عبد الكريم جاسم.

١٢٣ - الملازم شهاب أحمد.

١٢٤ - الملازم علاء الجنابي.

١٢٥ - الملازم عبد الكريم قاسم الخفاف.

١٢٦ - الملازم سالم حسين.

١٢٧ - الملازم عبد الرزاق إبراهيم.

١٢٨ - الملازم كنعان توفيق .

١٢٩ - الرئيس محمد سيد خلف.

* * *

﴿ مبادئ التنظيم وأهدافه ﴾ (١٠)

كان اعضاء اللجنة العليا يتباحثون في مبادئ التنظيم وأهدافه بصورة

متفرقة لا وفق جدول أعمال معين وحسب الظروف والمناسبات وكانوا يتطرقون الى الموضوع الواحد أكثر من مرة ولم يسجلوا أي قرار بحسب الخطة التي اتفقوا عليها بعدم كتابة أي شيء يخص التنظيم كان من بين الأمور التي اتفقوا عليها :

١- اسقاط النظام الملكي وإقامة الجمهورية.

٢ - السلطة التشريعية ويشرف على الوزارة خلال فترة انتقالية قصيرة.

٣- اقامة الجمهورية على اساس النظام الدمقراطي البرلماني واجراء انتخابات حرة وتسليم الحكم الى ممثلي الشعب الحقيقيين.

٤ - تشكيل الوزارة على النحو الآتي :

أ - إما أن تكون غالبية الوزارة من العسكريين وبينهم ثلاثة وزراء مدنيين وهم وزير المالية ، والعدل، والصحة .

ب - وإما أن تتألف الوزارة من العسكريين والمدنيين على أن يكون رئيس الوزراء وزير الدفاع ووزير الداخلية من العسكريين .

٥ - يعود الضباط الى ثكناتهم ومن أراد منهم الاشتغال بالسياسة فعليه الاستقالة من الجيش.

٦ - تأليف مجلس سيادة ثلاثي يتولى صلاحيات رئيس الجمهورية

بصورة مؤقتة الى أن يوضع دستور جديد وتنتهي فترة الانتقال وينتخب رئيس جمهورية حسب الاصول التي يتفق عليها .

٧ - بحث أعضاء اللجنة العليا اكثر من مرة مصير نوري السعيد وعبد الاله والملك فيصل الثاني وكان الاتفاق تاماً حول التخلص من نوري وعبد الإله بمحاكمتهما أمام محكمة ثورية خاصة ، أما مصيرا الملك فلم يبت به ، وقد اقترح مرة باجباره على التنازل عن العرش ثم نفيه الى خارج العراق. وكان الزعيم عبد الكريم قاسم صامتا ولم يبدي رأيه بخصوص ذلك الموضوع [١١] . وسأل عبد الكريم قاسم بعض الساسة المدنيين عن مصير الثلاثة. كان رأي حسين جميل محاكمة عبد الاله

ونوري والابقاء على الملك واجباره على تشكيل وزارة دستورية واجراء

انتخابات حرة ويتوقع ان تفوز بها المعارضة ثم تقرر السلطة التشريعية نفي

الملك واعلان الجمهورية واستشار ايضا ، الاستاذ كامل الجادرجي ء

فعندما سئل عن مصير الملك سأل الجادرجي بدوره عن عدد مايذبح

من الاغنام في بغداد في اليوم الواحد فقيل له (٤٥٠٠٠) فقال ليكن

مايذبح يوم الثورة(٤٥٠٠١) اي يذبح الملك مع ما يذبح من الاغنام.

وقررت الجنة العليا محاكمة بعض رؤساء الوزارات والوزراء السابقين

وكبار موظفي الدولة المدنيين والعسكريين الذين تعاونوا مع الاستعمار

وتطهير جهاز الحكم من الموظفين المدنيين والعسكريين الانتهازيين.

٨ - ذكروا القيام بإصلاحات بتعابير عامة مثل الإصلاح الزراعي كما حدث في مصر و والقضاء على الادواء الثلاثة الفقر الجهل والمرض ، وبالفعل اكدت سياساتهم بعد الثورة ذلك .

٩ - تدعيم الجيش وتسليحه بأحدث الاسلحة وقررت اللجنة العليا ان يكون جميع المتصرفين وبعض المدراء العاملين من ضباط الجيش وأن يكون مدير الشرطة العام ومدير الامن العام وبعض مدراء الشرطة من ضباط الجيش.

١٠ ـ فكروا بحل القضية الكردية بما يضمن مصالح العرب والأكراد باعتبارهما شريكين في الوطن . وهذا ما حدث ، حيث أقر

الدستور المؤقت للجمهورية العراقية ولأول مرة حقوق الأكراد المشروعة.

١١ - الاهتمام الكبير بموضوع فلسطين واعتبار قضية فلسطين القضية القومية الأولى.

١٢ - تحرير العراق من النفوذ البريطاني وتحرير الدينار العراقي من ارتباطه بالجنيه الاسترليني. واتصلوا بمحمد حديد لاستشارته في موضوع ارتباط الدينار بالجنيه الاسترليني [١٢] .

١٣ - خروج العراق من حلف بغداد في وقت مناسب بعد نجاح الثورة

و لم يُقرر الخروج فورا خشية استفزاز دول حلف بغداد وتدخلها.

١٤ - اتباع سياسة الحياد الايجابي واقامة علاقات طبيعية مع دول العالم ومنها دول الكتلة الشرقية الاشتراكية .

***

﴿ الأهداف القومية ﴾ (١٣)

١ - الوحدة العربية، كان يؤمن بها كافة أعضاء اللجنة العليا، ولكن المناقشات التي دارت حول هذا الموضوع لم توجب إعلان الوحدة الفورية إلا في حالة التدخل الأجنبي ضد الثورة.

وأقرت اللجنة العليا إن التضامن الأخوي مع الجمهورية العربية المتحدة . والسير بسياسة التقارب لتحقيق الوحدة العربية أمر ضروري ولا بد منه.

٢ - الخروج من الاتحاد الهاشمي في الأيام الأولى من الثورة، لأنه إتحاد مزيف وحد لخدمة العائلة المالكة وليس لخدمة الشعب العربي .

٣ - المساهمة مع الدول العربية الأخرى من أجل تحرير فلسطين ودعم الشعب الفلسطيني بكل الإمكانيات المادية والبشرية باعتبار مسألة فلسطين هي محور السياسة العربية .

﴿ الأهداف والمبادئ الدولية ﴾ (١٤)

١ - التحرر الوطني وإزالة القواعد العسكرية البريطانية ، لأن استقلال العراق لا يتم إلا بتصفية القواعد العسكرية الجوية في الحبانية والشعيبة والخروج من جميع الاتفاقات العسكرية التي تنتقص من سيادة العراق على أراضيه (١٤).

٢ - الخروج من حلف بغداد ؛ لأنه وجد لخدمة المصالح الاستعمارية في المنطقة وليس من مصلحة العراق البقاء في هذا الحلف ، لم يقرر الخروج منه في أيام الثورة الأولى حتى لا تكون للدول المنظمة تحت

لوائه حجة للتدخل لقمع الثورة .

٣ - إتباع سياسة عدم الإنحياز بين المعسكرين الشرقي والغربي ، وذلك بالخروج من الأحلاف العسكرية وعدم الارتباط بأية إتفاقات عسكرية مع الدول الكبرى وإقامة علاقات حسنة على أساس تبادل المنافع المشتركة بين الدول دون تمييز .

٤ - تحديد العلاقات السياسية والاقتصادية للعراق مع جميع دول العالم على أساس المصلحة الوطنية والقومية .

٥ - إقامة العلاقات الدبلوماسية مع الدول الاشتراكية والصين الشعبية.

﴿ محاولات التغيير قبل ١٤ تموز ﴾

نتقل شهادة المرحوم عبد الوهاب الأمين حول تلك الحاولات حيث قال [١٥] :

« بالرغم من أن الحركات السرية التي بدأت تنشأ داخل المؤسسة العسكرية أخذت تحقق شيئا من العمل الإجرائي بعد العودة من حرب فلسطين عام ١٩٤٨ إلا أنها ظلت حركات صغيرة، وبسيطة، وغير قادرة على وضع خطة فاعلة لتغيير النظام، والقيام بثورة كبرى تتغير فيها مفاصل الدولة؛ لأن الإطاحة بالنظام السياسي القائم شيء، وإدارة بلد مثل العراق شيء آخر. إن جميع تنظيمات الضباط في بداية عملها

السري وقبل تشكيل اللجنة العليا للضباط الأحرار كانت تعاني من عدة نقاط ضعف، بعضها يتعلق بعشوائية العمل، وبعضها الآخر بقلة الخبرة، إلا أن عدم وجود رؤية واضحة وثابتة لمرحلة ما بعد القيام بالثورة وتأسيس الجمهورية يعد أخطر نقطة ضعف عانت منها جميع الحركات السرية، ولكن ذلك لم يمنع بعض الضباط من القيام ببعض المحاولات والتي لم تنفذ لأسباب مختلفة، وأول محاولة حدثت عام ١٩٤٩ أثناء الاحتفال بعودة بعض فرق الجيش من فلسطين، وهذه الحركة خطط لها بعض ضباط الجيش ممن شاركوا فيما بعد بتشكيل اللجنة العليا للضباط الأحرار، ولكن هذه المحاولة لم تنفذ بسبب عدم حضور الملك

فيصل الثاني، ولا حتى رئيس الوزراء، أو الوصي عبد الإله إلى الاحتفالية فقرر الضباط المخططون للعملية التراجع وعدم التنفيذ والمغامرة.

بعد هذه المحاولة بعام خطط عدد من الضباط لتنفيذ محاولة أخرى عام ١٩٥٠ في إحدى المناسبات، ولكنها أُلغيت أيضا لعدم حضور نوري سعيد رئيس الوزراء، غير أن الضباط الأحرار أدركوا جيدا أنه من دون وجود الثلاثي الحاكم الملك والوصي ورئيس الوزراء فإن أي ثورة لن يُكتب لها النجاح، كما أدرك الضباط أنه من الضروري وضع خطة محكمة مبنية على دراسة الموقف الميداني والشعبي لتحقيق الهدف

وضمان النجاح.

وفي عام ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثي على مصر جرت محاولة بقيادة عبد الوهاب الشواف آمر الفوج الثالث باللواء الرابع عشر ، ووصفي طاهر آمر كتيبة المدرعات ، لكن هذه المحاولة ألغيت لعدم ضمان النجاح، وفي العام نفسه حاول الزعيم عبد الكريم قاسم القيام بعملية كبرى، وذلك عند عودة اللواء التاسع عشر الذي كان تحت إمرته من الأردن، وكان من المقرر إجراء احتفالية بمناسبة عودة القطعات العسكرية في معسكر (H3) وقد وضع الزعيم جميع الترتيبات خاصة وأن الاحتفالية سيحضرها الملك فيصل الثاني، والوصي عبد الإله ورئيس الوزراء نوري

سعيد، ورئيس أركان الجيش رفيق عارف، واقتضت خطة الزعيم اعتقال جميع الحاضرين والزحف نحو بغداد إلا أن عدول رئيس الوزراء نوري سعيد عن الحضور أدى إلى إلغاء العملية.

وفي تشرين الأول من عام ١٩٥٦ وضع الزعيم عبد الكريم قاسم خطة لتنفيذ عملية أخرى أثناء إجراء اللواء التاسع عشر تمارين في منطقة المنصورية بمحافظة ديالى، إذ كان من المقرر أن يتحرك اللواء التاسع عشر إلى منطقة السعدية، واقتضت الخطة اعتقال الملك فيصل ومن معه أثناء زيارتهم القطعات في نهاية التمرين، والتحرك باتجاه بغداد وإعلان الثورة إلا أن التمرين تم إلغاؤه في آخر لحظة لأسباب غير معروفة

ولم يعلن عنها.

وإن جميع المحاولات غير الناجحة بدءاً من عام ١٩٤٩ ولغاية عام ١٩٥٦ تمت قبل تشكيل اللجنة العليا للضباط الأحرار، ولكن المحاولات التي تمت بعدها كان للجنة العليا رؤيتها ودورها في وضع الخطط والتوقيتات الخاصة لكل عملية ، ففي مطلع عام ١٩٥٨ وضعت اللجنة العليا لتنظيم الضباط الأحرار خطة للقيام بالثورة في الاحتفال بذكرى تأسيس الجيش، واقتضت الخطة أن يقوم العقيد عبد الرحمن عارف آمر كتيبة المدرعات بمحاصرة القصر الملكي، وتحرك قطعات أخرى تحت إمرة الضباط الأحرار للسيطرة على وزارة الدفاع والإذاعة

والتلفزيون والمنشآت الفاعلة إلا أن هذه العملية ألغيت بسبب عدم موافقة العقيد عبد الرحمن عارف على تنفيذ الخطة بذريعة عدم كفاية الذخيرة.

وبدأ عمل اللجنة العليا لتنظيم الضباط الأحرار يتحرك بوتيرة عالية خاصةوأن التنظيم بات أكثر نضجا، ففي عام ١٩٥٨ وضعت اللجنة العليا خطة للقيام بعملية إلا أن معظم أعضاء اللجنة لم يكونوا متحمسين لها، لأن نسبة النجاح كانت قليلة، فضلا عن أن جزءا كبيرا من هذه الخطة يعتمد على الضباط من الحركة البديلة، ولم يكن أمام اللجنة إلا تكليف ثلاثة ضباط وهم العقيد الركن عبد الوهاب الشواف

، والعقيد الركن رفعت الحاج سري ، والمقدم وصفي طاهر بتنفيذها والإشراف عليها، وكانت الخطة تعتمد على اللواء الخامس عشر الذي كان يقوم بتدريبات في منطقة الحبانية، حيث كان من المقرر أن يعسكر اللواء الخامس عشر أثناء توجهه من مقره في محافظة البصرة في منطقة الحبانية غرب بغداد، وعند دخول اللواء بعد منتصف الليل إلى العاصمة يقوم بتنفيذ العملية وإعلان الثورة، وكان ذلك في منتصف عام ١٩٥٨ ، لكن الآراء كانت متباينة بين أعضاء اللجنة بشأن هذه الحركة، فعبد الكريم قاسم أيد الحركة ورأى ضرورة دعمها وإسنادها رغم عدم قناعته بنجاح الخطة أما أعضاء اللجنة الآخرون فقد رفضوا الخطة بكافة

تفاصيلها، وبرز رأيان ،

الأول اعتبرها مجازفة عسكرية لن تحقق نتائج إيجابية لقلة القطعات العسكرية المسؤولة عن التنفيذ، أما الرأي الآخر فكان يرى بأن أي تحرك عسكري لا بد أن يكون عن طريق اللجنة العليا للضباط الأحرار. وهذه المحاولة فشلت أيضا، لأنها لم تُنفذ بسبب عدم دخول اللواء إلى بغداد فضلا عن صدور أوامر من رئاسة أركان الجيش بنقل اللواء من الحبانية إلى البصرة عن طريق القطار وليس عبر الآليات العسكرية، ورغم فشل المحاولة إلا أنها كشفت عن أمرين مهمين، الأول هو الاختلاف والتباين الشديد بين أعضاء التنظيم، والثاني هو زيادة السرية

وأخذ الحيطة والحذر بشكل أكبر، لأن قرار نقل الضباط عبر القطار ومن دون آلياتهم العسكرية كشف أمام اللجنة بأن رئاسة أركان الجيش كان لديها شكوك أو معلومات عن الخطة بالرغم من أن البعض كان يعتقد أن هذه الحركة لم تكن مكشوفة من قبل النظام وأن قرار نقلهم من دون معداتهم العسكرية مجرد مصادفة أو اجراء احترازي تتخذه قيادة الأركان العامة عن تحرك القطعات، وطلبت اللجنة العليا مني بوصفي معاون مدير الحركات العسكرية تقديم تقرير حول إمكانية إيجاد حل لمسألة تحرك القطعات، فأخبرتهم أن الطريقة الوحيدة التي يمكن جعل القطعات تتحرك بكامل معداتها وأسلحتها لا يتم إلا بكتاب إداري

رسمي موقع من مدير الحركات العسكرية أو من ينوب عنه. »

* * *

في خضم تلك التوترات السياسية والاجتماعية التي شهدها العراق خلال سنوات ما قبل ثورة ١٤ تموز، برز تنظيم الضباط الأحرار كقوة وطنية تسعى لتغيير الواقع المتأزم. رغم التحديات الداخلية والخارجية، نجح هؤلاء الضباط، بقيادة عبد الكريم قاسم، في بناء رؤية مشتركة قامت على مبادئ وطنية واضحة تهدف إلى إنهاء النظام الملكي وإرساء حكم جمهوري يعكس تطلعات الشعب العراقي.

هذا التنظيم لم يكن مجرد تجمع عسكري، بل حركة سياسية واجتماعية تحمل في طياتها أمال وأحلام جيل كامل من الشباب العراقي. وفي هذا الفصل، تعرفنا على المبادئ التي حملها الضباط الأحرار، ومحاولاتهم المستمرة لتغيير واقع العراق قبل اللحظة الحاسمة التي ستقود إلى الثورة.

أما الفصل القادم، فسيأخذنا خطوة إلى الأمام نحو انطلاق الثورة ذاتها، مع تسليط الضوء على ممهّداتها، مراحلها، وأبرز إنجازاتها، حيث يبدأ عبد الكريم قاسم بالظهور كزعيم فرض نفسه في قلب الحدث والتاريخ.

صورة تاريخية نادرة تجمع الزعيم عبد الكريم قاسم مع عدد من الضباط الأحرار



الزعيم عبد الكريم قاسم ويظهر الى جانبه ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية , وطاهر يحيى مدير الشرطة , محي الدين عبد الحميد قائد الفرقة الرابعة وخليل سعيد قائد الفرقة الثالثة اوائل ايام الثورة



(١) ليث عبد الحسن الزبيدي ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٠٣ .

(٢) كان عبد الكريم قاسم من عائلة فقيرة أيضاً فكان والده نجارا في محلة قنبر علي . انظر : عبد الكريم الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص ٥.

(٣) للمزيد عن تنظيم الضباط الأحرار. انظر : الدكتور حميد كاظم ، محاضرات في تاريخ العراق المعاصر (١٩١٤ - ١٩٦٧) ، جامعة ديالى ، ص ٣٤٠ ؛ حامد الحمداني ، صفحات من تاريخ العراق المعاصر من الاحتلال البريطاني حتى ثورة ١٤ تموز ، الكتاب الثاني ، ص ٢٥ ؛ د. فاضل حسين ،،سقوط النظام الملكي في العراق ،

منشورات مكتبة آفاق عربية ، بغداد ، ص ٤٥ .

(٤) أ.د. صالح عباس ناصر ، أبحاث في تأريخ العراق الحديث ، ١٩١٩ - ١٩٦٣ ، ص ٤٨٥ .

(٥) يُعد الضابط رفعت الحاج سري من أوائل من طرحوا فكرة تشكيل تنظيم عسكري سري يهدف إلى إسقاط النظام الملكي في العراق. وُلد في بغداد سنة ١٩٢٢ ، وكان معروفاً بين زملائه بوعيه السياسي المبكر ورفضه للواقع المتردي في البلاد. بدأ يجمع حوله ضباطًا يشاركونه الغاية نفسها في بداية الخمسينيات، وكان من بينهم عبد الكريم قاسم، الذي أصبح لاحقًا قائد الثورة.

لكن العلاقة بينه وبين قاسم لم تكن متساوية في التأثير. ففي الوقت الذي كان فيه رفعت يركّز على التنظيم والتواصل، برز قاسم لاحقًا كقائد قوي يتمتع بالكاريزما والقدرة على الحسم، مما جعله يتقدم الصفوف يوم اندلاع الثورة عام ١٩٥٨ ، بينما ظل رفعت في الظل، ولم يحصل على موقع قيادي في الدولة الجديدة.

(٦) ليث عبد الحسن الزبيدي ، المصدر السابق الذكر ، ص ١١٢ ؛ حامد الحمداني ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٦ .

(٧) د. فاضل حسين ، المصدر السابق ، الذكر ص ٤٤ .

(٨) ليث عبد الحسن الزبيدي ، المصدر السابق الذكر ، ص ١١٣ .

(٩) نفسه .

(١٠) د. فاضل حسين ، المصدر السابق الذكر ، ص ٥٦ .

(١١) لم يثبت على الزعيم عبد الكريم قاسم أنه أمر بقتل الملك نفسه او افراد عائلته ، و يقول ابن شقيقه الاستاذ عبد الله حامد قاسم : « عرفت من خلال حديثه - اي عبد الكريم قاسم - مع الضباط انه لم يكن موافق على مقتل الملك ، وذهب الى مدينة الطب ـ أو المجيدية كما كانت تسمى ـ لزيارة الملك وهو في الرمق الاخيرة ، وقد كان غاضباً

من تلك الفعلة ويشعر بالالم ويستغفر الله » . انظر : مجلة اوراق من

ذاكرة العراق ، العدد ٢٢ ، شباط ٢٠١٤ . وفي يوم الثورة قال

المرحوم عبد الكريم الجدة لقاسم : « سيدي الزعيم ، أن الملك في

المستشفى » . فقال الزعيم عبدالكريم قاسم : « ما كنا قررنا قتل الملك

اما الوصي فإلى جهنم وبئس المصير » . انظر : عبد العباس عبد الجاسم

، عبد الكريم قاسم حقيقة التاريخ وتاريخ الحقيقة ، شهادة طالب حامد

قاسم ، ص ٥٨ . وكذلك يؤكد ذلك الرأي عبد الوهاب الامين الذي

كان في تنظيم الضباط الأحرار وشارك في الثورة . انظر : عبد الوهاب

الامين ، القائد المجهول لثورة ١٤ تموز .

(١٢) اختير محمد حديد وزيرا للمالية في وزارة الثورة الاولى .

(١٣) ليث عبد الحسن الزبيدي ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٤١ .

(١٤) ليث عبد الحسن الزبيدي ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٤٢ .

(١٥) علي جاسم السواد ، القائد المجهول لثورة ١٤ تموز ، مكتبة النهضة العربية ، ٢٠١٩ ، ص ٨٧ ؛ ليث عبد الحسن الزبيدي ، المصدر السابق الذكر .

الفصل الثالث

قاسم يفجر الثورة أخيراً

﴿ الضرورة التاريخية للثورة ﴾

بعد إعلان بريطانيا تأسيس الدولة العراقية، وتنصيب الملك فيصل بن الحسين ملكاً على العراق، بدأ البلد مرحلة جديدة لم تختلف كثيراً عمّا سبقها، سوى في شكل الدولة وهياكلها السياسية. أصبح الحكم قائماً على الملك وبلاطه، وهي أعلى سلطة في البلاد، لكن هذا النظام لم يتمكن من معالجة المشاكل الحقيقية التي عانى منها العراق بعد قرون من الاحتلال العثماني [1] . كان النظام الملكي يعتمد بشكل كبير على دعم القوى الخارجية، وخاصة بريطانيا، لتنفيذ سياساته ومواجهة خصومه. منح السلطة والنفوذ لبعض الشخصيات المقرّبة منه،

وزع المناصب في الحكومة والبرلمان وأجهزة الدولة، مما زاد من تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وبدأ يؤدي إلى تفكك المجتمع العراقي، خصوصاً مع فرض سياسات التمييز الطائفي والعرقي، وتزوير الانتخابات لصالح جماعات معينة على حساب أخرى.

تحولت المؤسسة التشريعية إلى وسيلة لصنع نفوذ الإقطاعيين والموالين للنظام، وتم قمع الأحزاب المعارضة وسجن قادتها وتعذيبهم، بل وحتى إعدام بعضهم. في آب عام ١٩٢٢ ، صدر قانون الأحزاب والجمعيات، وشُكلت بعض الأحزاب مثل "الوطني" و"النهضة" و"الحر"، لكنه لم يكن فعّالاً لأنه خضع لهيمنة المندوب السامي البريطاني، وفي عام ١٩٢٥

أقدمت حكومة ياسين الهاشمي على تجميد النشاط الحزبي بموافقة الملك فيصل الأول، في أجواء مليئة بالدسائس والمصالح الشخصية [٢].

تأسست الدولة العراقية منذ بدايتها على أساس ضعيف، إذ كانت نتاج تقسيم الدول الاستعمارية الكبرى للمنطقة، وهدفت إلى إنشاء دول يسهل التحكم بها. وكان العراق إحدى هذه الدول، أُقيمت بمساعدة بريطانيا وبالتعاون مع بعض الشخصيات المحلية. استند النظام الملكي إلى ثلاث ركائز: السيطرة البريطانية، الطبقة البرجوازية الكبيرة، والإقطاع. وكانت هذه القوى الثلاث تحمي مصالحها عبر النظام الحاكم، الذي وقف ضد الحركة الوطنية التي طالبت بحكم حقيقي يمثّل تطلعات

الشعب [٣] .

في الواقع، اعتمد النظام على الكذب المتواصل على الشعب، لدرجة أن بريطانيا اعتبرت فيصل أداة طيّعة يمكنها الاعتماد عليه، وقد حكم العراق بالتعاون مع الضباط البريطانيين. وعندما توفي فيصل، شعرت بريطانيا بالحزن لفقدانه ، لأنه كان يضمن مصالحها في العراق [٤] .

رغم أن النظام كان "برلمانياً" من حيث الشكل، إلا أن ذلك لم يكن سوى غطاء لإخفاء الديكتاتورية. فعندما كان بعض الوطنيين يصلون إلى البرلمان، كانت السلطة تقوم بحله، وتغلق الصحف، وتفرض الأحكام العرفية، وتزوّر الانتخابات لصالح أتباعها.

ولعل أبرز الأمثلة على هذا التزوير ما رواه عبد الكريم الأزري، حيث بلغه خبر فوزه في الانتخابات دون أن يرشح نفسه أصلاً! فقد استيقظ ذات صباح ليجد نفسه نائباً عن لواء العمارة دون أن يعلم بذلك، وهو ما يعبّر عنه الجواهري قائلاً: « وأصبح وزيراً مثلما أصبحت نائباً بأمرٍ في الليل » (٥) .

والادهى من ذلك، أن النظام كان يستخدم "الشقاوات" لترهيب الناخبين، وأشهرهم كان أبو الهوب (٦) .

أما بالنسبة لانضمام العراق إلى حلف بغداد، فقد تم بدفع من السفير الأمريكي في بغداد وبدعم من بريطانيا، التي رأت في الحلف وسيلة

لتعزيز نفوذها في المنطقة. وقد صرّح وزير الخارجية البريطاني في٥ نيسان ١٩٥٥ بأن الحلف زاد من قوة بريطانيا وصوتها في الشرق الأوسط [٧] . كما قال تشرشل إن بريطانيا حكمت العراق لمدة ٣٥ سنة دون احتلال عسكري مباشر [٨] ، لأن حكمها كان يتم من خلال طبقة حاكمة محلية موالية لها، بينما كان العالم يشهد تحولات كبيرة وظل حكّام العراق يفكرون بعقلية قديمة [٩] .

وقد اختارت بريطانيا فيصل ليكون ملكاً على العراق لأنها رأت فيه الشخص الأنسب لتحقيق أهدافها، وكان الوحيد الذي فهم التحديات وفق المعايير الغربية. وكانت بريطانيا مسرورة بوجوده على العرش [١٠] ،

خصوصاً وأنها كانت تدير عرشه في العراق، وعرش أخيه عبد الله في الأردن، من خلال المستشارين البريطانيين الذين سيطروا على كل مفاصل الدولة [١١] . وهذا يعني أن فيصل وعبد الله كانا مجرد واجهات لحكم فعلي تديره بريطانيا [١٢] .

وتشير أقوال تشرشل إلى أن تنصيب فيصل كان خطوة لزيادة نفوذ بريطانيا، وقد وصفه بأنه فشل في سوريا، لذا نُقل إلى العراق [١٣] . كما اعترفت بريطانيا بأن جميع الوزراء العراقيين كانوا تحت تأثير مستشاريها [١٤] .

كما أن سياسة الحكومة العراقية لعبت دورها في تفكير الضباط الأحرار

والأحزاب بالعمل الثوري، هذه السياسة التي كانت تسير وفق الخطط التي وضعتها بريطانيا، وقام بتنفيذها على أكمل وجه نوري السعيد [١٥]

، الذي كان منفذا للمصالح البريطانية في الوطن العربي، حيث أثبت إخلاصه التام للإنجليز، من خلال سياسته المناهضة للحركات والأحزاب الوطنية، وتأييده للأحلاف العسكرية مع بريطانيا. كما لعب نوري السعيد دور في التصدي للاتجاه السياسي الداعي الى ان يحكم العراق رئيس عراقي حسب الشعار المعروف (العراق للعراقيين) وقد وجه السعيد ضربة قوية لهذا الاتجاه بأشرافه على اغتيال وزير الداخلية توفيق الخالدي عام ١٩٢٠ وقد أثر اغتيال الخالدي على هذا النهج الوطني

والذي انزعج نوري منه [١٦] .

وسياسة العزلة التي فرضها على العراق وإبعاده عن الركب العربي، كما أن السياسة الاقتصادية والتجارية كانت تخدم مصالح بريطانيا [١٧] .

وكان من أهم العوامل التي شجعت الضباط العراقيين في مختلف صفوف الجيش على التفكير في تنظيم خلايا ثورية هي القضية الفلسطينية واستيلاء اليهود على أرضفلسطين ١٩٤٨ ، حيث جاءت نتيجة الحرب مخيبة لآمال الشعب الذي صدم بها، فقد كان يأمل الشعب في أن يحقق الجيش انتصاره في هذه الحرب، لكن آمال ضباط الجيش خابت وتركت تأثيرا سلبيا في نفوسهم، وكشفوا عن حقدهم على

العائلة المالكة في كل من الأردن والعراق، واتهموها بخدمة المصالح البريطانية ، والتعاون مع اليهود ضد فلسطين [١٧] .

وهكذا خذلت الحكومات العربية ومنها حكومة العراق جيوشها وشعوبها، وتخلت عن فلسطين، وعاد الجيش العراقي ناقما على هذه السياسة وعلى حكومة بلاده. ثم بعد ذلك كانت وثبة كانون ١٩٤٨ ، بالعراق حيث اجتاحت المظاهرات الشعبية مدن العراق كافة كرد فعل على محاولة حكومة صالح جبر - نوري السعيد في فرض معاهدة

بورتسموث [١٩] مع بريطانيا، وكرد فعل على موقف الحكومة في القضية الفلسطينية، وتم التصدي لتلك المظاهرات بسفك دماء المئات

من أبناء الشعب، الذي صمم على مواصلة الكفاح واستطاع إسقاط الوزارة وإلغاء معاهدة بروتسموث [٢٠] .

وكان للثورة المصرية في ٢٣ تموز ١٩٥٢ ، تأثيرها كذلك على الشعب العراقي وأحزابه وتنظيماته العسكرية، حيث كانت سبب آخر في دفع الضباط العراقيين للبدء بالعمل من أجل التخلص من النظام الملكي، وتم تشكيل اللجنة العليا للضباط الأحرار العراقيين على شاكلة الضباط الأحرار المصريين [٢١] ، حيث وضعت اللجنة برنامجا يقوم على أساس أهداف تتمثل أساسا في إنهاء الملكية وإعلان الجمهورية، والتخلص من التبعية لبريطانيا، وتشكيل حكومة ديمقراطية شعبية، وغيرها من

الأهداف التي نص عليها البيان الأول للثورة العراقية والذي أعده عبد الكريم قاسم [٢٢].

وزادت نقمة الشعب والمعارضة بعد انضمام العراق إلى حلف بغداد، والذي كان سببا كذلك من أسباب الثورة العراقية ١٤ تموز ، هذا الحلف الذي ضم كلا من العراق، تركيا، إيران، باكستان بريطانيا، وكانت أمريكا عضوا مراقبا فيه [٢٣] . وكان نوري السعيد هو الذي طرح فكرة تقارب دول المنطقة من أجل أن يعطي العراق الهيمنة على العالم العربي، بفضل تحالف العراق مع هذه الدول، طمعا في تمويله بالأسلحة . وبهذا تم تأسيس حلف بغداد بفكرة من نوري السعيد هذا

الأخير كان في معركة مع جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية آنذاك، معركة أضعفت نوري السعيد وصورته كخائن للأمة العربية الإسلامية وبأنه عميل لبريطانيا، وذلك من خلال الدعاية المصرية التي لعبت دورا كبيرا في هذه المعركة بين الرجلين واستطاعت تأليب الشعب العراقي وتحريضه ضد نوري السعيد [٢٤] . فتجمعت كل تلك العوامل ليخرج الجيش العراقي أخيراً ، وينهي النظام الملكي والى الأبد وبقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم.

* * *

﴿ اجتماعات الزعيم عبد الكريم قاسم وتخطيطه للثورة ﴾

إن قيام الزعيم عبد الكريم قاسم بواجباته في العينة على الوجه الأكمل ، واتصاله بنوري السعيد بحكم ذلك العمل والواجبات وثناء نوري السعيد عليه وإعجابه به ، من الأمور التي لم تدع شكاً لدى كبار الضباط من ان الزعيم هو موضع ثقة نوري السعيد واعتماده عليه ، وأن كل ما يقال عن عبد الكريم قاسم كونه من المشتغلين ضد الحكم القائم والنظام الفاسد ليس بصحيح [٢٥] .

وقد استغل الزعيم عبد الكريم هذا الاعتقاد واتخذه درعاً يقيه كيد

الوشاة والخائنين ، واستغلها فرصة لتحقيق غاياته وأهدافه فراح يكثر

من اجتماعاته بالأشخاص المعروفين بالوطنية والإخلاص ويتصل برفاقه

من الضباط الأحرار ، معهم المسائل العامة ويبين لهم تردي الأوضاع

في العراق ويندد احكم فيه ويوهج نار الحماس والوطنية ، ويدعوهم الى

الكتمان والحذر ويضع الخطط اللازمة لالتقاط الأخبار من أروقة

وزارة الدفاع بكل الوسائل الممكنة للاطلاع على ما يجري فيها، وقد

وفق بأن يكون لديه في كل دوائر وزارة الدفاع ضابط مخلص او اكثر

من ضباط يعتمد عليهم ولم تكن اتصالاته بالضباط الاحرار قاصرة على

الموجودين في بغداد وانما من المواقع العسكرية في الموصل وكركوك

والمسيب و البصرة [٢٦] وكان يعتمد السفر خارج العراق بالإجازة ليستطلع الأحوال من بعيد بإخوانه الاحرار من السوريين والفلسطينيين ويتجاذب معهم الاحاديث الوطنية والسياسية وفي مقدمتها احداث الساعة [٢٧].

* * *

﴿ مؤتمر الكاظمية وعبد الكريم قاسم ﴾

قبل الهجوم الثلاثي في سنة ١٩٥٦ ، كان قد قرر ثلاثة من الضباط الأحرار (جماعة عبد الكريم قاسم) [٢٨] عقد اجتماع مع العقيد الركن إسماعيل العارف في حديقة شقيقه

قاسم ودعاه الى هذا الاجتماع للتداول في شؤون الثورة المرتقبة على الحكم الفاسد ، فرفض الزعيم الاجتماع عندما علم باسمائهم الا ان الزعيم عبد الكريم قاسم طلب من العقيد إسماعيل العارف ان يجتمع بهم ويخبره بما دار بينهم وقد تم الاجتماع ، وبعد انتهائه وصل خبر هذا الاجتماع الى مسامع نوري السعيد (وهذا ما توقع الزعيم عبد الكريم قاسم) (٢٩) ، فأمر بمراقبة إسماعيل العارف الذي كان يشغل من سكرتارية رئيس أركان الجيش ومراقبة الحديقة المذكورة التي عقد فيها الاجتماع.

وقد أخذ مدير الأمن آنذاك (بهجة العطية هذا الامر على عاتقه ورفع

تقريرا الى نوري السعيد بأسماء اثنا عشر ضابطا يتهمهم بالافكار اليسارية ، فاستفسر نوري السعيد من مرافقه ذلك الوقت كان العقيد (عبد الرزاق عبد الرحمن الجدة) ، عن أولئك الضباط وعما اذا كانت لهم اتجاهات شيوعية ، فنفى العقيد عبد الرزاق الجدة التهمة المذكورة عن الضباط المؤمى اليهم [٣٠] ، ولكن نوري السعيد لم يقنع بذلك فاتصل (برفيق عارف) رئيس اركان الجيش ، وامره ان يشدد الرقابة على سكرتيره إسماعيل العارف، كما امره ان يستدعي الزعيم عبد الكريم قاسم من معسكر المنصور لمواجهته ، ولما قدم الزعيم عبد الكريم قاسم الى بغداد اسرع عبد الكريم الجدة واخبره بما نور به أخوه عبد

الرزاق الجدة الذي كان مطلعاً على تفاصيل هذا الموضوع، ومع ان هذا الموضوع كان بالنسبة للزعيم على غاية من الخطورة [٣١] ، نظراً الى كثرة الشبهات ولم يبد عليه أي اهتمام [٣٢] انما ذهب الى مواجهة رفيق عارف ، واستفسر منه عن أسباب صداقته الوثيقة مع إسماعيل العارف وأشار اليه بلزوم ترك هذه الصداقة، اما الزعيم عبد الكريم قاسم ردّ عليه بقوله [٣٣] : « إن إسماعيل العارف هو تلميذه وانه ضابط ممتاز » ثم قال له: « إن أشرتُ انا عليك بمثل هذا الطلب لترك احد اصدقائك المخلصين فما موقفك؟! » سكت برهة ثم قال : « عليك ان تلبث ببغداد ريثما يطلبك نوري السعيد» فبقي الزعيم عبد الكريم قاسم مدة ثلاثة أيام

طلبه نوري السعيد ولما دخل عبد الكريم قاسم ديوان الوزارة استقبله العقيد عبد الرزاق الجدة مرافق نوري السعيد وتعمد نوري إدخاله على نوري السعيد في فرصة ملائمة ، فيدخل علي الشرقي الوزير السابق على السعيد ، حيث كان يأنس الى قدومه ، وينشرح الى محادثته ، ففي هذا الوقت دخل الزعيم عبد الكريم قاسم على نوري السعيد ،فسلم عليه مبتسماً كما هو شأنه وقال له الزعيم عبد الكريم قاسم : « كنا نترقب زيارتكم لنا بمعسكر المنصور » ، فأجابه نوري السعيد « سأزور معسكركم ومعي كيساً من الاسمنت » ، وقد أراد بالتلويح بكميات كثيرة التـي طلبها الزعيم عبد الكريم قاسم لتبليط شوارع معسكرات الجيش في

المنصور، فأجابه عبد الكريم قاسم [٣٤] : « إنك إن زرتنا فان الخير سيأتينا هو أثمن من الأسمنت . » فأجابه نوري السعيد : انني لا أشك بصدقك واستقامتك يا عبد الكريم اطلب اليك ان تخبرني اذا كنت قد حضرت اجتماعاً سياسياً او انك متصلاً بجهة سياسية ؟!! » [٣٥] .

فأجابه الزعيم عبد الكريم قاسم : « ما دمت قد اعترفت لي بالاستقامة والصدق فان المستقيم والصادق لا يقول غير الصدق واما الكاذب فانه يكذب وان اقسم اليمين ، فاني لم اجتمع بجهة سياسية ولم احضر أي اجتماع سياسي ، ومن نقل اليك خلاف هذا فانه كاذب » فلم يشك نوري السعيد في صحة قوله.. واتصل تليفونياً برفيق عارف واعلمه بان

عبد الكريم قاسم قد واجهه وهو لا يرى حاجة ببقائه في بغداد وبإمكانه العودة الى لوائه في معسكر المنصور [٣٦]، جرى هذا في الوقت الذي كان فيه الزعيم عبد الكريم قاسم يحتفظ بخطة الرابع عشر من تموز في جيبه مع كافة البيانات التي كانت قد اعدها منذ ذلك الوقت وهو رابط الجأش مع ان العثور عليها بحيازته كانت عاقبتها وخيمة لا جدال .

* * *

الزعيم عبد الكريم قاسم متحدثاً مع الباشا نوري السعيد



﴿ ساعة الصفر ﴾ [٣٨]

لقد كانت الخطة التي وضعها الزعيم عبد الكريم قاسم للقيام بالحركة بعد أن صدرت الأوامر الى اللواء العشرين بالتحرك من جلولاء الى الأردن مرورا ببغداد تتضمن ما يلي :

١ - خداع الزعيم احمد حقي بتركه مقتنعا بأن أوامر قيادة الجيش ستنفذ بالتقدم الى الفلوجة عبر بغداد ، ومن الفلوجة يبدأ التحرك إلى عمان .

٢ - يطلب من الزعيم احمد حقي ان يكون على رأس الجزء الأول من

القوات الزاحفة والتي ستتوقف عند الفلوجة ، فإذا ما وصلها ، تبادر القطاعات التي تخلفت في الطريق إلى القيام بالاستيلاء والسيطرة على بغداد .

٣ - يضلل الزعيم أحمد حقي عن سبب تخلف القطعات في الطريق ، بتقديم معلومات وحجج مختلفة ، وإبعاد أية شبهة أو شك قد يساوره عن السبب الحقيقي للتخلف وعن المسافات البعيدة التي تفصل القطعات بعضها عن البعض الآخر ، او عدم التحاقها به.

٤ - لا يلقى القبض على الزعيم أحمد حقي أنباؤها إلى القيادة العليا ، أو الجهات المسؤولة أثناء القيام بالحركة لئلا تتسرب.

٥ - يتولى اللواء التاسع عشر الذي أمره عبد الكريم قاسم مهمة تأمين ظهر القوات الزاحفة إلى بغداد واعتقال اللواء غازي الداغستاني قائد الفرقة الثالثة .

٦ - عدم إخبار القوات الزاحفة الى الأردن بما ستقوم به في بغداد من اعلان الثورة لئلا يشتد الحماس عند الضباط والجنود وبالتالي تصل اخبار ذلك إلى السلطات العليا

٧ - إبلاغ الضباط الأحرار الذين سيقومون بمهام التنفيذ في بغداد وعدم ابلاغ أي ضابط آخر للمحافظة على السرية والمباغتة ومنعا لتسرب أخبار الثورة .

وجرت الأحداث بعد ذلك على النحو التالي :

كان الزعيم أحمد حقي في مقدمة القوات الزاحفة ، وعندما كان يسأل عن انتظام القطعات في مسيرتها ، أو عن سبب تخلف البعض منها ، كان العقيد عبد السلام يختلق مختلف الأسباب والأعذار لتبرير ذلك ويطمئنه على أن كل شيء يسير على ما يرام ، وأمكن خداعه حتى وصل إلى الفلوجة [٣٩]

وقام الرائد الركن قاسم أحمد الجنابي باعتقال اللواء الركن غازي الداغستاني والسيطرة على مقر الفرقة الثالثة في بعقوبة ، وكان يجتمع آنئذ في منزل الرائد عبد الستار عبداللطيف ستة ضباط بانتظار بدء

الحركة وهم :

الرائد الركن جاسم العزاوي ، والرائد الركن ابراهيم جاسم التكريتي .والرائد عبد الستار عبد اللطيف ، والرائد محمد مجيد ، والرائد الركن ابراهيم عباس ، والمقدم وصفي طاهر .

وعندما تمت ، انطلقوا في سيارتين خاصتين لملاقاة القوات وبملابسهم المدنية ، وهم يحملون ملابسهم العسكرية ملفوفة ، الزاحفة على بعد خمسة عشر كيلومترا عن بغداد ، فالتحق ثلاثة منهم بهذه القوات وقام الباقون منهم بمهمة الادلاء على المراكز الهامة والتي يجب الإستيلاء عليها

فتفرقت هذه القوات إلى ثلاث مجموعات لاحتلال كل من قصر الرحاب ، وبيت نوري السعيد ، ودار الاذاعة ، ومقر شرطة القوة السيارة ، ودائرة البريد والبرق والهاتف ، والجسور ، ووزارة الدفاع وبعض المراكز الهامة الأخرى .

لقد كان اللواء العشرون الذي كان يقوده الزعيم أحمد حقي مكونا من ثلاثة أفواج يقود الفوج الأول العقيد عبد اللطيف الدراجي . والفوج الثاني يقوده العقيد الركن ياسين محمد رؤوف الذي لم يكن من الضباط الأحرار ، ويقود الفوج الثالث العقيد الركن عبد السلام عارف.

وقد قرر الضباط الأحرار إعتقال العقيد الركن ياسين محمد رؤوف وكلف النقيب فاضل الساقي والملازم كريم جاسم بذلك ولكنهما تأخرا في اعتقاله مما اضطر العقيد الركن عبد السلام عارف إلى أن يبادر بنفسه الى القيام بهذه المهمة ، فعرض على العقيد رؤوف الاشتراك بالحركة ، إلا أنه رفض فاعتقله ؛ وبسبب ذلك تأخرت الحركة بعض الوقت ، وحدثت البلبلة بين الضباط الأحرار ، وأراد البعض منهم التخلي عن الحركة والعودة إلى بغداد، إلا أن العقيد الركن عبد السلام عارف أصر على المضي بالمهمة مهما كلف الأمر ، ووزع العتاد على القطعات العسكرية ثم تفرقت كل حسب الهدف المرسوم لها مسبقا

علما بأن العقيد عبد السلام عارف هو الذي دبر هذا العتاد واحتفظ به إلى يوم الثورة وكانت لهذه الأسلحة أهمية كبرى في إنجاح مهمة السيطرة على معسكر الرشيد والاذاعة حيث لم يكن عند القوات الزاحفة عتاد يكفي للسيطرة على هذه المراكز الحساسة [٤٠].

* * *

﴿ السيطرة على معسكر الرشيد ﴾ [٤١]

تعتبر خطة الاستيلاء على معسكر الرشيد من أهم وأخطر خطط الثورة ، لأنجاح الثورة كان موقوفا على نجاح السيطرة على هذا المعسكر ، لأن

الفريق الركن محمد رفيق عارف رئيس أركان الجيش ومن رجال النظام الملكي البارزين لو استطاع أن يفلت من قبضة الضباط الأحرار ، وأن يتصل بنوري السعيد لباءت الحركة بالفشل .

وقد وضعت خطة الاستيلاء على معسكر الرشيد في الاجتماع الذي جرى يوم الخميس المصادف ١٠ تموز ١٩٥٨ في منزل الرائد عبد الستار عبد اللطيف ، وأنيطت مهمة الاستيلاء على المعسكر بالرائد الركن جاسم العزاوي والرائد عبدالستار عبد اللطيف والرائد ابراهيم جاسم التكريتي .

بدأ تنفيذ الخطة في الساعة الرابعة من صباح ١٤ تموز ١٩٥٨ بعد أن وصلت الإشارة المتفق عليها بالتنفيذ ، وهي وصول صناديق العتاد التي

استلمها الرائد ابراهيم جاسم التكريتي ، والملازم حردان عبد الغفار التكريتي من العقيد عبد اللطيف الدراجي آمر الفوج الأول.

وفور وصولهما اتجه الرائد الركن جاسم العزاوي مع الملازم علاء الجبابي ، لاعتقال رئيس أركان الجيش الفريق الركن محمد رفيق عارف فطوق منزله بعد أن تمت السيطرة على الحرس المكلف بحمايته ، وطلب منه بعد ذلك الاستسلام ، وقد فعل دون مقاومة ، ووضع في سجن خصص له من قبل.

ثم توجه رجال الحركة نحو الباب الرئيسي للمعسكر لمنع دخول أي كان عدا الضباط الاحرار وارسال الضباط الآخرين الى منازلهم. وامكن

السيطرة عليه بوضع سيارة في مدخله ، وبعد اتمام هذه المهمة، تجمعت الدبابات ، والقى بعض الضباط الأحرار كلمة وطنية حماسية على الضباط والجنود الحاضرين اعلى فيها قيام الثورة ، فتحركت الدبابات بسرعة غير اعتيادية وتوجهت إلى مركز قوة الشرطة السيارة فاستولت عليه بدون أية مقاومة .

ثم أرسلت قوة إلى دار السفارة الامريكية للمحافظة عليها من غضب الجماهير ولمنع التجاء نوري السعيد إليها .

* * *

﴿ احتلال الاذاعة وإعلان البيان الأول للثورة ﴾ [٤٢]

وصل العقيد الركن عبد السلام عارف إلى دار الاذاعة في الصالحية واحتلها دون اطلاق رصاصة واحدة ، واتخذ له مقراً مؤقتاً في مبنى جمعية الشبان المسلمين بجوار الاذاعة ، ثم نقله إلى دار الاذاعة ، وانتظر حتى الساعة السادسة صباحاً ، موعد بدء البث ليحضر الموظف المختص ويفتتح الاذاعة . وأذيع البيان الأول للثورة مباشرة عدة مرات ثم مراسيم تأليف مجلس السيادة ومجلس الوزراء . وكانت البيانات هذه قد كتبت مسبقاً من قبل الزعيم عبد الكريم قاسم .

و جاء في البيان الأول للثورة [٤٣] :

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشعب العراقي الكريم

بعد الاتكال على الله و بمؤازرة المخلصين من أبناء الشعب والقوات الوطنية المسلحة أقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة الفاسدة التي نصبها الاستعمار بحكم الشعب والتلاعب بمقدوراته لمصلحتهم وفي سبيل المنافع الشخصية.

أيها الإخوان

إن الجيش هو منكم واليكم وقد قام بما تريدون وأزال الطبقة الباغية التي استهترت بحقوق الشعب فما عليكم إلا أن تؤازره، واعلموا أن الظفر لا يتم إلا بترصينه والمحافظة عليه من مؤامرات الاستعمار وأذنابه ، وعليه فإننا نوجه إليكم نداء للقيام بإخبار السلطات عن كل مفسد وسيئ وخائنا لاستئصاله ونطلب منكم أن تكونوا يد واحد للقضاء على هؤلاء والتخلص من شرهم.

أيها المواطنون

إننا بالوقت الذي نكبر فيكم الروح الوطنية الوثابة والأعمال المجيدة ندعوكم إلى الخلود والسكينة والتمسك بالنظام والإتحاد والتعاون على العمل المثمر

في سبيل مصلحة الوطن.

أيها الشعب

لقد اقسمنا أن نبذل أبنائنا وكل عزيز في سبيلكم فكونوا على ثقة واطمئنان بأننا سنواصل العمل من أجلكم وأن الحكم يجب أن يعهد إلى حكومة تنبثق من الشعب بوحي منه وهذا لا يتم إلا بتأليف جمهورية شعبية تتمسك بالوحدة العراقية الكاملة وترتبط برباط الأخوة مع الدول العربية والإسلامية وتعمل بمبادئ الأمم المتحدة وتلتزم بالعهود والمواثيق وفق مصلحة الوطن وبقرارات مؤتمر باندونغ، وعليه فإن هذه الحكومة الوطنية تسمى منذ الآن (الجمهورية العراقية) و تلبية لرغبة الشعب قد

عهدنا رئاستها بصورة وقتية إلى مجلس يتمتع بسلطة رئيس الجمهورية ريثما يتم استفتاء الشعب لانتخاب الرئيس. ونسال الله أن يوفقنا في أعمالنا لخدمة وطننا العزيز إنه سميع مجيب .

* * *

﴿ مصير العائلة المالكة ﴾ [٤٤]

كان ولي العهد عبد الإله يناور ويراوغ في آن واحد، فمن ناحية يكلف العقيد طه البامرني وكيل آمر لواء الحرس الملكي بالتفاوض مع الثوار لإيجاد صيغة للتفاهم ، ومن الناحية الثانية كسب الوقت لتغطية عملية

التسلل من الخلف للهرب بالطائرة الجاثمة والقريبة من القصر والجاهزة للسفر بهم إلى إسطنبول، وبعد فشل عملية التسلل بسبب مجيء المدرعات الثلاثة المفاجئ التجأ عبد الإله للحل الثاني ، وهو التفاوض لكسب الوقت بانتظار تطورات جديدة تكون في صالحه .

ولكن بسبب دور طه البامرني المتردد اطال الفرصة لإيجاد حل يأتيه من احتمال تحرك قوة عسكرية من وحدات الوشاش او من المسيب او الديوانية ضاناً بأن ظروف مايس ١٩٤١ قد تعاد ثانية ، ونسي أن الحال قد تبدل بوجود شبكة منتشرة مترابطة من تنظيمات الضباط الاحرار الذين شلوا كل محاولة قد تحدث .

ويستمر بالحديث الضابط الشاهد حامد مصطفى مقصود : وفعلاً فقد أحبط ضباطنا الاحرار محاولتين هامتين الأولى حركة اللواء الأول في المسيب بقيادة وفيق عارف شقيق رئيس اركان الجيش ، والثانية محاولة عمر علي قائد الفرقة الأولى في الديوانية يسانده العقيد بدر الدين علي.

فمن نقطة الاستقرار الى الإقرار بحل الثوار عندما اطلقت اخر قذيفة من مدفع ١٠٦ وسببت ثقبا كبيرا في جدار القصر وتعالت السنة النار وصحبها الدخان الكثيف ، ظاناً بأنها ليست الاطلاقة الأخيرة بل هناك الكثير من القذائف التي ستطلق عليهم وتدفنهم في القصر، وعندها

وافق عبد الاله على الاستسلام دون قيد أو شرط لإرسالهم جميعاً الى وزارة الدفاع ليقرر وضعهم ، واتفق من طرف خفي مع الرئيس الأول يونس ثابت بأن يفتح النار من بالكون الطابق الثاني من القصر اثناء خروجه وافراد العائلة المالكة بصليات من رشاشة البرن على الضباط الثوار عندما يتحركوا من مكانهم المحمي خلف مدرعة الملازم عبد الرزاق ، وسياج الحديقة من الخارج وبها سيقضي على الضباط الاحرار وتحدث بلبله تساعده على الهرب ، وفعلاً كانت نية الضباط الاحرار سليمة وعلى وعدهم بالمحافظة على سلامة الجميع من افراد العائلة المالكة ولكن وفي اثناء مجيئهم رافعين القرائين على رؤوسهم،

اطمأن الضباط الأحرار وخرجوا مكشوفين لاستقبالهم ونقلهم الى

وزارة الدفاع ، وفي هذه اللحظة فتح الرئيس الأول يونس ثابت نار

رشاشة البرن فجرحت الرئيس مصطفى عبد الله والملازم الأول عبد

الستار العبوسي بجروح بليغة ، فما كان من ضابط المدرعة الملازم عبد

الرزاق غصيبة الا ان يطلق قذائف مدفعه ورشاشه فأصابت مقتلاً في

بعضهم وجروحاً في البعض الآخر، مات عبد الاله في الحال ولكن

الملك فيصل الثاني أصيب بجروح .

أن ينجو من الموت بفعل اهتمام قائد الثورة الزعيم الركن عبد الكريم

قاسم الذي أمر بنقله فوراً لإجراء الإسعافات الفورية اللازمة في

المستشفى المركزي بباب المعظم ، ولكن النزيف الذي أصابه طيلة الطريق الطويل أدى الى وفاته. ان فيصل الثاني ليس مكروها من أكثرية الشعب ، لأنه حديث بممارسة السلطة والأمر كله بيد عبد الاله المكروه من جميع الأوساط الشعبية ، هذه هي الحقيقة التي أتحسسها كبقية أبناء الشعب ، وعند الساعة السابعة والربع من صباح ١٤ تموز تمت السيطرة على قصر الرحاب وانتصرت الثورة .

* * *

﴿ صدور الدستور المؤقت ﴾

كان طبيعياً ، بعد نجاح الثورة ، وسقوط النظام الملكي ، أن يسقط الدستور تلقائياً ، وهذه القاعدة لها سوابق كثيرة ، ولذلك فقد ارتأت حكومة الثورة إصدار دستور مؤقت للبلاد ، لحين انتخاب مجلس تأسيسي يأخذ على عاتقه وضع دستور دائم للبلاد.

وهكذا فقد عهدت حكومة الثورة إلى لجنة برئاسة المحامي حسين جميل القيادي في الحزب الوطني الديمقراطي، وعضوية السيدين ، حسين محي الدين و عبد الأمير العكيلي وهم جميعاً من رجالات القانون المعروفين ، مهمة وضع مسودة دستور مؤقت للبلاد في ٢٠ تموز ١٩٥٨ بعد أن

أعطيت لهم الخطوط العريضة في توجه حكومة الثورة ، ليسيروا على هديها ، وقد أتمت اللجنة عملها ورفعته إلى مجلس الوزراء ، الذي صادق عليه ، بعد أن أجرى عليه بعض التعديلات ، وأحاله إلى مجلس السيادة الذي صادق عليه بدوره ، وصدر في بغداد ، في ٢٧ تموز ١٩٥٨ ، وتضمن مقدمة ، وأربعة أبواب [٤٥] .

نص الدستور المؤقت في الجمهورية العراقية

المقدمة

لما كانت الحركة الوطنية التي قام بها الجيش العراقي، بمؤازرة الشعب

وتأييده ، في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، تهدف إلى تحقيق سيادة الشعب ،

والعمل على منع اغتصابها ، وضمان حقوق المواطنين وصيانتها ، ولما

كان الحكم السياسي السابق في البلاد الذي تم التخلص منه ، قائما على

أساس الفساد السياسي حيث أغتصب السلطة أفراداً حكموا البلاد على

خلاف إرادة الأكثرية ، وضد مصالح الشعب ، وإذ كان هدف الحكم

تحقيق منافعهم ، وحماية مصالح الاستعمار ، وتنفيذ مآربه كما جاء في

البيان الأول ، الذي أعلن للشعب في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، في بدء الحركة

الوطنية، فأننا باسم الشعب ، نعلن سقوط القانون الأساسي العراقي ،

وتعديلاته كافة ، منذُ ١٤ تموز ١٩٥٨ ورغبة في تثبيت قواعد الحكم

، وتنظيم الحقوق والواجبات لجميع المواطنين نعلن الدستور المؤقت هذا

، للعمل بأحكامه في فترة الانتقال ، أن يتم تشريع الدستور الدائم .

الباب الأول

الجمهورية العراقية :

المادة ١ : الجمهورية العراقية ، جمهورية مستقلة ذات سيادة .

المادة ٢ : العراق جزء من الأمة العربية .

المادة ٣ : يقوم الكيان العراقي على أساس من التعاون بين المواطنين كافة

، باحترام حقوقهم وصيانة حرياتهم ، ويعتبر العرب والأكراد شركاء في

هذا الوطن ، ويقرّ هذا الدستور حقوقهم القومية ، ضمن الوحدة العراقية

.

المادة ٤ : الإسلام دين الدولة .

المادة ٥ : عاصمة الجمهورية العراقية بغداد.

المادة ٦ : تعيين العلم العراقي ، وشعار الجمهورية والأحكام الخاصة بها ،

بقانون .

الباب الثاني

مصدر السلطات ، والحقوق والواجبات العامة :

المادة ٧ : الشعب مصدر السلطات.

المادة ٨: الجنسية العراقية يحددها القانون .

المادة ٩ : المواطنون سواسية أمام القانون ، في الحقوق والواجبات العامة

المادة ١٠: حرية الاعتقاد ، والتعبير مضمونة ، وتنظم بقانون .

المادة ١١: الحرية الشخصية ، وحرمة المنازل مصونتان ، ولا يجوز التجاوز عليهما إلا حسبما تقتضيه السلامة العامة ، وينظم ذلك بقانون

المادة ١٢ : حرية الأديان مصونة ، ويجب احترام الشعائر الدينية ، على

أن لا تكون مخلة بالنظام العام ، ولا متنافية مع الآداب العامة .

المادة ١٣: الملكية الخاصة مصونة ، وينظم القانون وظيفتها الاجتماعية ، ولا تنتزع إلا للمنفعة العامة مقابل تعويض عادل وفق القوانين .

المادة ١٤ : الملكية الزراعية تحدد وتنظم بقانون .

المادة ١٥ : لا يجوز فرض ضريبة ، أو رسم أو تعديلهما ، أو الغائهما إلا بقانون .

المادة ١٦: الدفاع عن الوطن واجب مقدس ، وأداء الخدمة العسكرية شرف للمواطنين وتنظم أحكامها بقانون .

المادة ١٧: القوات المسلحة في الجمهورية العراقية ملك للشعب ، ومهمتها

حماية سيادة البلاد وسلامة أراضيها .

المادة ١٨: الدولة هي وحدها التي تنشئ القوات المسلحة ولا يجوز لأية

هيئة ، أو جماعة إنشاء تشكيلات عسكرية ، أو شبه عسكرية

المادة :١٩ تسليم اللاجئين السياسيين محظور .

الباب الثالث

نظام الحكم :

المادة ٢٠: يتولى رئاسة الجمهورية مجلس السيادة ، ويتألف من رئيس وعضوين .

المادة ٢١ : يتولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية ، بتصديق مجلس السيادة .

المادة ٢٢ : يتولى مجلس الوزراء ، والوزراء ، كلّ فيما يخصه من أعمال السلطة التنفيذية .

المادة ٢٣: القضاة مستقلون ، ولا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون ، ولا يجوز لأي سلطة التدخل في استقلال القضاء ، أو في شؤون العدالة ، وينظم القانون الجهاز القضائي.

المادة ٢٤: جلسات المحاكم علنية ، إلا إذا قررت المحكمة جعلها سرية ،

مراعاة للنظام والآداب العامة .

المادة ٢٥ : الأحكام تصدر ، وتنفذ باسم الشعب.

المادة ٢٦ : تنشر القوانين في الجريدة الرسمية ، ويعمل بها من تاريخ

نشرها ، ، إلا إذا نص فيها على خلاف ذلك وإذا لم يذكر تاريخ تنفيذها

، تنفذ بعد عشرة أيام من اليوم التالي ليوم النشر.

الباب الرابع

أحكام انتقالية :

المادة ٢٧: يكون للقرارات والأوامر والبيانات ، والمراسيم الصادرة من

القائد العام للقوات المسلحة ، أو رئيس الوزراء ، أو مجلس السيادة في الفترة من ١٤ تموز ١٩٥٨ ، إلى تاريخ تنفيذ هذا الدستور المؤقت ، قوة القانون ، وهي تعدّل ما أحكامها من نصوص القوانين النافذة قبل صدورها .

المادة :٢٨: كل ما قررته التشريعات النافذة قبل ١٤ تموز ١٩٥٨ ، تبقى سارية المفعول، ويجوز إلغاء هذه التشريعات، أو تعديلها بالطريقة المبينة بهذا الدستور المؤقت.

المادة ٢٩: ينفذ هذا الدستور من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

المادة ٣٠: على وزراء الدولة تنفيذ هذا الدستور

المادة ٣١ :كتب في بغداد في اليوم التاسع من محرم الحرام سنة

١٣٧٨ هجرية

، الموافق لليوم السابع والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٥٨ ميلادية .

مجلس السيادة

الرئيس محمد نجيب الربيعي

العضو ،خالد النقشبندي **العضو ، محمد مهدي كبة**

عبد الكريم قاسم - رئيس الوزراء ، ووزير الدفاع .

عبد السلام عارف - نائب رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية .

محمد حديد وزير المالية .

جابر عمر - وزير المعارف

مصطفى علي - وزير العدل

بابا علي الشيخ محمود - وزير الأشغال

فؤاد الركابي - وزير الأعمار

محمد صالح محمود - وزير الصحة

صديق شنشل - وزير الإرشاد .

هديب الحاج حمود - وزير الزراعة .

إبراهيم كبه - وزير الاقتصاد

ناجي طالب - وزير الشؤون الاجتماعية.

الزعيم عبد الكريم قاسم مصافح رئيس مجلس السيادة محمد نجيب الربيعي



﴿ إصدار قانون الإصلاح الزراعي ﴾ (٤٦)

يُعرّف الإصلاح الزراعي بأنه مجموعة من الإجراءات التشريعية والتنفيذية التي تقوم بها الدولة بهدف تغيير نظام ملكية الأراضي الزراعية وتحسين أساليب استغلالها، بحيث تزداد الغلة الزراعية كمًّا ونوعًا، ويتحقق توزيع أكثر عدالة للثروة والدخل في الريف، مما ينعكس إيجابيًا على الاقتصاد الوطني بشكل عام.

وفي الدول غير الاشتراكية، يرتكز جوهر قوانين الإصلاح الزراعي على الحد من الملكيات الكبيرة عن طريق وضع سقف للملكية الفردية.

أما في الدول الاشتراكية، فإن القاعدة الأساسية تقوم على مصادرة جميع الأراضي الزراعية وجعلها ملكًا عامًا للدولة دون تعويض، في إطار القضاء على الملكية الفردية لوسائل الإنتاج.

في العراق، عانى الفلاحون - وهم الغالبية الساحقة من السكان - قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ من أوضاع مأساوية. فقد كانوا يعيشون في فقر مدقع وشبه عبودية، بينما كانت مساحات شاسعة من الأراضي بيد فئة قليلة من كبار الملاكين وشيوخ العشائر. تجاهلت الحكومات المتعاقبة في العهد الملكي تقارير الخبراء، مثل تقرير الخبير البريطاني "إرنست داوسن" عام١٩٣١ ، الذي أوصى بعدم تثبيت حقوق الملكية المطلقة، واقترح

تأجير الأراضي بعقود مؤقتة. غير أن الحكومة اتخذت مسارًا مخالفًا، مما

أدى إلى تسجيل الأراضي بأسماء المتنفذين وتهميش الفلاحين.

حتى قرار الأمم المتحدة في ١١ كانون الأول ١٩٥٤ ، الذي دعا إلى

تحسين أوضاع سكان الريف وتشجيع تملكهم للأراضي، لم يلقَ الاهتمام

المطلوب من السلطات الملكية، بل تم إصدار تشريعات زادت من

معاناة الفلاح، مثل اللائحة الخاصة بالحقوق والواجبات الزراعية.

ومع قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، برزت ضرورة إصلاح هذا الوضع

الجائر. إذ كشفت الإحصاءات أن ٣٦١٩ مالكًا كانوا يسيطرون على ١٨ مليون دونم، بينما كان ٢٧٢ منهم يمتلكون ملايين الدونمات وحدهم.

اتخذت الحكومة الجديدة برئاسة الزعيم عبد الكريم قاسم خطوات فعلية باتجاه الإصلاح. فبعد إصدار الدستور المؤقت وإلغاء قوانين دعاوى العشائر، شكّل وزير الزراعة هديب الحاج حمود لجنة لصياغة قانون الإصلاح الزراعي في ٢ آب ١٩٥٨ . ضمّت اللجنة ممثلين من اتجاهات سياسية مختلفة، منها الشيوعيون، والديمقراطيون، والمحافظون، وبعضهم كان من كبار الملاكين أنفسهم.

ورغم التناقضات داخل اللجنة، فإن إصدار القانون شكّل خطوة شجاعة، خاصة أن عددًا من الوزراء الذين وقعوا عليه كانوا من المشمولين بتطبيقه، ومنهم هديب الحاج حمود، ومحمد حديد، وبابا علي الشيخ محمود. ويُعد هذا الموقف نادرًا في تاريخ النخب السياسية، حيث أقرّوا بضرورة التغيير وتنازلوا عن امتيازاتهم، كما حصل إبان الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

أعلن الزعيم عبد الكريم قاسم مساء ٣٠ أيلول ١٩٥٨ صدور قانون الإصلاح الزراعي رقم ٣٠ ، في لحظة عُدت من أبرز إنجازات ثورة تموز. حدد القانون الحد الأعلى للملكية الزراعية بـ ١٠٠٠ دونم من

الأراضي السقي السيحي، أو ٢٠٠٠ دونم من الأراضي البعلية (الديما)، على أن يُحسب الدونم السيحي باثنين من الدونمات الديمية عند الجمع بين النوعين. كما نص القانون على اعتبار الحكومة مالكة للأراضي المصادرة.

ورغم الخلافات السياسية التي رافقت هذه المرحلة، فإن الزعيم عبد الكريم قاسم، الذي كان يشرف على مراحل العمل كافة، أظهر حرصًا على إنصاف الفلاحين، واعتبر القانون خطوة أساسية نحو العدالة الاجتماعية وإعادة التوازن بين طبقات المجتمع.

الزعيم قاسم وهو يوزع سندات التمليك شخصياً للفلاحين بعد تشريع قانون الإصلاح الزراعي



﴿ إنجازات الثورة القاسمية ﴾

يمكن تلخيص انجازات الثورة في عدة نقاط ذكرها الدكتور عبد الخالق حسين [٤٧] :

﴿ المنجزات السياسة الداخلية ﴾

١ - إلغاء الملكية وإقامة النظام الجمهوري.

٢ - تفجير الوعي السياسي لدى الجماهير الشعبية الواسعة التي كانت محرومة من المساهمة في النشاطات السياسية، وبذلك رفع مستوى الوعي لدى الجماهير بحقوقها وواجباتها الوطنية، وانغمرت في نشاطات

الأحزاب السياسية وإطلاق السجناء السياسيين، وحرية التعبير والتفكير والعمل النقابي والسياسي والثقافي [٤٨] .

٣ ـ تعزيز الإستقلال السياسي، حققت الثورة الحفاظ على كيان العراق السياسي واستقلاله الناجز وسيادته الوطنية الكاملة وإلغاء جميع المعاهدات الإستعمارية الجائرة والمخلة بالسيادة الوطنية.

٤- في مجال الوحدة الوطنية وحقوق القوميات التأكيد على شراكة العرب والأكراد في الوطن العراقي. وهذا ما أكد عليه الدستور المؤقت (المادة الثالثة) ولأول مرة في تاريخ العراق، مع ضمان حقوق جميع القوميات الأخرى في المواطنة الكاملة.

٥- ألغت الثورة سياسة الإنحياز نحو الغرب والأحلاف العسكرية والتي سار عليها النظام الملكي ، والتي أدت إلى إضعاف العراق عسكرياً، لأن الدول الغربية لم تزود العراق بالسلاح خلال تلك الفترة ، حيث كشفت ثورة ١٤ تموز بأن العراق لم يكن يملك حتى شبكة رادار ، بالرغم من كونه عضواً في حلف بغداد أما سياسة الحياد التي سار عليها النظام الجمهوري ، فقد أدت إلى حصول العراق على الأسلحة من كلا المعسكرين الشرقي والغربي.

٦ - صدور قانون الجمعيات عام ١٩٦١ ، والذي بموجبه أجيزت ما يقارب من ٧٠٠ جمعية. وإجازة الأحزاب السياسية المؤمنةبالديمقراطية.

٧ - ألغت الأبعاد الطائفية من ممارسات الدولة الرسمية، ووضعت الأسس لإلغاء التمييز الطائفي في العراق، تلك السياسية التي مورست خلال الحكم العثماني واستمر عليها العهد الملكي .

٨ - اعتماد وتعزيز مقومات الهوية الوطنية العراقية.

﴿ في السياسة العربية والمواقف القومية ﴾

١- توقيع معاهدات ثقافية واقتصادية وعسكرية مع الجمهورية العربية المتحدة والعمل على تقوية التضامن العربي وتنشيط دور العراق ضمن مؤسسات الجامعة العربية.

٢ -دعم حركات التحرر الوطني العربية منها، دعم الثورة الجزائرية وتخصيص مليوني دينار سنوياً من الميزانية لها، وكان هذا مبلغاً كبيراً في وقته إذ كان يشكل نسبة ٢ ٪ من الميزانية العراقية. وكان العراق أول دولة تعترف بميلاد الجمهورية الجزائرية. (٥٠) كما أجزلت حكومة الثورة في دعم ثورة ظفار، ومساعدة الإمارات العربية في الخليج قبل تراكم الثروة النفطية عندهم. ودعم نضال الوطنيين اللبنانيين ضد حكومة كميل شمعون والتدخل الأمريكي.

٣ - تأسيس جيش التحرير الفلسطيني. فسح المجال أمام الشباب الفلسطيني للتدريب والعمل في الجيش العراقي ومعاهده. كما وأقترح

قائد الثورة الزعيم عبد الكريم قاسم، تأسيس الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية التي كانت تحت حكم الأردن وقطاع غزة الذي كان تحت حكم مصر آنذاك. فعارضه بشدة الحكام العرب وعلى رأسهم الرئيس جمال عبد الناصر.

ولو تحقق هذا الإقتراح وتأسست الدولة الفلسطينية آنذاك، لكانت تحظى بالإعتراف والشرعية الدولية، ولما استطاعت إسرائيل إحتلالها عام ١٩٦٧ وإلغاءها كدولة ولما حصل ما حصل من كوارث فيما بعد.

﴿ في السياسة الخارجية ﴾

١- لقد حررت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ سياسة العراق الخارجية من كل سلطان وتوجيه خارجي، وأصبحت لا تستهدف إلا مصلحة العراق ومصلحة العرب والحرية والسلام في العالم.

٢ - الإنسحاب من الأحلاف العسكرية، وإقامة العلاقات المتوازنة مع التكتلات الإقليمية والدولية والأفرو - آسيوية. حيث تم الإنسحاب من حلف بغداد يوم ٢٤ آذار ١٩٥٩ . وفي الحقيقة أعتبر الحلف ميتا من أول يوم الثورة. أما تأخير الإعلان الرسمي فكان لأغراض سياسية وتكتيكية لصالح العراق، منها مثلا ضمان عدم تدخل دول الحلف ضد

الثورة، وعلى الأخص بعد الإنزال الأمريكي في لبنان والبريطاني في الأردن بعد أيام من تفجير الثورة لوأدها والقضاء على الجمهورية الفتية. ولضمان اعتراف دول الحلف بحكومة الثورة وبالنظام الجمهوري في العراق. وعدم قطع العلاقة بدول الجوار. كذلك كتكتيك ذكي من الزعيم قاسم ، ورغبة حكومة الثورة استمرار الحصول على الأسلحة من الدول الغربية. حيث ذكر الزعيم في ٢٠ آب ١٩٥٨ : « إن المساعدات العسكرية الأمريكية ستصل في الإسبوع القادم، وإن مبدأنا أن نكون أصدقاء دول العالم لذلك لا يوجد سبب لرفضه . »

كذلك إن تجميد نشاطات العراق في الحلف منذ اليوم الأول للثورة ،

أعتبر بمثابة الإنسحاب منه، وعدم رغبة العراق في إثارة الحكومة البريطانية ضدها وخلق المشاكل السياسية والإقتصادية لها عن طريق شركات النفط والأرصدة العراقية هناك.

٣ -ساهم العراق بدور فعال في تأسيس منظمة الدول المصدرة للنفط أوبك، والذي صار سلاحاً ماضياً لحماية حقوق الدول النفطية.

٤ - توقيع معاهدة صداقة ، مع الإتحاد السوفيتي والدول الإشتراكية.

﴿ إجتماعياً ﴾

١ - إلغاء العلاقات الإقطاعية، وإلغاء قانون حكم العشائر الذي كان

يخول شيوخ الإقطاع بحسم القضايا الجزائية في مناطقهم، وهو قانون سنه الإنكليز لإرشاء شيوخ العشائر لكسب ولائهم. كان سكان الأرياف يشكلون حوالي ٦٠ % من الشعب. وبذلك فكانت سلطة القضاء محصورة على المدن فقط دون سكان الأرياف الأمر الذي كان له مردود سلبي على تطوير الريف حضارياً.

٢ - إصدار قانون الإصلاح الزراعي وإلغاء الإقطاع. وهذا بحد ذاته ثورة إجتماعية لصالح الملايين من الفلاحين الفقراء.

٣ -قامت الثورة بتشريع قانون الأحوال الشخصية، الذي بموجبه أعاد الإعتبار للمرأة العراقية التي كانت مسحوقة في جميع الأزمنة ما قبل

الثورة. وأقر القانون مساواتها بالرجل في الميراث، وشهادتها في المحاكم تعادل شهادة الرجل، كذلك مسألة تعدد الزوجات في صالح المرأة. وبذلك أعادت الثورة للمرأة إعتبارها كإنسانة لها كرامتها وشعورها بآدميتها، وفسح المجال أمامها لتلعب دورها الكامل في بناء الأسرة والمجتمع ومساواتها بأخيها الرجل في الحقوق والواجبات.

٤ - نشر التعليم . لقد أزداد عدد المدارس والمعاهد العلمية وعدد الطلبة والمدرسين خلال أربع سنوات ونصف السنة من عمر الثورة إلى ضعف ما حققه النظام الملكي خلال ٣٨ عاماً. إضافة إلى إرسال آلاف الطلبة إلى الخارج في بعثات دراسية في مختلف المجالات العلمية اللازمة لبناء

الركائز الإقتصادية وإدارتها وإدامتها وخاصة المرافق النفطية.

٥ -تبنت الثورة سياسة العدالة الإجتماعية على المستوى الطبقي والجغرافي حيث عممت المشاريع كافة ميادين النشاط الإجتماعي والمدن العراقية.

٦ - قللت من الفوارق بين المدينة والريف وتعزيز الصلة بينهم.

﴿ إقتصادياً ﴾

١ - تحرير النقد العراقي من الكتلة الإسترلينية. وتعتبر هذه الخطوة من أهم الخطوات في تحرير الإقتصاد العراقي من قيود التبعية البريطانية.

فبدلاً من الإعتماد على الإسترليني ومشاكله في تذبذب قيمته في أسواق العملة كرصيد احتياطي للدينار العراقي، اعتمدت العملة العراقية في عهد الثورة على تنوع الأرصدة من الذهب والدولار وعملات صعبة أخرى مما قوى قيمة الدينار العراقي، خاصة في فترات تعويم الإسترليني الذي انخفض إلى نصف قيمة الدينار العراقي.

٢ - إلغاء الإمتيازات البترولية في الأراضي العراقية ما عدا المناطق المستغلة فعلاً. فأصدرت حكومة الثورة قانون رقم ٨٠ لعام ١٩٦١ تحررت بموجبه ٩٩.٥ ٪ من الأراضي العراقية من سيطرة الشركات النفطية العالمية. وهذا بحد ذاته يعتبر ثورة حررت العراق من شكل آخر

من الإستعمار . وبذلك وضعت الأسس القوية لتأميم الثروة النفطية في وقت لاحق. كما وسنت حكومة الثورة قانون تأسيس شركة النفط الوطنية، ويقال إن لائحة القانون هذا قد عجّل في إغتيال الثورة، وكان مع الزعيم عبد الكريم قاسم إثناء إعدامه يوم ٩ شباط ١٩٦٣ [٥١] ، كما وأرسلت الحكومة آلاف البعثات الدراسية إلى الخارج وخاصة في مجال هندسة النفط، الأمر الذي سهل تأميم النفط لاحقاً. فلم تهتم السلطة في العهد الملكي بتدريب كوادر عراقية في مجال النفط.

٣ - إبرام التعاون الإقتصادي مع الإتحاد السوفيتي وبموجبه أنشأ العراق الكثير من المؤسسات الإقتصادية، مثل مد الخط العريض بغداد بصرة.

معمل الزجاج في الرمادي، معمل الأدوية في سامراء، معمل الجلود في الكوفة، معمل التعليب والألبان في كربلاء وغيره كثير.

٤ -بناء ميناء تجاري عميق في أم قصر، والميناء العميق لتصدير النفط في شمال الخليج ٢٥ ميلاً جنوب مصب شط العرب. وبذلك حقق توسعاً في مياهنا الإقليمية في الخليج ووسع من صادراتنا النفطية. ولم يسم قاسم أي من الميناءين بإسمه، ولما جاء البعثيون إلى السلطة عام ١٩٦٨ ، سموا المناء العميق بميناء البكر ومدينة الثورة في بغداد والتي بناها قاسم أيضاً بمدينة صدام. وتحقق الكثير في الإزدهار الإقتصادي في عهد الثورة وذلك لإعتماد الزعيم عبد الكريم قاسم على خيرة الكفاءات

الوطنية المخلصة والمتحمسة لخدمة الوطن وتطبيقاً لمبدأ (الشخص المناسب في المكان المناسب) بدون أي تمييز. ويشهد بذلك باحثون أجانب مثل حنا بطاطو الذي يقول: "« مما له مغزى أن أصحاب المصانع لم يعرفوا إزدهاراً كالذي عرفوه في عهد عبد الكريم قاسم ، الذي كانت سياساته الإقتصادية والمالية موحى بها إلى درجة غير قليلة من الوطنيين الديمقراطيين، وبدقة أكبر من محمد حديد الذي كان له في تلك السنوات نفوذه في الحكومة حتى عندما كان خارجها.

وبشهادة حسن العلوي أن الزعيم عبد الكريم قاسم قد نجح في تنفيذ ١٧ هدفاً من مجموع عشرين من أهداف الثورة التي اتفقت عليها اللجنة العليا

للضباط الأحرار كما ذكرها اللواء الركن محسن حسين الحبيب، عضو اللجنة، وهو من مناوئي قاسم منذ الأيام الأولى للثورة، في كتابه (حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق). وبأسلوب الإختبار المدرسي، يتوصل العلوي إلى أن الزعيم قاسم يستحق ٨٥ درجة بالمائة في هذا الإمتحان. وهذه درجة إمتياز.

لقد فشل الزعيم عبد الكريم قاسم في تحقيق ثلاثة أهداف:

١ -الوحدة العربية ولم تكن الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة ضمن أهداف الثورة، إلا في حالة تعرض الجمهورية العراقية إلى خطر هجوم خارجي.

٢ - كذلك فشل في حل القضية الكردية.

لقد فشلت جميع الحكومات القومية العروبية التي ساهمت بإغتيال عبد الكريم قاسم، والتي حكمت العراق من بعده منذ إغتياله يوم ٩ شباط ١٩٦٣ ، ولحد كتابة هذه السطور فشلت في تنفيذ ما فشل عبد الكريم قاسم في تنفيذه خلال الأربعة أعوام ونصف العام من حكمه والعراق في أشد فترات غليانه ليس هذا فحسب، بل صارت مفردات القومية والوحدة العربية والديمقراطية في عهد حكم العروبيين من الممنوعات في العراق الذي أعادوه إلى مرحلة ما قبل القومية حيث أحيوا فيه

روح القبلية وحكم العشيرة والأسرة.أما القضية الكردية فقد اعتمد هؤلاء الحكام في حلها على اسلوب إبادة الجنس مثل عمليات الأنفال والغازات السامة في حلبجة والحروب الداخلية وغيرها، وتدمير أكثر من أربعة آلاف قرية.

* * *

الزعيم الركن عبد الكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف بعد نجاح الثورة



الزعيم عبد الكريم قاسم يخطب بالجماهير المساندة للنظام الجديد



توثيق الفصل الثالث

(١) علي جاسم السواد ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٩ .

(٢) علي جاسم السواد ،المصدر السابق الذكر ، ص ٢٠ .

(٣) حسين جميل، العراق الجديد، الطبعة الأولى، ص ٣٠

(٤) PETER SLUGLETT - BRITAIN IN IRAQ Contriving king and Country - P 37 ؛ Dietmar Rothermund - THE ROUTLEDGE COMPANION TO DECOLONIZATION - P 104 ؛ Geoff Simons - IRAQ FROM SUMER TO SADDAM - P 195

(٥) عبد الكريم الأزري، تاريخ في ذكريات العراق: العهد الملكي، دار

الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص ١٦٠.

(٦) العقيد محسن الرفيعي، أنا والزعيم، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ص ٨٩.

(٧) ثورة ١٤ تموز في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين والصحافة الغربية، ترجمة وتقديم: الدكتور سيّار الجميل، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ص ٤٥.

Peter Sluglett, Britain in Iraq: Contriving King and. .

Country , p40

(٩) غائب طعمة فرمان، الحكم الأسود في العراق، دار الطليعة، بيروت، ص ٤٤.

(١٠) بشار فتحي جاسم، صراع النفوذ البريطاني والأمريكي في العراق ١٩٤٥ - ١٩٥٨، دار البدوي، تونس، ص ٥٠.

(١١) الدكتورة فيبي مار، تاريخ العراق المعاصر: العهد الملكي، ترجمة: فاضل عباس علي، دار المدى، دمشق، ص ٤٧.

(١٢) علي عبد الأمير علاوي، فيصل الأول: ملك العراق، ترجمة: سيف الدين الدوري، دار المدى، دمشق، ص ٤٥٨.

(١٣) جعفر عباس، تاريخ العراق المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص ٣١.

(١٤) عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، مطبعة الأهالي، بغداد، ص ٢٠٧.

(١٥) نوري السعيد: ولد سنة ١٩٨٨ في بغداد من عائلة من الطبقة الوسطى، وهو من الطائفة السنية، درس في الأكاديمية العسكرية في اسطنبول، لعب دورا خطيرا في حياة البلاد وكان سيفا مسلطا على رقاب الشعب العراقي، حيث استهان بالدستور العراقي وسلب منه كل الحقوق والحريات التي تمس حياة المواطنين من حرية التنظيم الحزبي

والنقابي وحرية الصحافة، تولى الوزارة أربعة عشر مرة خلال العهد الملكي، قتل في اليوم التالي لبداية الثورة . ينظر: حامد الحمداني: نوري السعيد رجل المهمات البريطانية الكبرى، ٢٠٠٣ ، ص ٩ - ١٢ .

(١٦) سليم الحسني ، رؤساء العراق دراسة في اتجاهات الحكم ، دار الحكمة ، لندن ،ص ١٤٨ .

(١٧) حامد الحمداني: ثورة ١٤ تموز في نهوضها، وانعكاساتها واغتيالها دار فيشون ميديا، السويد، ٢٠٠٦ ، ص ٤٦ .

(١٨) محمد حمدي الجعفري: انقلاب الوصي في العراق، ط١ ، مكتبة

مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠ ، ص ٧١ .

(١٩) معاهدة بورتسموث: نسبة إلى ميناء بورتسموث بريطانيا، وهي معاهدة فرضتها بريطانيا لتكريس هيمنتها على العراق واستنزاف ثرواته النفطية، ينظر: حامد الحمداني: المصدر السابق الذكر، ص ٥٥ .

(٢٠) حامد الحمداني:المصدر السابق الذكر ، ص ٥٥ .

(٢١) ليث عبد الحسن الزبيدي: المصدر السابق الذكر، ص ٣٩ .

(٢٢) نبيل خليل نبيل ملف الانقلابات في الدول العربية المعاصرة، ط١ ، دار الفارابي، لبنان، ٢٠٠٨ ، ص ١٠٤ .

(٢٣) صبري فالح الحمدي، أمريكا والعراق في مناقشات مجلس النواب العراق ، ط١ ، دار الآفاق العربية القاهرة، ٢٠٠٧ ، ص ١٥٣ .

(٢٤) هنري لورانس اللعبة الكبرى المشرق العربي والأوضاع الدولية، ترجمة: عبد الحكيم الأربد، ط١ ، دار الجماهيرية للنشر، ليبيا، ١٩٩٣ ، ص ٢١٢ .

(٢٥) د. مجيد خدوري ، العراق الجمهوري ، إنتشارات الشريف الرضي ، ط١ ، ايران ، ص ٦٠ .

(٢٥) عبد الكريم الجدة ،المصدر السابق الذكر ، ص ٢٣ .

(٢٦) عبد الكريم الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٣ - ٢٥ .

(٢٧) د. فائزة المهداوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٦١ .

(٢٨) عبد الكريم الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢٩) الجدة ، المصدر السابق الذكر ، ص 24

(٣٠) نفسه ، ص 25

(٣١)نفسه ، ص 24 و ص 25

(٣٢) نفسه .

(٣٣) نفسه .

(٣٤) نفسه ، ص ٢٥ و ٢٦.

(٣٥) نفسه ، ص ٢٦.

(٣٦) نفسه.

(٣٧) نفسه ، ص ٢٦ و ص ٢٧.

(٣٨) للمزيد راجع كتابنا : عبد الكريم قاسم بطل ام ديكتاتور ، ص ٤٨ ؛ ليث عبد الحسن الزبيدي ، المصدر السابق الذكر ،ص ١٨٢

(٣٩) المحاكمات - ج٥ - ١٩٥٩ - ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

(٤٠) ليث الزبيدي - المصدر السابق الذكر- ص ١٨٢ وما بعدها .

(٤١) ليث الزبيدي ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٨٥ .

(٤٢) ليث الزبيدي ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٩٢ .

(٤٣) حامد الحمداني ، المصدر السابق الذكر ، ص ٩٨ .

(٤٤) د. فائزة المهداوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٩٦ .

(٤٥) حامد الحمداني ، المصدر السابق الذكر ، ص ١١٢ .

(٤٦) العميد خليل ابراهيم حسين الزوبعي ، موسوعة ١٤ تموز ، ج٧ ،

صعود عبد الكريم قاسم ، ٣١٨ .

(٤٧) د. عبد الخالق حسين ، ثورة وزعيم دراسة في ثورة ١٤ تموز والزعيم عبد الكريم قاسم ، دار ميزوبوتاميا للنشر والتوزيع ، بغداد ، ط٢ ، ٢٠٠٧ ، ص ٥٨ .

(٤٩) يقول الصحفي الكبير المعروف المرحوم فائق روفائيل بطي في كتابه الموسوم" صحافة العراق " ، « أن ثورة ١٤ تموز كانت حصيلة كفاح مرير خاضه الشعب العراقي بكتابه وأدبائه، حيث شهدت الصحافة العراقية عهدًا ذهبيًا - أي عهد قاسم - تميز بزخم المقالات والتحقيقات للكتاب والأدباء القدامى والجدد.في مرحلة الثورة فقد قرأنا

- على لسان فائق روفائيل بطي- شتى الأبحاث والتحاليل العميقة لحقيقة المجتمع العراقي بما اظهرته صحافتنا من كل صراحة في التعبير والجهر بحقيقة الاوضاع » . وفي شهادة بطي هذه يتبين الديمقراطية التي سارت عليها حكومة ثورة ١٤ تموز . انظر : فائق روفائيل بطي ، صحافة العراق تاريخها وكفاح اجيالها ، ص ١٨٢ - ١٨٦ .

(٥٠) وصل الوفد الجزائري برئاسة كريم بلقاسم للجمهورية العراقية في ظل حكم الزعيم عبد الكريم قاسم وقد حصل على المال والسلاح من الجمهورية العراقية لدعم ثورتهم . وقد وعدت الحكومة العراقية شعب الجزائر بدفع مليون دينار عراقي في ١ مارس ١٩٦١ ومليون دينار بعد

شهر من التسليم. كما حددت الجامعة العربية نسبة المساعدات العراقية للجزائر ما قيمته ٣١٩٦٠٠ جنيه استرليني وبنسبة ٩٨ ٪ من اسهامات الدول العربية . انظر: د . مريم صغير ، مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية ١٩٥٤ - ١٩٦٢ ، دار الحكمة ، لندن ، ص ٢٩٦ - ٢٦٨ .

(٥١) بعد اصدار هذا القانون هددت بريطانيا بأحتلال العراق كرد فعل على هذا القانون الذي سلب منهم شركاتهم . انظر : نجم محمود ، المقايضة برلين - بغداد الخلفية التاريخية لحرب لم تنته بعد ، منشورات الغد، ص ٣٤٨ .

الفصل الرابع

من صرائف إلى دور

لم يكن الزعيم عبد الكريم قاسم مجرد حاكم جلس على كرسي السلطة، بل كان ابنًا للناس البسطاء، يعرف معاناتهم، ويفهم وجعهم، ويحسّ بجوعهم قبل أن يشتكوا. ولهذا، لم تكن "الصرائف" بالنسبة له مجرد أكواخ من طين وخشب، بل كانت وجوهًا متعبة، وقلوبًا تنتظر من يمدّ لها اليد.

في بغداد، خلف السدة الشرقية وفي الشاكرية ، وعلى ضفاف نهر دجلة، كانت تمتد صفوف من الصرائف التي يسكنها آلاف الفقراء. بيوت لا تقي من حر الصيف ولا من برد الشتاء، يعيش فيها بشر مهمشون، لا أحد يلتفت إليهم، حتى جاء الزعيم.

عبد الكريم قاسم لم يرسل إليهم موظفًا أو مسؤولًا، بل ذهب إليهم بنفسه، صافحهم، جلس بينهم، واستمع لما في قلوبهم. لم يقل كلامًا منمقًا، بل وعدهم ببناء البيوت المتحضرة لهم .

وهكذا بدأ مشروع العمر. من صرائف الطين، إلى مدينة الثورة، إلى الزعفرانية، إلى مشاريع سكنية غيّرت وجه بغداد، وغيّرت حياة الناس. في هذا الفصل، سنروي حكاية عبد الكريم قاسم مع أهل الصرائف .

* * *

﴿ نشوء الصرائف ﴾

ظهرت الصرائف في ثلاثينيات القرن الماضي نتيجة لهجرة الفلاحين من أراضيهم بسبب ظلم الملاكين والإقطاعيين وكبار المسؤولين وفساد النظام، الذي كان يدعم هؤلاء بشكل مستمر. وقد أدى الفقر المدقع في ظل النظام الملكي إلى تخلّي الفلاحين عن كبريائهم [١] ، كما زاد عدد الفارين من ظلم الإقطاعيين، مما أدى إلى زيادة بناء الصرائف التي لم يعرفوا سواها، وبالتالي ارتفع عددها في العراق بشكل عام، وفي بغداد بشكل خاص خلال فترة النظام الملكي [٢] .

انتشرت الصرائف في معظم أحياء بغداد، سواء في الكرخ أو الرصافة،

وكان من الصعب رؤية حي في بغداد خالٍ من هذه الصرائف، حيث فرّ أهلها من ظلم الشيوخ والإقطاعيين [٣] . خلال فترة حكم النظام الملكي من فيصل الأول إلى فيصل الثاني، ظل هذا الموضوع معلقًا ولم يتم البدء بأي مشروع يخص الفقراء وأصحاب الصرائف، التي بلغ عددها وفق إحصاء عام ١٩٥٦ في بغداد فقط ١٦٣٤١ صريفة يسكنها حوالي ٩٢ ألف نسمة [٤] .

بعد أن جاء سكان الصرائف من محافظات مختلفة إلى بغداد، لم يجدوا أبسط مقومات الحياة، وكانت حالتهم المادية تحت خط الفقر، حيث كان أعلى دخل لعائلة من بين أصحاب الصرائف لا يتجاوز ٦ دنانير

فقط. المؤلم حقًا أن رأس الطغيان والفساد في العمارة، بالإضافة إلى كبار الإقطاعيين والشيوخ المدعومين من الملك بشكل مباشر، كانوا يتفاخرون أمام الفلاحين الذين عانوا من ظلمهم، ولم يكن حظهم كافيًا للخلاص من هذا الوضع، مما اضطرهم لبيع اللبن في بغداد. والغريب في هذا الموضوع هو أن وزارة الشؤون الاجتماعية قد اقترحت قانونًا لحماية الفلاحين من ظلم الشيوخ والإقطاعيين، لكن الحكومة رفضت هذا القانون بحجة العجز المالي، وفي النهاية تعرض هذا الاقتراح للتسويف والتجاهل (٥) .

بعد هذا الشرح الموجز، يمكن تلخيص القول بأن مجتمع الصرائف في

بغداد ظهر وتوسع بشكل سريع جدًا خلال العقدين الأخيرين من العهد الملكي ، حيث ظهرت مناطق وأحياء صرائف عديدة في مختلف أرجاء بغداد، محاطة بالإهمال الذي حول حياة ساكنيها إلى جحيم. وكان موقف الحكومات المتعاقبة في النظام الملكي سلبيًا، ولم نسمع عن أي رئيس حكومة بدأ بمساعدة أصحاب الصرائف، ولم يقم الملك نفسه بأي إصلاحات اجتماعية لهم، حتى لو كانت بسيطة، ولكن لم يحدث أي من ذلك. وسنوضح الموقف المشرف للزعيم عبد الكريم قاسم تجاه أبناء الشعب "أصحاب الصرائف".

﴿موقف الزعيم عبد الكريم قاسم من أصحاب الصرائف﴾

عندما حسم الزعيم الركن عبد الكريم قاسم خياراته بشكل نهائي وفي وقت مبكر، اختار الوقوف إلى جانب الفقراء. ولم تمضِ سوى أيام قليلة على انتصار ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، التي قادها بالتعاون مع الضباط الأحرار، حتى أعلن عن تخفيض أسعار الخبز. وفي الوقت نفسه، أعلن عن تخفيض أسعار الدقيق الذي كانت الحكومة توزعه على المخابز والأفران، على أن تتحمل الدولة الفرق بين تكلفة الدقيق وسعره الجديد. لا شك أن هدف عبد الكريم قاسم كان تمكين الفقراء من الحصول على الخبز الذي يحتاجونه بأقل الأسعار (٦) .

كان الزعيم عبد الكريم قاسم حريصًا على متابعة مدى تنفيذ قراراته. ففي إحدى جولاته التفقدية، دخل إلى أحد الأفران ووجد صاحب الفرن يعلق صورة كبيرة له، فقال له: "صغر هذه" في إشارة إلى حجم الصورة و"كبر هذه" في إشارة إلى الصمونة (٧) .

كما أصدر الزعيم عبد الكريم قاسم منذ بداية الثورة قرارًا بعدم التلاعب بأسعار الحاجيات الأساسية للشعب وتثبيت الأسعار. وفي ٢٧ تموز ١٩٥٨ ، اتخذ قرارًا مهمًا يتعلق بالطبقة العاملة العراقية، حيث جعل ساعات العمل والأجور والساعات الإضافية خاضعة لقانون العمل بعد أن كانت تعتمد على اجتهادات شخصية.

لتكتمل الصورة حول مواقف الزعيم عبد الكريم قاسم، خاصة تجاه الطبقة الفقيرة، يمكن القول إنه كان يهتم بشكل خاص بهذا الموضوع. فقد كان يكرر في خطاباته أن هدفه الرئيسي هو تحسين مستوى معيشة الفقراء ليصلوا إلى مستوى الحياة الكريمة. وفي مناسبة أخرى، أكد قاسم أنه يمكننا مساعدة الفقراء لرفع مستواهم إلى مستوى الأغنياء دون التأثير على مستوى الأغنياء أنفسهم (٨) .

كما أعطى الزعيم عبد الكريم قاسم اهتمامًا كبيرًا للطبقة الفلاحية، حيث ألغى أولاً نظام دعاوى العشائر الذي كان يثقل كاهل الفلاحين بالتزامات غير عادلة، وجعلهم يخضعون للقانون المدني مثل سكان

المدن. بعد ذلك، توجه إلى قضية الإقطاع الملكي الذي أذل الملايين من الفلاحين [٩] .

لا شك أن عبد الكريم قاسم حقق جزءًا مهمًا من أهدافه من خلال تحويل الفلاحين الفقراء الذين كانوا يعانون من الفقر المدقع إلى مالكي الأراضي الزراعية، ولا يمكن لأحد أن ينافسهم في إنتاجهم. وقد تم ذلك من خلال إصدار قانون الإصلاح الزراعي، وليس من المبالغة القول إنه حرر ملايين الفلاحين من عبودية الإقطاعيين [١٠] .

لا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا إن ذاكرة عبد الكريم قاسم مليئة بالصور المؤلمة عن حياة سكان أحياء الصرائف في بغداد، خاصة أن تلك

الأحياء لم تكن بعيدة عن مكان إقامته. لذا فإن مأساتهم ومعاناتهم الكبيرة لم تفارقه وظلت واضحة أمامه. ومن المناسب أن ننقل ما ذكره العقيد محسن الرفيعي، حيث قال: « اصطحبني الزعيم ذات مرة في جولة في بغداد، وكان معه السائق والمرافق. بدأنا الجولة في منطقة الصراف خلف السدة، وكان المطر شديدًا جدًا. وكانت المنطقة تبدو كمستنقع وغير مجهزة بالكهرباء، وكان الوقت بعد منتصف الليل. وبعد أن وصلنا إلى وسطها، قال لي: « انظر يمينًا ويسارًا، هل يمكن لبشر أن يعيش في هذه الأجواء؟ والله لأُسكنهم في بيوت مجهزة بالماء والكهرباء وتكون متصلة ببغداد بطرق معبدة. » [١١]

أسفرت جهود وزارة الأشغال والإسكان ولجنة الترحيل وتوزيع الدور والأراضي، التي عملت بلا توقف على فرز ٢٢ ألف قطعة سكنية في مدينة الثورة، عن نتائج إيجابية. حيث أعلن حسن رفعت، وزير الأشغال والإسكان، أن عبد الكريم قاسم قد أشرف على جميع الترتيبات اللازمة لتحسين أوضاع أصحاب الصرائف في أطراف العاصمة بغداد. كما بشر الوزير هؤلاء المساكين بأنه سيتم توزيع ٢٢ ألف قطعة سكنية لهم، حيث تبلغ مساحة كل قطعة أقل قليلاً من ١٥٠ م^2، وهي أراضٍ أميرية، مما يتيح لهم بناء منازل بسيطة في **مدينة الثورة.** ومن المقرر أن يتم البناء وفق النموذج الذي أنشأته الحكومة في مقدمة

المدينة، ثم أعلن وزير الأشغال والإسكان عن رغبة الزعيم في إدخال الطابع العصري إلى مدينة الثورة، حيث ستحتوي المدينة على حدائق وطرق معبدة ومدارس ومستوصفات، بالإضافة إلى خط نقل للركاب لنقل أبناء المدينة إلى بغداد. كما قرر الزعيم إنشاء طريق يمتد من مدينة الثورة إلى ساحة الطيران في الباب الشرقي، مما يسهل وصول سكان المدينة في أقصر وقت ممكن [١٢] .

من المهم أن نذكر هنا أن ظاهرة الترحيل القسري لأصحاب الصرائف في بغداد، دون توفير مأوى لهم، لم تعد قائمة بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . كانت معظم المراسلات الرسمية بين الوزارات المعنية بقضية

أصحاب الصرائف تحمل عناوين تتعلق بالترحيل والإسكان. في ذلك الوقت، لجأت السلطات الحكومية إلى هدم أحياء كاملة من الصرائف في بغداد، وهو ما لم يكن مألوفًا في العهد الملكي. كانت أحياء الصرائف منتشرة بشكل ملحوظ في معظم ضواحي المدينة، حتى أنها كانت قريبة من أهم المباني الحكومية ومقرات مجلس السيادة والعديد من الوزارات. ومن المؤسف أنها كانت موجودة في بعض المناطق الخطرة، مثل تلك الواقعة تحت أسلاك وأبراج نقل الطاقة الكهربائية، بالإضافة إلى وجودها في بعض المواقع المخصصة للمشاريع الحيوية.

ومع ذلك، تم منح أصحاب هذه الصرائف الأولوية في تخصيص

الأراضي السكنية لهم في مدينة الثورة، ثم تم ترحيلهم إليها. اشتهر الزعيم عبد الكريم قاسم بأخذ ضيوفه في جولات ليلية بسيارته، والتي كانت غالبًا ما تستمر حتى الفجر، حيث كان يأخذهم إلى مدينة الثورة ليظهر لهم ما أنجزه لصالح سكان الصرائف في بغداد (١٣) .

قطع عبد الكريم قاسم عهداً لأصحاب الصرائف بعدم تركهم دون مساعدة، وبالفعل قد أوفى بعهده، بل عمل على توزيع الأراضي السكنية عليهم مع متابعة مستمرة. وقد ذكر في أحد خطبه أنه قال: « ستكون هناك بيوت عامرة قريباً، ولن يأتي يوم ١٤ تموز حتى ترون ١٤ شارعاً تمتد من شرقي بغداد إلى غربها، تفتح المناطق لأهل

الصرائف نحو الأحياء القديمة، مما يسهل التنقل بينهم ويوفر الماء النقي

والكهرباء لهم» [١٤] .

حرص الزعيم عبد الكريم قاسم على متابعة عملية انتقال سكان الصرائف

وتسهيل جميع العقبات التي تواجه هذه العملية. خلال زياراته المتكررة

للمدينة الناشئة، كان يستمع بسرور لمطالب سكانها، وأحيانًا يستلم

عرائض مكتوبة ليقوم بدراستها وتنفيذ ما يمكن تحقيقه من خلال

الدوائر المختلفة، كل ذلك بهدف جعل المدينة الجديدة مركز جذب

لسكان الصرائف في بغداد.

على الرغم من الإنجازات العديدة التي حققها الزعيم في فترة زمنية

قصيرة، والتي عجز النظام الملكي عن تحقيق ربعها خلال فترة حكمه، إلا أن هذا لم يكن كافياً في نظر عبد الكريم قاسم. لذا، في ١٣ أغسطس ١٩٦١ ، قام بتشكيل لجنة وزارية تهدف إلى تسريع تقديم الخدمات لسكان مدينة الثورة. تألفت اللجنة من حسن رفعت وزير الإسكان والأشغال وباقر الدجيلي وزير البلديات ومتصرف (محافظ) بغداد، وترأس عبد الكريم قاسم اللجنة التي درست جميع التقارير الفنية وغيرها المتعلقة بتطوير مدينة الثورة. ثم اصطحب عبد الكريم قاسم اللجنة إلى المدينة للتعرف على واقعها. كما طلب عبد الكريم قاسم من الجهات المسؤولة عن مد شبكات مياه الشرب أن تعمل بجد لإنجاز

المشروع قبل الموعد المحدد. وأثناء عودته إلى وزارة الدفاع، شجع عبد الكريم قاسم اللجنة المعنية على بذل أقصى جهدهم في مجالاتهم لإكمال مشروع إسكان الصرائف في مدينة الثورة وتوفير سبل الراحة للسكان. وأعرب عن استعداده الشخصي لمساعدتهم، مطالباً إياهم بمراقبة الأعمال المنفذة، مشيراً إلى أن الخدمة الحقيقية تكمن في تقديم الدعم للفقراء من أبناء الشعب العراقي والاعتناء بهم (١٥) .

شجعت هذه الإجراءات السكان المترددين في الصرائف على قبول الانتقال إلى مدينة الثورة. ولتسهيل ذلك، ترأس عبد الكريم قاسم جلسة طارئة لمجلس التخطيط الاقتصادي، حيث اتخذ قرارين بشأن

مشروع إسكان أصحاب الصرائف. تم تخصيص مبلغ ٨ آلاف دينار بالإضافة إلى ٢٠٠٠ دينار كانت مخصصة سابقًا، بهدف تهيئة ومسح وتخطيط وإفراز القطع التي سيتم توزيعها على الفقراء من أصحاب الصرائف، ومنح المجلس وزارة الأشغال والإسكان الصلاحيات الكاملة لصرف الأموال. كما قرر المجلس تخصيص مبلغ ٣١ ألف دينار لإنشاء محطة تصفية المياه في مدينة الثورة شرق بغداد، وتفويض وزارة الأشغال والإسكان للقيام بهذا العمل، على أن تكون طاقة المحطة كافية لتلبية احتياجات المدينة [١٦] .

تنفيذاً لذلك، انخرطت عدة جهات حكومية في عمل مستمر، حيث

عبرت تلك الجهات عن إنجاز أعمالها بأسرع وقت ممكن لإكمال عمليات المسح والفرز والتقطيع والتوزيع في فترة قياسية.

ز تشمل الأحياء الجديدة في مدينة الثورة الجهود الحكومية، حيث قامت "لجنة الترحيل وتوزيع الدور والأراضي" بتحفيز وزارتي الصناعة والبلديات، وطلبت منهما توجيه الجهات المختصة للإسراع في مد أنابيب المياه وتأسيس الكهرباء للقطع الأرضية الأخرى التي تم توزيعها مؤخرًا في مدينة الثورة، لأن التأخير في ذلك سيؤدي إلى عدم تشجيع المواطنين على السكن في هذه المدينة، التي تعتبر من الإنجازات الهامة لثورة ١٤ تموز، والتي تحظى باهتمام الزعيم عبد الكريم قاسم [١٧] .

من الصور النادرة للزعيم عبدالكريم قاسم وهو يفتتح الوجبة الثالثة من دور مدينة الضباط ويضع الحجر الاساس للوجبة الرابعة ، ويظهر على يمين الزعيم نايف حمودي وعلى يساره الاستاذ حسن رفعت وزير الاعمار ١٩٦٣.



صورة نادرة للزعيم عبد الكريم قاسم وهو يضع حجر الأساس لمشروع مدينة الضباط . ويظهر خلفه مرافقه الأقدم وصفي طاهر



هوامش الفصل الرابع

(١) حيدر عطية السوداني، عبد الكريم قاسم وسكان الصرائف في بغداد، بغداد ، ص ٣٧.

(٢) الحاج كاظم عبد شنجار البيضاني، مدينة الثورة: دراسات تاريخية معاصرة، بغداد ، ص ١١٥.

(٣) عبد الرزاق الهلالي، الهجرة من الريف إلى المدن، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٥، ص ٦١.

(٤) حيدر عطية السوداني، المصدر السابق الذكر ، ص ٤٣.

(٥) حيدر عطية السوداني، المصدر السابق الذكر ، ص ٥٧.

(٦) جريدة اليقظة ، العدد (٢٩٨١)، ٣ تشرين الأول ١٩٥٨.

(٧) جريدة البلاد ، العدد (٥٣٧٠)، ٥ كانون الأول ١٩٥٨، كما ذكر الحادثة مرافق الزعيم شاكر محمود العزاوي في لقائه مع السيد الدكتور عبد الحميد عبد الله .

(٨) حيدر عطية السوداني، المصدر السابق الذكر، ص ١٧٢.

(٩) كاراكاكوس، ثورة العراق، ترجمة: غير مذكور، بغداد: دار الفارابي، ص ١٤٢.

(١٠) أوريل دان، العراق في عهد قاسم، ترجمة: سليم طه التكريتي، بغدا ،: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٣، ص ٨٤.

(١١) حيدر عطية السوداني، المصدر السابق الذكر ، ص ١٧٧.

(١٢) حيدر عطية السوداني، المصدر السابق الذكر ، ص ١٩٦.

(١٣) محسن الرفيعي، المصدر السابق الذكر ، ص ٦٥.

(١٤) مبادئ ثورة ١٤ تموز في خطب ابن الشعب البار الزعيم عبد الكريم قاسم لسنة ١٩٦١، بغداد: وزارة الإرشاد، ص ٢٩٥.

(١٥) حيدر عطية السوداني، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٠٣.

(١٦) جريدة البيان، العدد (٢٧٧)، ١٦ آب ١٩٦١.

الفصل الخامس

الانشقاق

﴿ انشقاق القوى القومية والبعثية بقيادة عارف ﴾ [(١)]

لم تكد تمر سوى أيام قليلة من عمر الثورة التي باركها الشعب بكل قواه السياسية الوطنية حتى ظهرت بوادر الانشقاق في صفوف الحركة الوطنية ، فقد كانت خطب رجل الثورة الثاني العقيد عبد السلام عارف وهو يطوف المدن العراقية ، الواحدة بعد الأخرى ، ويزور قطعات الجيش المتواجدة فيها تتناقض كلياً مع توجهات الثورة وأهدافها ، في إجراء التغييرات الضرورية في كافة المجالات السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية ، ومن أجل تصفية مخلفات العهد السابق ، وإجراءاته القمعية لحقوق الإنسان العراقي وحرياته .

لقد سببت تلك الخطابات اللا مسؤولة بلبلة كبرى في صفوف أبناء الشعب والقوات المسلحة من جهة ، وإحراجاً لحكومة العراق أمام مختلف دول العالم ، حتى وصل الأمر بوزير الخارجية عبد الجبار الجومرد أن أبدى انزعاجه مراراً وتكراراً مما يرد في خطابات عبد السلام عارف الغير متزنة .

لقد تبنت القوى القومية والبعثية عبد السلام عارف ، ودعمته تحت شعار الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة ، دون مراعاة اختلاف الظروف الاقتصادية ، والسياسية بين البلدين ودون مراعاة التركيب القومي للمجتمع العراقي ، رافضين إعطاء الفرصة لإحداث

التغييرات اللازمة في الهياكل السياسة والاقتصادية ، والاجتماعية في الوطن.

بدأت تلك القوى منذ الأيام الأولى للثورة تسيّر التظاهرات المطالبة بالوحدة الفورية ، دون أن تستخلص التجربة من وحدة سوريا مع مصر التي جرت بصورة مستعجلة ، وأدت إلى ظهور تناقضات واسعة وعميقة بين البلدين والتي انتهت بالانفصال فيما بعد .

لقد اتهمت تلك القوى بقية القوى السياسية الوطنية بالشعوبية ، والقطرية وغيرها من الاتهامات المشينة ، لأنها أرادت التريث في الأقدام على خطوة خطيرة كهذه بالنسبة لمصير الشعب والوطن،

وإيجاد أفضل الوسائل والسبل الكفيلة بإقامة أوسع ارتباط مع الجمهورية العربية المتحدة في كافة المجالات السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، وصولاً إلى الوحدة فيما بعد، على أن تكون قائمة على أسس ديمقراطية حقة ، وبقرار الشعب نفسه ، ، عبر انتخابات برلمانية حرة ونزيهة ، كيف ومتى يعلن الوحدة .

إن الوحدة العربية أمل كبير وعزيز على كل عربي محب لأمته ووطنه ومن الضروري الأعداد لها بمنتهى التبصر والحكمة ، وعدم التسرع ، لتجنب الأخطاء التي وقعت فيها الوحدة السورية المصرية .

لكن عبد السلام عارف والسائرين وراءه ، ومحاولات التدخل من

جانب السفارة المصرية لفرض الوحدة ، أدت إلى تعمق الانشقاق في صفوف الحركة الوطنية .

ولم يكتف عبد السلام عارف بخطبه تلك بل سارع إلى إصدار صحيفة صوت الجماهير بأسمه وترأس تحريرها الدكتور سعدون حمادي أحد قياديي حزب البعث ، مخالفاً بذلك قانون الصحافة ، ومتجاوزاً كونه الشخص الثاني في حكومة الثورة ، وقد استخدم تلك الصحيفة لإشاعة مفاهيم غير متفق عليها فيما يخص قيام الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة ، ولعبت تلك الصحيفة دوراً كبيراً في شق الصف الوطني منذُ الأيام الأولى للثورة .

لقد حذر الزعيم عبد الكريم قاسم رفيقه في الثورة عبد السلام عارف

من مخاطر تلك التصرفات وأثارها السلبية على مصير الثورة و الشعب ،

وأضطر عبد السلام عارف تحت ضغط عبد الكريم قاسم إلى التنازل

عن ملكية الصحيفة تلك ، لكنه سلمها لحزب البعث، لكي تستمر على

سياستها الهادفة إلى شق وحدة الشعب وقواه السياسية المنضوية تحت

راية جبهة الاتحاد الوطني ، وخيمة ثورة ١٤ تموز .

وبعد عشرة أيام من قيام الثورة زار العراق (الأب المؤسس) ميشيل

عفلق مؤسس حزب البعث ، والتقى برفاقه في حزب البعث ، مشدداً

عليهم ضرورة العمل الجدي من أجل قيام الوحدة الفورية مع

الجمهورية العربية المتحدة .

وفي ١٩ تموز سافر وفد عراقي برئاسة عبد السلام عارف ، وعضوية عدد من الوزراء ، والتقى الوفد بالرئيس جمال عبد الناصر وجرت مباحثات بين الطرفين انتهت بالتوقيع على اتفاقية للتعاون تضمنت خمس نقاط هي :

١ - التأكيد على الروابط بين البلدين، وعلى المواثيق ، والعهود كميثاق الجامعة العربية ، وميثاق الدفاع المشترك بين الدول العربية .

٢- التأكيد على تنسيق المواقف بين البلدين فيما يخص الموقف الدولي

وتصميم الطرفين على التعاون والتنسيق ضد أي عدوان محتمل .

٣ ـ التعاون بين الطرفين في مجال العلاقات الدولية ، والالتزام بميثاق الأمم المتحدة ودعم السلم العالمي.

٤ - التشاور والتعاون بين البلدين في كل ما يخص الشؤون المشتركة .

وخلال تواجد الوفد العراقي في دمشق أجتمع عبد السلام عارف مع الرئيس عبد الناصر بصورة منفردة، حيث دار بين الجانبين نقاش حول محاولة إقامة الوحدة الفورية بين البلدين ، وعاد الوفد إلى العراق ، وعاد عبد السلام عارف يصعد من حملته الرامية إلى الوحدة الفورية ومُحدثاً

شرخاً كبيراً في صفوف الثورة ، والحركة الوطنية للشعب العراقي.

واستغلت الإمبريالية وعملائها من الإقطاعيين والرجعيين الذين تضررت مصالحهم من قيام ثورة ١٤ تموز تلك الأوضاع ، فلقد وجدت الإمبريالية ضالتها المنشودة في تمزيق وحدة الشعب وقواه السياسية، وبدأت تصب الزيت على النار مستغلة الشعارات التي رفعتها تلك القوى ، لا حباً بالوحدة ولا رغبة فيها ، وهي التي سعت دوماً إلى تمزيق الصف العربي ، بل لتمزيق وحدة الشعب العراقي ،

وقواه الوطنية المنضوية تحت راية الثورة ، لكي يسهل عليها تمرير مؤامراتها الهادفة إلى إسقاط الثورة ، وتصفية كل منجزاتها.

كان على الطرف الآخر من المعادلة ، وأعني به كل القوى الديمقراطية

والشيوعية ، التصدي لذلك الشعار ، والذي رفع في غير أوانه ،حيث

بادرت تلك القوى إلى رفع شعار الاتحاد الفدرالي مع الجمهورية

العربية المتحدة ، السعي لرفع تلك العلاقة إلى مستوى الوحدة الكاملة

عندما تتوفر الشروط الموضوعية لها في المستقبل .

* * *

﴿ مصير الوحدة الفورية ﴾ [٢]

كان حلم الوحدة العربية عند أغلب الضباط القوميين مجرد شعور عاطفي

ورومانسي، يدفعهم إلى التفكير في إعادة أمجاد الماضي، لكنهم كانوا

يرونه هدفاً بعيد المدى، يحتاج إلى ظروف مناسبة لينجح. ولم تكن فكرة

"الوحدة الاندماجية الفورية" مع الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) من أهداف ثورة ١٤ تموز ، وهذا واضح من البيان الأول الذي أذاعه عبد السلام محمد عارف صباح يوم الثورة، حيث لم يذكر فيه أي شيء عن الوحدة العربية، بل ركز على الوحدة الوطنية العراقية، وأكد على التضامن العربي بشكل عام، إلى جانب التضامن مع العالم الإسلامي ودول عدم الانحياز.

كما أن عدداً من الضباط الذين شاركوا في الثورة، مثل اللواء محسن حسين الحبيب، ذكروا في كتبهم أن أهداف الثورة كانت واضحة ولم تتضمن الوحدة الفورية، إلا في حال تعرض العراق لهجوم خارجي

لإعادة النظام الملكي.

لكن بعد أيام قليلة من نجاح الثورة، وفي ظل خوف القوى الاستعمارية من النظام الجديد، زار ميشيل عفلق، مؤسس حزب البعث، بغداد يوم ٢٤ تموز واقترح على قيادة الحزب أن تكون الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة هدفاً أساسياً. هذا الطرح أثار قلق عدد من الأحزاب العراقية الوطنية مثل الحزب الوطني الديمقراطي، الحزب الشيوعي، والحزب الديمقراطي الكردستاني، لأنهم كانوا يعرفون أن عبد الناصر، زعيم مصر، كان يعارض التعددية الحزبية وألغى الأحزاب في مصر وسوريا أثناء فترة الوحدة.

الشيوعيون العراقيون كانوا خائفين بشكل خاص، بسبب ما حدث لزملائهم في سوريا ولبنان ومصر، مثل تعذيب فرج الله الحلو وقتله، وإعدام شهدي عطية، وملاحقة الشيوعيين السوريين. في المقابل، كان عبد الكريم قاسم يؤمن بحرية الأحزاب، وكان من القوميين العرب لكنه لم يكن متهوراً، بل كان يفضل العمل المدروس والهادئ.

كذلك، فإن الأحزاب الوطنية مثل حزب كامل الجادرجي (الوطني الديمقراطي) وحزب محمد مهدي كبة (الاستقلال) كانوا مع فكرة الاتحاد العربي، لكنهم كانوا يفضلون أن يكون على شكل اتحاد فيدرالي، وليس وحدة فورية.

قال المفكر الكويتي أحمد الربعي إن أي وحدة يجب أن تكون مشروعاً مدروساً، وأن ما حدث بين مصر وسوريا كان سريعاً وانفعالياً، لذلك فشل. وأكد أن الوحدة لا تنجح إلا إذا تم توحيد القوانين والمؤسسات والعملة والجمارك، وتقريب مستوى المعيشة بين الدول.

القوميون العرب، سواء كانوا ناصريين أو بعثيين، كانوا يريدون الوحدة بسرعة، دون الرجوع لرأي الشعوب، بل بقرارات فوقية. ولذلك فشلت الوحدة، لأنها لم تُبنَ على دراسة واقعية، وهذا ما حذر منه عبد الكريم قاسم، حيث قال إن العراق جزء من الأمة العربية، لكن الاتحاد لا يقرره شخص واحد، بل الشعوب. وأكد أن الوحدة يجب أن تتم

تدريجياً وخطوة بخطوة.

حتى جمال عبد الناصر نفسه غيّر رأيه لاحقاً، واعترف أن الوحدة الفورية كانت سابقة لأوانها، وقال بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ إنه لا بد من مراعاة الظروف الداخلية لكل بلد قبل تحقيق الوحدة.

بعد الثورة، بدأ عبد السلام عارف يطوف المدن العراقية ويردد في خطاباته دعوة للوحدة الفورية مع عبد الناصر، متجاهلاً عبد الكريم قاسم، وكأنه يريد أن يصبح "عبد الناصر العراق"، ويجعل من قاسم مجرد واجهة، كما حدث مع اللواء محمد نجيب في مصر.

ان أحد أكبر أخطاء قاسم كان ثقته المفرطة بعبد السلام عارف. وكما تقول الحكمة: "الطريق إلى جهنم مفروش بالنوايا الحسنة". فقد فرض قاسم عارف على قيادة الثورة، رغم اعتراض البعض. وقال مصطفى علي، وزير العدل آنذاك: "قاسم جاء بثورة عظيمة، لكنه جاء معها بفنائها... جاء بعبد السلام عارف".

منذ الأيام الأولى، كان عارف يخطط للإطاحة بقاسم. فقد أخبر عبد الناصر بعد أيام من الثورة أن العراق سينضم للوحدة، وأن مصير قاسم سيكون مثل مصير محمد نجيب، بل وصفه بأنه "قلم حبر في جيبه". وصلت هذه التصريحات لقاسم، فواجه عارف بها، لكنه أنكر.

الحقيقة أن رفع شعار الوحدة الفورية لم يكن هدفه الوحدة نفسها، بل كان وسيلة لإحراج قاسم وإسقاطه، ولضرب الأحزاب الوطنية كما حدث في مصر وسوريا. والمفارقة أن من رفعوا شعار الوحدة، منعوا الحديث عنها بعد استلامهم الحكم لعقود طويلة.

* * *

﴿ عارف يحاول قتل قاسم في مكتبه ﴾ (٣)

يذكر هذه الحادثة اسماعيل العارف ، الذي كان موجود حينها . اذ يقول : « ... جاء عبدالسلام عارف معنا وحين وصلنا مبنى وزارة الدفاع قال طاهر يحيي : " سأذهب الى مديرية الشرطة العامة فلا

اجد مبرراً لمجيني " ، فدخلنا انا ، وعبد السلام عارف مبنى وزارة الدفاع، ولم يكن عبد الكريم قاسم قد وصل بعد، فانتظرناه في غرفة احمد صالح العبدي، الحاكم العسكري العام، فطلبت منه ان يتصل بالزعيم عبدالكريم قاسم ويخبره هاتفياً، اننا في انتظاره. وفعلاً اتصل به ووصل عبد الكريم قاسم بعد نحو نصف ساعة، فطلبت من احمد صالح العبدي ان يدخل عبدالسلام عارف على عبدالكريم قاسم، اذ فضلت ألا ادخل معه، ربما كانت بينهما بعض الأحاديث او أشكال العتاب الشخصي فلبثت في غرفة احمد صالح العبدي، ولكني وجدت عبد الكريم قاسم يخرج من غرفته ليدخل الغرفة التي كنت جاساً فيها

وانا انتظر. فأمسك بيدي وقال: «يا فؤاد، انا احب ان تكون حاضراً

معنا في هذا اللقاء». فدخلت معه الى غرفته. واستنتجت انه اراد ان

اكون معه ومع عبد السلام من دون احمد صالح العبدي، لأني .

سمعت عبد الكريم قاسم يقول: «يا احمد ربما عندك اشغال تريد ان

تقضيها في مكتبك فأذهب الى غرفتك». فنهض احمد صالح العبدي

وادى التحية العسكرية، ثم دار النقاش بين عبد الكريم قاسم وعبد

السلام عارف كان عبد السلام عارف يلحي باللائمة على عبد الكريم

قاسم بأنه فسح المجال لأناس لا علاقة لهم بالثورة بالتدخل في شؤونها،

وكان يقصد بعض العناصر الوطنية التي كان عبد الكريم قاسم

يتعاطف معها، وادخل قسماً منها في الوزارة، وبدأت فعلاً تعبر عن ثقلها او عن وجودها ، بينما كان عبد الكريم قاسم يتهم عبد السلام عارف بالتكتل وتأليب الضباط عليه وتكوين اتجاه مناوئ له. ويلومه على ارتباطاته واتخاذه بعض القرارات بمفرده ، واعطائه بعض التصريحات الكيفية التي لا تمثل رأي الثورة والتي لا يجوز ان تصدر بشكل عفوي وارتجالي.

وكان دوري في هذا الاجتماع الساخن محاولة تهدئة الحوار بينهما في بداية الأمر.

في الواقع كنت اجد نفسي بين قوتين لا يمكن ان تتفقا بالسهولة التي كنا

نتصورها قبل لقائهما بحضوري فعبد السلام عارف ، كان يعتبر نفسه هو الذي قام بالثورة ، لأنه الذي دخل بغداد صبيحة الرابع عشر من تموز ، وأذاع بنفسه البيان الأول وأعلن الجمهورية ، وهذا الانتصار العسكري الذي لم يلق مقاومة عسكرية تذكر ، جعل عبد السلام عارف يشعر بداء العظمة حتى تلاشت الصورة الحقيقية لتنظيمات الضباط الاحرار ومجمل العوامل والاسهامات التي هيأت فرصة القيام بالثورة.

وقد وصل الأمر في بداية الثورة الى أنه اخذ يترفع على عبدالكريم قاسم وهو رأس التنظيم، واخذ يعامل عبد الكريم قاسم وكأنه ادنى منه رتبة وبشكل علني واحياناً متقصد، كي يثير إنتباه الآخرين وفعلا تقبل

عبد الكريم قاسم هذا التصرف منه في البداية. كان عبد السلام عارف لسان الثورة، يتجول ويلقي الكلمات من مدينة لأخرى، ويدلي بالتصريحات حول مستقبل الثورة وعلاقتها بالجمهورية العربية المتحدة ، من دون أي اعتبار لرأي عبد الكريم قاسم الذي كان قابعاً في مقره في وزارة الدفاع .

لذا فإن عبدالكريم قاسم لم يستطع ان يتحمل اكثر وعبد السلام عارف ماض في التأليب عليه، ان اخذت القوى الوطنية من الاتجاهين تسهم في دفع وتشجيع حالة الصراع بين الرجلين القوميون يناصرون عبد السلام عارف ويدفعونه باتجاه والقوى الوطنية الأخرى التي لم

تكن تؤيد الوحدة او الوحدة الفورية تناصر وتدفع عبد الكريم قاسم بإتجاه آخر.

وكانت القوى الوطنية التي تناصر عبد السلام عارف تتألف من الوحدويين وحزب البعث العربي الاشتراكي والقوميين العرب والاخوان المسلمين ومعظم المستقلين ممن لهم نزعة قومية أو دينية.

أما القوى الوطنية التي كانت تناصر عبد الكريم قاسم فقد كانتتتمثل بالشيوعيين والوطني الديمقراطي والحزب الديمقراطي الكردستاني وكثير من الديمقراطيين ممن لم يجدوا مبرراً لقيام الوحدة الفورية بل لم يؤمنوا اساساً بمسألة الوحدة.

اما كيف دار النقاش والمتابعة بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وكيف انتهيا؟

فقد فكرت مع نفسي ان اتركهما وحدهما قليلاً قد تكون بينهما بعض الاسرار، فأستأذنت بالخروج وما أن خرجت من الغرفة ودخلت غرفة السكرتير حتى وجدت ناجي طالب ومحي الدين عبد الحميد وعبد العزيز العقيلي وناظم الطبقجلي وعبد الوهاب الشواف امتلكهم العجب بسبب تركي لهما وخروجي من غرفة عبد الكريم قاسم، حتى ان اللواء الركن ناجي خاطبني مازحا: «ابا فرهاد كملت الطبخة؟ قلت: لا والله». وفي تلك اللحظة سمعت عبد الكريم قاسم يناديني من غرفته التي تؤدي

الى غرفة السكرتير قائلاً: «أين أنت ذاهب يا فؤاد؟»، فعرفت انه لا
يريد ان اتركهما وحدهما ، أو ربما كان يخشى ان يبقى مع عبد السلام
عارف وحده، فعدت فوراً الى غرفته وأوصدت الباب من ورائي
وتشاغلت عنهما بالنظر الى بعض الصور المعلقة على الجدار ، والنقاش
دائر بينهما وانا انتقل من صورة الى أخرى حتى ، سمعت عبد الكريم
قاسم يصيح بحدة: «يا عبدالسلام خنت الثورة من اليوم الرابع لقيامها»،
فالتفت الى عبد الكريم قاسم لأجده يخرج ورقة ويقول: «هذه برقية،
بعث بها عبد المجيد فريد الملحق العسكري المصري في بغداد الى الرئيس
جمال عبد الناصر، وقد استطاعت بعض الجهات أن تستحوذ على هذه

البرقية وتسلمها الى عبدالكريم قاسم. يذكر الملحق العسكري المصري ببرقيته مايأتي وقد قرأها عبدالكريم قاسم: «لقد اتصلت بعبد السلام عارف وهو مصر على ان يقيم الوحدة الفورية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، وسوف يرغم عبد الكريم قاسم على قبول هذه الوحدة، وإذا لم يوافق فسوف يتخلص منه». وفجأة وجدت عبد الكريم يصرخ قائلاً: «شدتسوي؟» اي ماذا تفعل؟ فالتفت الى عبد السلام عارف اذا به قد سحب مسدسه وهو يهجم على عبدالكريم قاسم ممسكاً به وما كان مني إلا أن انقضضت بدوري على يد عبدالسلام عارف وامسكت به ثم بدأت ألوي ساعده حتى أخذت المسدس منه وكان يحاولعبد السلام

المقاومة ولكني سيطرت عليه فسقط على الأرض وهو يبكي.

دفعت الضجة التي حدثت في غرفة عبد الكريم قاسم الى فتح الباب ودخول السادة الذين ذكرت انهم كانوا جالسين في غرفة السكرتير بالاضافة الى عبد الكريم الجدة آمر الانضباط العسكري ووصفي ،طاهر، مرافق عبد الكريم قاسم ، وكان اول الداخلين هو محي الدين عبد الحميد وبدأ عبد السلام عارف يبكي وهو ملقى على الارض، وكنت أقوم بتفريغ المسدس من إطلاقاته.

وجدت عبدالكريم قاسم يصيح قائلاً: «لولاك لإغتالني عبدالسلام»، فقال عبدالسلام: «انا لم انو قتلك» فقال عبد الكريم قاسم اذن لماذا

سحبت مسدسك؟» قال عبدالسلام: «كنت اريد ان انتحر» فقال له عبد الكريم قاسم : « إذا كنت تريد أن تنتحر، فانتحر في بيتك اما هنا فانك قد سحبت مسدسك في حضور رئيس الوزراء وهذه جريمة تحاسب عليها».

وبعد اخذ المسدس منه سمعت عبد الكريم قاسم يقول: «انا اعرف ان هناك مؤمراة لإغتيالي وان تكتلاً من الضباط بتوجيه وتبرير عبد السلام عارف يدبر للتخلص مني».

* * *

﴿ إحالة عارف للمحاكمة والحكم بالاعدام ﴾

في مساء يوم ٤ تشرين الثاني ، وفي تمام الساعة العاشرة مساءاً أذاعت محطتا الإذاعة والتلفزيون بياناً من القائد العام للقوات المسلحة هذا نصه : « عاد العقيد المتقاعد عبد السلام عارف سفير العراق في بون إلى بغداد دون أمرٍ أو إجازة ، وبناءاً على مقتضيات المصلحة العامة ، وبسبب من محاولاته المتكررة للإخلال بالأمن ، والراحة العامة فقد تم اعتقاله في هذا اليوم ، وسيحال إلى المحاكمة بتهمة التآمر على سلامة الوطن . [٤]

وفي ذلك اليوم أعلن عن اكتشاف مؤامرة كان من المقرر تنفيذها يوم

٥ تشرين الثاني يشترك فيها عدد من الضباط الموالين لعبد السلام عارف

، تهدف إلى تصفية عبد الكريم قاسم ، ووصفي طاهر ، وقد جرى

اعتقالهم فعلاً ، ولكن تم إطلاق سراحهم فيما بعد . (٥)

أما عبد السلام عارف فقد تمت إحالته إلى المحكمة العليا الخاصة [محكمة

الشعب في ٩ كانون الأول ١٩٥٨ ، وفق المادة ٨٠ من قانون

العقوبات البغدادي أنكر وجود مثل تلك المؤامرة في محاكمته أمام محكمة

الشعب ، غير أن توقيت عودته في ذلك اليوم ٤ تشرين الثاني أثار الكثير

من الشكوك حول تلك المحاولة الانقلابية وعلاقة عبد السلام عارف

بها وجهت إلى عبد السلام عارف خلال محاكمته تهمة تنظيم وترأس

جماعة من الضباط الناقمين والذين كانوا على رأس عدد من الوحدات العسكرية ، من أجل تدبير انقلاب عسكري ليلة ٤/٥/ تشرين الثاني ١٩٥٨ ، وهي تهمة تنطبق على المادة ٨٠ من قانون العقوبات البغدادي ، وعقوبتها الإعدام .

كما وجهت له المحكمة تهمة محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في مقره بوزارة الدفاع ، وقد نفى عارف عنه التهمتان ، مدعياً أنه من أخلص الناس لعبد الكريم قاسم ، وأنه لا يمكن أن يفكر بالأقدام على مثل تلك الخطوة . لقد جرت محاكمته حسب الأصول القانونية ، وأُستدعي للشهادة عدد من كبار الضباط كان من بينهم الزعيم فؤاد عارف الذي

كان شاهداً على محاولة الاغتيال . وفي ٥ شباط أصدرت المحكمة قرارها بتجريم عبد السلام عارف والحكم عليه بموجب التهمة الثانية بالإعدام ، بعد أن برأته من التهمة الأولى لعدم ثبوت الأدلة ، كما أوصت المحكمة الزعيم عبد الكريم قاسم بوصفه القائد العام للقوات المسلحة بتخفيف العقوبة ، بموجب الصلاحية المخولة له ، كما نص عليه قانون تشكيل المحكمة [٦] .

ومع كل ذلك فأن حكم الإعدام لم ينفذ بعارف ، ولكنه مكث في السجن حتى أيلول ١٩٦١ ، حيث أطلق عبد الكريم قاسم سراحه من السجن ، بعد وقوع الانفصال بين سوريا ومصر ، كما أعاد له كافة

حقوقه التقاعدية وأكرمه ، وأرسله إلى مكة لأداء فريضة الحج. ، ظناً منه ـ أي عبد الكريم قاسم - أن سياسة التسامح والعفو عن من حاول مراراً وتكراراً الغدر به وبالثورة قد تعيده إلى رشده و وصفائه لكن التاريخ أثبت عكس ذلك تماماً، حيث أستمر عارف بالتآمر على الثورة وقيادتها حتى تسنى له ذلك ، بالتعاون مع حزب البعث ، من اغتيال الثورة وقائدها عبد الكريم قاسم يوم الثامن من شباط عام ١٩٦٣ حيث وقع عبد الكريم قاسم أسيراً بيد عبد السلام عارف وشركائه البعثيين ، وناله من حقدهم ما ناله من الإهانات ، وتم إعدامه على أيديهم ولم يفد تذكير عبد الكريم قاسم لرفيقه عبد السلام عارف

، بأنه كان قد عفا عنه ، وأنقذه من حكم الإعدام .

الزعيم عبد الكريم قاسم مع العقيد عبد السلام عارف



﴿ هوامش الفصل الخامس ﴾

(١) حامد الحمداني ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٣٤ .

(٢) د. عبد الخالق حسين ، المصدر السابق الذكر ، ص ٨٦ .

(٣) د. كمال مظهر احمد ، مذكرات فؤاد عارف ، دار آراس للطباعة والنشر ، العراق ، اربيل ، ط٢ ،٢٠١١ ، ص ١٤٧ .

(٤) المحاكمات ، الجزء الخامس ، ص ٢٠٤٩ .

(٥) صبحي عبد الحميد ، أسرار ثورة ١٤ تموز ، ط٢ ، ص ١٤٤ .

(٦) المحاكمات ، الجزء الخامس ، ص ٢٢٢٢.

الفصل السادس

قضايا مختلفة في نظام قاسم

﴿ مؤامرة رشيد عالي الكيلاني ﴾ [1]

رشيد عالي الكيلاني ، رئيس وزراء ، ووزير مخضرم في العهد الملكي ، حيث شغل العديد من المناصب الوزارية ، ولعب دوراً كبيراً في إسقاط العديد من الوزارات، والإتيان بغيرها، مستغلاً العشائرية والطائفية ، قاد عام ١٩٤١ ، ثورة ضد حكومة ياسين الهاشمي ، بمعاونة قادة الجيش ، العقداء الأربعة الشهيد صلاح الدين الصباغ ، و الشهيد كامل شبيب و الشهيد محمود سلمان و الشهيد فهمي سعيد ،وشكل وزارة برئاسته ، وعلى اثر ذلك هرب الوصي عبد الإله إلى القاعدة البريطانية في الشعيبة ، لكن القوات البريطانية احتلت بغداد وأعادت

الوصي عبد الإله إلى العرش من جديد ، وهرب الكيلاني إلى خارج العراق ، حيث تمكن من الوصول إلى المانيا ، وبقي فيها إلى ما قبل سقوط برلين حيث هرب إلى سويسرا ومنها إلى السعودية ، وأخيراً أستقر به المقام في مصر . وعندما قامت ثورة ١٤ تموز ، أصدرت حكومة الثورة قراراً بالعفو عنه ، حيث كان قد حكم عليه بالإعدام ، واعتبرت حركة أيار ١٩٤١ حركة وطنية ، وأُعيد الاعتبار إلى قادتها .

وعليه فقد عاد رشيد عالي الكيلاني إلى العراق في الأول من أيلول ١٩٥٨ ، بعد غياب دام ١٧ سنة مكرماً معززاً كأحد أبطال حركة أيار

١٩٤١ ، وقبل عودته قابلزالرئيس عبد الناصر ، وصرح بعد المقابلة ، أنه يشعر بوجوب إقامة الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة.

قام عبد السلام عارف بزيارته في بيته ، كما أستقبله عبد الكريم قاسم في مقره بوزارة الدفاع مرحباً به ، بوصفه قائداً لحركة أيار ، لكن الكيلاني سرعان ما عاد إلى عادته القديمة ليشبع رغباته ، وشهوته للحكم ولم يمض على عودته سوي أيام قلائل حتى أصبح داره ملتقى لأصدقائه وأعوانه من الإقطاعيين والعديد من القوميين ، وكان في مقدمتهم أبن أخيه مبدر الكيلاني والمحامي عبد الرحيم الراوي و عبد الرضا سكر ، كما كان على علاقة وثيقة بسفارة الجمهورية العربية المتحدة .

فُوجئ الشعب العراقي في ٨ كانون الثاني ١٩٥٩ بإذاعة بيان من دار الإذاعة صادر من القائد العام للقوات المسلحة جاء فيه :

« أيها الشعب العراقي العظيم، بعون الله القدير ، ويقظة الشعب ، تم اكتشاف مؤامرة خطيرة كان مقرراً لها أن تنفذ ليلة ٩/٨ ، لتعرض وحدة جمهوريتنا إلى الخطر ، وتشيع الفوضى والاضطراب في البلاد، وتهدد الأمن الداخلي ، هذه المؤامرة هي من تدبير بعض العناصر الفاسدة أعدت بمساعدة الأجنبي من خارج البلاد ، وإن الأدلة والأموال ، والأسلحة التي كانت ستستخدم لتنفيذ هذه المؤامرة قد تم وضع اليد عليها كما أن الضالعين ، والمدبرين لها قد أُحيلوا إلى المحكمة

العسكرية العليا الخاصة (محكمة الشعب)لمحاكمتهم بتهمة الخيانة والتآمر

على الوطن ، إننا ندعو الشعب إلى مزيد من اليقظة والحذر ، من أجل

المحافظة على النظام وإحباط الأعمال الدنيئة للعناصر المخربة في جمهوريتنا

الخالدة ، كما قام تلفزيون بغداد بعرض جانب من الأسلحة والأموال

التي تم ضبطها مع المتآمرين . »

لم يوضح البيان بادئ الأمر طبيعة المؤامرة ، ولا أسماء القائمين بها ، ولا

الدولة التي كانت وراءها ، غير أن الراديو ذكر في اليوم التالي أن الرجعية

التي تضررت مصالحها سبب قانون الإصلاح الزراعي ، والشعارات

القومية المزيفة كانت وراء تلك المؤامرة ، وبعد أسابيع من صدور

البيان ، تبين أن رشيد عالي الكيلاني ، كان على رأس تلك المؤامرة التي ضمت زمرة من الإقطاعيين ، وعدد من الضباط المحسوبين على الجناح القومي ، وكان من بين تلك الزمرة أبن أخيه مبدر الكيلاني ، والمحامي عبد الرحيم الراوي و عبد الرضا سكر ، بالإضافة إلى عدد من شيوخ العشائر ، وعدد من الضباط ، كان من بينهم طاهر يحيى مدير الشرطة العام و عبد اللطيف الدراجي معاون رئيس أركان الجيش ، و رفعت الحاج سري رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية وعبد العزيز العقيلي قائد الفرقة الأولى في الديوانية ، و عبد الغني الراوي أمر اللواء الخامس عشر في البصرة وغيرهم من الضباط .

كما تبين للمحكمة أن رشيد عالي الكيلاني كان على اتصال وثيق بسفارة الجمهورية العربية المتحدة، وبشكل خاص مع رجال المخابرات ، الملحقين العسكريين عبد المجيد فريد و طلعت مرعي و محمد كبول .

كان المقرر أن تقوم الحركة الانقلابية بتدبير الفوضى والاضطراب ، وذلك عن طريق قطع خطوط الهاتف ، وإخراج القطارات عن سكتها ، واعتراض البريد ، ووضع العوارض في الطرقات ، وركز الكيلاني جهود حركته في مناطق العشائر في جنوب العراق ، والفرات الأوسط وعندما يتم لهم إثارة القلاقل والاضطرابات والبلبلة ، يتقدمون بطلب استقالة عبد الكريم قاسم ، مدعين أنه قد أوصل البلاد إلى الخراب

والانقسام، وإذا رفض قاسم الاستقالة يتحرك الضباط المشاركون في المحاولة لإسقاطه بالقوة، وتشكيل حكومة جديدة برئاسة الكيلاني ، ويعلن نفسه حاكماً عسكرياً عاماً ، وقائماً بمهام رئيس الجمهورية .

كما كان مقرراً تأليف مجلس لقيادة الثورة مؤلفاً من ١٥ عضواً ، وتقرر أيضاً فور نجاح المؤامرة تأليف وزارة جديدة ، وإعلان انضمام العراق للجمهورية العربية المتحدة ، كما خطط المتآمرين لإلغاء قانون الإصلاح الزراعي ، والقيام بحملة لإبادة الشيوعيين وأنصارهم.

لقد هيا الانقلابيون الأسلحة المهربة من العربية المتحدة - القطر السوري لكي توزع على مناصريهم حال بدء الحركة ، كما أعدت الطائرات

العسكرية في سوريا لإسقاط التجهيزات العسكرية في أي منطقة من العراق يكون المتأمرون بحاجة إليها .

وقد تلقى الكيلاني الأموال من السفارة المصرية لتوزيعها على شيوخ العشائر ، عن طريق المصرف الوطني للتجارة والصناعة .

عين المتآمرون ليلة ٩/٨ كانون الأول للشروع بالمؤامرة ، ولكن المخابرات العراقية استطاعت كشف المؤامرة قبل وقوعها ، حيث تمكنت من الوصول إلى عبد الرحيم الراوي ومبدر الكيلاني ، واستطاعت نيل ثقتهما ، وتمكنت من الوصول إلى كثير من أسرارها ، وتسجيل أحاديث المتآمرين بكل تفاصيل المؤامرة .

كان على رأس مجموعة أعضاء الاستخبارات التي كشفت المؤامرة

الرئيس حسون الزهيري ، وضمت كل من الملازم الأول أحمد العلي

و المحامي عبد الرسول الصراف و جاكوب بلاكن والملازم احتياط

محمد محسن ، حيث أجتمع هؤلاء وكونوا جمعية سرية وهمية بإسم

جمعية الإخاء العربي ، لغرض تغيير الوضع في العراق بالقوة، وتمكن

أعضاء المخابرات المذكورون من الاتصال بفارس الحسن ، أحد

المتآمرين عن طريق جاكوبزبلاكن ، عارضين التعاون لقلب حكومة

عبد الكريم قاسم ، وقد استطاعوا كسب ثقة فارس الحسن ، الذي

أباح لهم الكثير من تفاصيل المؤامرة وأهدافها ومدبريها ، كما

استطاعوا عقد اجتماع مع المحامي عبد الرحيم الراوي ، واستطاعوا تسجيل محضر الاجتماع وتم فيما بعد اعتقال المتآمرين ، وضبط السلاح والنقود ، وفي أثناء المحاكمة أعترف ناصر الحسن بكل بتفاصيل المؤامرة .

مثل رشيد عالي الكيلاني ، ومبدر الكيلاني ، وعبد الرحيم الراوي أمام المحكمة العسكرية العليا الخاصة - محكمة الشعب - حيث جرت محاكمتهم ليلة ١٠/٩ كانون الأول ، وصدر الحكم على مبدر الكيلاني ، وعبد الرحيم الراوي ، بالإعدام ، ولم يثبت الاتهام ضد رشيد عالي الكيلاني ، وتمت تبرئته من تهمة الاشتراك في المؤامرة .

غير أن المحكمة استدعته مرة أخرى يوم ١٥ كانون الأول بتهمة جديدة ، هي تحريض دولة أجنبية على القيام بأعمال عدوانية ضد العراق ، بعد أن تقدم كل من مبدر الكيلاني و عبد الرحيم الراوي برسالة إلى رئيس المحكمة طالبين الحضور إلى المحكمة لتقديم إفادة جديدة عن دور رشيد عالي الكيلاني في المؤامرة ، وقد استجابت المحكمة إلى طلبهما ، واستدعتهما للتحقيق مرة أخرى ، حيث تحدثا أمام الهيئة التحقيقية بالتفصيل عن دور رشيد عالي الكيلاني ، وهكذا أصبح الاثنان شاهدا إثبات في قضية جديدة .

كما استقدمت المحكمة شهوداً آخرين كان من بينهم عبد الرضا سكر .

وفي ١٧ كانون الأول صدر قرار الحكم ضد رشيد عالي الكيلاني بالإعدام شنقاً حتى الموت .

لكن عبد الكريم قاسم لم يتخذ أي إجراء ضد الضباط المشاركين في المؤامرة ، بل أكتفي باحتجازهم لفترة قصيرة ثم أفرج عنهم ، وعين عدد منهم في مناصب مدنية ، وشارك هؤلاء فيما بعد في اغتيال الثورة وعبد الكريم قاسم نفسه ، فقد كان لهم دور رئيسي في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ، وكان تصرف قاسم هذا يمثل أحد أخطائه الكبرى في تسامحه مع المتآمرين والعفو عنهم ، لكي يعودوا من جديد للتآمر على الثورة وعليه هو بالذات . حرص قاسم على أن تجري المحاكمة في

بادئ الأمر بصورة سرية، نظراً لعلاقة الجمهورية العربية المتحدة بها

لكي لا يجعل المحاكمة سبباً في زيادة التوتر بين البلدين ، ولم يتحدث

الزعيم عبد الكريم قاسم بكلمة واحدة تمس سمعة الرئيس عبد الناصر

طوال مدة حكمه .

غير أن المحكمة ارتأت ، بعد افتضاح أمر رشيد عالي الكيلاني

واعترافات مبدر الكيلاني وعبد الرحيم الراوي أن تُجرى بصورة علنية،

حيث افتضح دور العربية المتحدة في تلك المؤامرة .

تعرضت المحكمة إلى حملة شعواء من العربية المتحدة، والعناصر القومية ،

والقوى الرجعية ، وعملاء الإمبريالية ، وشركات النفط ، والإقطاعيين

الذين تضررت مصالحهم بقانون الإصلاح الزراعي ، وجردوا من سلطانهم على ملايين الفلاحين ، وفقدوا مراكزهم السياسية في البلاد ، وشن عبد الناصر حملة شعواء على الزعيم عبد الكريم قاسم متهماً إياه تارة بكونه شعوبي وتارة أخرى قاسم العراق ، وتهجم على محكمة الشعب ، ولم يحاول عبد الكريم قاسم أن يرد ناصر بل تجاهله تماماً.

* * *

﴿ تمرد الأكراد ﴾

تُعدّ القضية الكردية من أبرز وأعقد المشكلات السياسية في المنطقة التي يتوزع فيها الأكراد، وذلك بسبب مطالبهم المستمرة بالحصول على حقوقهم القومية والسعي لتثبيتها في الدساتير الوطنية. وكان العراق من الدول التي واجهت هذه القضية، حيث سعت الحكومات العراقية المتعاقبة، منذ تأسيس الدولة الحديثة عام ١٩٢١ ، لإيجاد حلول لها بوسائل متعددة.

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، والتي أنهت النظام الملكي وأعلنت قيام الجمهورية العراقية بقيادة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم، دخلت القضية

الكردية مرحلة جديدة. فقد أظهر النظام الجمهوري تفهّمًا أكبر للمطالب الكردية، إذ تم الاعتراف بالأكراد كقومية رئيسية إلى جانب القومية العربية، وتثبيت ذلك في الدستور المؤقت الصادر في ٢٦ تموز ١٩٥٨ . كما شارك الأكراد في الحكومة الجديدة، وحظيت الثورة بدعمهم الكامل، وهو ما جعل سياسة الدولة تجاههم أكثر انفتاحًا مقارنة بمواقف الدول المجاورة مثل تركيا وإيران.

بعد قيام الثورة التي قادها قاسم ومجموعة من الضباط الأحرار الذين سيطروا بعد ثورة شعبية دعمها الشارع العراقي بجميع قومياته ، أبدى الثوار الجدد تفهماً للحقوق الكردية ، وتعاطفاً كبيراً مع القضية الكردية،

إذ عدها الكرد مبادرة طيبة من قبل الجمهورية الفتية [٢] ، الذي بدأ باتخاذ خطوات عملية ، وجادة في هذا المجال أبرزها اطلاق سراح الشيخ احمد البارزاني الذي كان مناضلا للنظام الملكي ، كانت هذه الخطوة مهمة ومبادرة جيدة بالنسبة إلى البارزانيين، إذ تم الإفراج عنه في ٢١ تموز ١٩٥٨ ، وفي اليوم التالي ذهب الشيخ أحمد البارزاني إلى مقر وزارة الدفاع بقصد زيارة الزعيم عبد الكريم قاسم ، بعدها قام الشيخ البارزاني بإعلان ولائه للحكومة والثورة ، وفي نهاية تموز سمحت الحكومة للشيخ البارزاني وأتباعه وأسرهم بالعودة إلى بارزان .

ضمت الوزارة الجديدة المشكلة وزيراً كردياً، إذ دعي بابا علي نجل

الشيخ محمود البرزنجي للانضمام إلى الوزارة الجديدة [٣] .

وضم مجلس السيادة شخصية كردية مثلت إحدى الشخصيات الثلاثة المكونة لهذا المجلس وهو خالد النقشبندي [٤] . بالمقابل تعهد إبراهيم أحمد، بصفته الأمين العام للحزب الديمقراطي الكردستاني، بتقديم الدعم إلى الحكومة الجديدة والوقوف معها ومساندتها، و حينما صدر الدستور المؤقت في ٢٦ والذي ثبتت فيه ولأول مرة في تاريخ العراق الحديث وبصورة علنية ورسمية حقوق الكرد القومية التي كانت مسلوبة في النظام الملكي، إذ جاء في المادة الثالثة منه إن العرب والكرد هم شركاء وإن الدستور يضمن حقوقهم القومية في إطار العراق

الموحد، بموجب هذه المادة التي نص عليها الدستور عَدَّها الأكراد ولأول مرة منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة على إنها وثيقة تنص على المساواة بين العرب والأكراد داخل الدولة العراقية [٥]

والحقيقة أن الأكراد منحوا امتيازات كبيرة لم يحصلوا عليها على امتداد التاريخ، وذلك من خلال ما نص عليه الدستور. ومن خلال مشاركتهم في الحكم فضلاً عن فسح المجال لعودة الملا مصطفى البارزاني من منفاه في الاتحاد السوفيتي آنذاك بعد ان نفاه النظام الملكي. بالمقابل أدرك الأكراد نتيجة الامتيازات التي تحققت لهم بأن أحداث ١٤ تموز ليست انقلاباً عسكرياً، إنما ثورة شعبية ستؤدي إلى إحلال الديمقراطية وتحقق

لهم ما يطمحون له من الحكم الذاتي مما دفعهم إلى توثيق علاقتهم بالزعيم عبد الكريم قاسم وحكومته [٦] .

منذ الأشهر الأولى لثورة ١٤ تموز، بدأ الصراع يتجلى تدريجياً داخل الحكومة بين الزعيم عبد الكريم قاسم، والمنقلب عليه عبد السلام عارف المدعوم من القوميين والبعثيين. عندما طلب إبراهيم أحمد من الزعيم عبد الكريم قاسم إدخال الحكم الذاتي الكردي إلى الدستور ، عارض عبد السلام عارف والقوميون ذلك بسبب رغبتهم في الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة ، كما عارضوا موقف عبد الكريم قاسم الذي كان مؤيداً لعودة الملا مصطفى البارزاني [٧] .

في الواقع، كان عبد السلام عارف يعارض عودة البارزاني كبطل ومناضل ضد الاستعمار البريطاني، وقد أثارت مراجعات الشيوعيين والأكراد لعبد الكريم قاسم شكوكه. لذلك، قرر عبد السلام عارف الذهاب إلى عبد الكريم قاسم حاملاً معه ملف البارزانيين الذي كان محفوظاً في وزارة الداخلية في العهد الملكي، بالإضافة إلى تقرير السيد سعيد قزاز الذي قدمه إلى وزارة الداخلية عندما كان متصرفاً للواء أربيل، والذي يتضمن : « لا سلام ولا اطمئنان ولا إعمار ولا استقرار في المنطقة الكردية ما لم يرحل الملا مصطفى البارزاني من بارزان ويسكن في الجنوب » .

استخدم عبد السلام عارف هذا التقرير كوثيقة لا تقبل النقاش لعدم عودة البارزاني بالطريقة التي يرغب بها الأكراد والشيوعيون، بل كعودة كمواطن عادي [٨] .

خلال الحوار بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، أشار عبد السلام عارف إلى موقف عبد الكريم قاسم السابق من البارزاني، حيث كان يعتبره تهديداً لوحدة العراق، بالإضافة إلى موقف البارزاني تجاه الأكراد الذين كانوا يعارضونه. ومع ذلك، اقترح عبد السلام عارف على الزعيم أن يعود البارزاني كفرد عادي ويعيش في بغداد أو الجنوب، كما اقترح القزاز سابقاً. لكن عبد الكريم قاسم رد مبرراً موقفه

السابق بأن تلك الأعمال كانت نتيجة للاستعمار، وأن الثورة قضت على

الاستعمار، ولا يمكنه منع الجماهير من استقبال البارزاني [٩] .

يجب أن نُشير إلى العلاقة بين الحزب الشيوعي العراقي والحزب

الديمقراطي الكردستاني في شمال العراق. فبعد قيام ثورة ١٤ تموز، سعى

الحزب الشيوعي إلى الهيمنة على الشارع، محاولاً فرض سلطته على

الأحزاب الأخرى، مما أدى إلى ظهور مشاكل بينه وبين الحزب

الديمقراطي الكردستاني في المنطقة الشمالية. وقد ساهم تدخل الحزب

الشيوعي في الشؤون الداخلية للحزب الديمقراطي الكردستاني في توتر

العلاقة بينهما، مما دفع الحزب الديمقراطي إلى تقديم مذكرة في ١٨

أكتوبر ١٩٥٨ يعبر فيها عن استيائه من مواقف الحزب الشيوعي[١٠].

على إثر هذه المذكرة بدأت المفاوضات بين الحزبين وبعد عدة لقاءات بين الطرفين نتج عنها تثبيت العلاقة بينهما إذ قبل الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة الشيوعيين في أمور لا تتعلق بالشأن الكردي مباشرة مقابل اعتراف الحزب الشيوعي بحق الحزب الديمقراطي الكردستاني بالكلام في الشؤون الكردية [١١].

تمخض عن هذه المداولات عقد ميثاق للتعاون المشترك في ١٠ / تشرين الثاني / ١٩٥٨م الهدف منه تحويل المادة الثالثة من الدستور المؤقت إلى واقع عملي [١٢] إذ احتوت مسودة الميثاق على:

١- الاعتراف بحق تقرير المصير للكرد وإن البلد شراكة بين العرب والكرد.

٢- يجب أن تناط مهام الإدارة في المنطقة الشمالية بالكورد بوصفها إقليم.

٣ - يستقل الحزبان بحرية العمل والنشاط كل ضمن ايدولوجيته.

٤ - يشرف على فعاليات الحزبين مجلس أعلى وفيه لجان الأقليات ومع إن الحزبين أخذا بمبدأ التنازل المتبادل إلا إن الحزب الشيوعي لم يسعى إلى تطبيق مسودة الميثاق (١٠٨) ؛ لأنه أصر على شطب العبارة الخاصة بحق تقرير المصير وحذف عبارة كردستان العراق بوصفه إقليم،

فوافقه الحزب الديمقراطي الكردستاني على ذلك حرصاً منه على عدم تدهور العلاقة مع الحزب الشيوعي وتقديراً لمواقف الحزب من القضية الكردية وتقديره لها من أ أجل إثارة المشاكل مع حكومة الثورة ووقعت مسودة الميثاق ودخل الحزب الديمقراطي الكردستاني إلى جبهة الاتحاد الوطني إلى جانب الأحزاب العراقية الأخرى .

بعد فشل حركة الشواف في الموصل في مارس ١٩٥٩ ، تم تعيين داود الجنابي قائدًا للفرقة الثانية في كركوك بعد إقالة ناظم الطبقجلي الذي شارك في التمرد الفاشل. واستغل الشيوعيون وجود داود الجنابي للقيام بعدة تجاوزات ضد أعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني [١٣] .

نتيجة لزيادة الفجوة بين الحزبين بعد طلب الملا مصطفى البارزاني نقل العميد الركن داود الجنابي، وهو عضو بارز في الحزب الشيوعي، من قيادة الفرقة الثانية، استجاب الزعيم الركن عبد الكريم قاسم لهذا الطلب في ٢٩ مايو١٩٥٩ .

وقد أدى ذلك إلى تفاقم الخلاف مع الحزب الشيوعي في المنطقة الكردية، مما دفع البارزاني لتقديم شكاوى ضدهم تحت عنوان "تجاوزات الشيوعيين". واستغل الزعيم عبد الكريم قاسم هذه الشكاوى لصالح الحملة التي بدأها ضد الشيوعيين بعد أحداث العنف في تلك المناطق، [١٤] .

نعود الآن إلى موضوع عودة بارزاني. عندما علم الملا مصطفى البارزاني بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، قام بإبلاغ أتباعه الذين كانوا يقيمون معه في موسكو ومدن أخرى من الاتحاد السوفيتي، حيث استقبلوا الخبر بفرح.

ثم غادر إلى رومانيا في ٢١ أغسطس من نفس العام، وأرسل رسالة إلى الزعيم الركن عبد الكريم قاسم يهنئه فيها على انتصار الثورة. بعد ذلك، توجه إلى براغ، عاصمة تشيكوسلوفاكيا، حيث استقبله الرئيس التشيكوسلوفاكي. ومن هناك، أرسل البارزاني رسالة أخرى إلى الزعيم عبد الكريم قاسم يطلب فيها الإذن بالعودة مع رفاقه. وقد وافق عبد

الكريم قاسم على ذلك في ٣ سبتمبر ١٩٥٨ ، ومن أجل تسهيل عودتهم، طلب منهم مراجعة سفارة الجمهورية العربية المتحدة في براغ، حيث قام إبراهيم أحمد بتسهيل إجراءات جوازات السفر للبارزاني ورفاقه [١٥] .

مثلَت هذه المبادرة بداية جديدة في العلاقة بين الأكراد وسلطة الزعيم عبد الكريم قاسم، مما أتاح الفرصة لعودة البارزاني. في 7 أكتوبر 1958، قام البارزاني بزيارة الزعيم عبد الكريم قاسم الذي استقبله ورحّب به. بعد ذلك، دعا عبد الكريم قاسم البارزاني للجلوس بجانبه، إلا أن البارزاني رفض ذلك، مبرراً بقوله: «كيف يجلس الجندي

بجانب قائده؟" فردّ عليه الزعيم قائلاً: « انت أخي. » ورغم ذلك، بقي البارزاني ورفاقه واقفين حتى جلس الزعيم عبد الكريم قاسم [١٦].

وفي التفاته من الزعيم عبد الكريم قاسم للبارزاني خصص له راتباً شهرياً وكذلك خصص رواتب لاتباعه ، وأسكن البارزاني في دار نوري سعيد ، ومنحه سيارة خاصة ، وأخذ الملا مصطفى البارزاني يتردد في زيارات مستمرة إلى مقر الزعيم عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع في منطقة باب المعظم .

استمرت العلاقة بين الطرفين بصورة جيدة وأخذ البارزاني يحاول استثمار هذه العلاقة في تحقيق المكاسب فتقدم بطلب إلى وزارة

الداخلية بتأسيس حزب سياسي باسم الحزب الديمقراطي الكردستاني فأجيز الحزب بعد إدخال بعض التعديلات البسيطة في منهاجه [١٧] .

أما بالنسبة لعلاقة الزعيم عبد الكريم قاسم بالأكراد بشكل عام، فقد قام الحزب الديمقراطي الكردستاني منذ اليوم الأول لثورة ١٤ تموز بتقديم دعمه لها. حيث دعا الحزب جماهير الشعب في مختلف مدن كردستان، تحت إشراف منظمات الحزب، للنزول إلى الشوارع للتعبير عن تأييدهم للثورة والدفاع عن مكتسباتها.

وقد كان الطابع المعادي للإقطاع والاستعمار، بالإضافة إلى إمكانية الاعتراف بحقوق الشعب الكردي القومية، دافعاً قوياً لتعزيز موقف

المنطقة الشمالية ودعم الثورة. وفي هذا السياق، أصدر الحزب الديمقراطي الكردستاني بياناً خاصاً في ١٦ تموز من سنة الثورة، أعلن فيه تضامنه مع الثورة [١٨] .

في ١٧ تموز من نفس السنة ، أرسل الحزب الديمقراطي الكردستاني وفداً من مناطق الشمال المختلفة إلى بغداد لتقديم التهاني لقادة الثورة. ترأس الوفد إبراهيم أحمد، سكرتير الحزب، الذي ألقى خطاباً تناول فيه العلاقات التاريخية بين العرب والأكراد. من جانبه، أشار الزعيم عبد الكريم قاسم إلى أهمية تعزيز الأخوة بين العرب والأكراد والحفاظ عليها من خلال الاعتراف بالحقوق القومية للكرد، لكنه لم يوضح ما هي هذه

الحقوق [١٩] .

نتيجة لهذا التعاون، أصبح البارزانيون جنوداً مخلصين في خدمة الثورة والدفاع عنها في العديد من المناسبات. كما تعززت الثقة بين عبد الكريم قاسم والبارزاني بشكل كبير، واستمرت هذه العلاقة حتى نهاية عام ١٩٥٩ [٢٠] .

وقف الأكراد بجانب حكومة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم، وقدّموا لها الدعم في أصعب الأوقات. بذل الحزب الديمقراطي الكردستاني كل جهوده للدفاع عن ثورة ١٤ تموز ومكتسباتها. وقد أرسلت اللجنة المركزية للحزب عدة رسائل إلى جهات وهيئات مختلفة، بما في ذلك هيئة الأمم

المتحدة، تعبر فيها عن تأييدها الكامل لثورة ١٤ تموز [٢١] .

بحلول عام١٩٥٩ ، كانت عائلة البارزاني مرتبطة بشكل وثيق بالزعيم عبد الكريم قاسم، وقد شهدت العلاقة بينهما تطوراً ملحوظاً، مما أتاح للملا مصطفى البارزاني أن يلعب دوراً مهماً في دعم الزعيم عبد الكريم قاسم والوقوف إلى جانبه [٢٢] .

وفي نهاية عام ١٩٥٩ عندما تعرض الزعيم إلى محاولة اغتيال دبرها اطفال البعث المنحل نجا منها الزعيم عبد الكريم قاسم ، بادرت شخصيات كردية مهمة إلى إرسال برقيات تهنئة بمناسبة خروجه من المستشفى ، إذ ارسل الشيخ أحمد البارزاني باسمه واسم الشعب الكردي

إلى الزعيم بمناسبة شفائه وعَدَّ هذا اليوم عيداً وطنياً للشعب العراقي بكل قومياته، كذلك أرسل إبراهيم أحمد برقية تهنئة جاء فيها: «سيادة زعيم البلاد الأوحد عبد الكريم قاسم تنتهز هيئة تحرير خه بات هذه الفرصة السعيدة لتقديم أخلص تهانيها والتعبير عن ابتهاج الشعب الكردي وتفانيه في سبيل الدفاع عن الجمهورية العراقية الخالدة ...» (٢٣).

وكانت جهود البارزاني في ذلك الوقت موجة حول إقرار الحقوق الكردية القومية إذ كان يتابع وباستمرار الأوضاع العامة في شمال العراق ومراقبة تنفيذ المشاريع العمرانية فيه، وجعل الدراسة في شمال العراق باللغة الكردية وأحياناً يكلف ابنه عبيد الله البارزاني لمتابعة دوائر الدولة،

وفي بداية ١٩٦٠م قدم البارزاني طلباً بإجازة الحزب الديمقراطي الكردستاني [٢٤] .

وتمت إجازة الحزب من قبل وزارة الداخلية وصدرت له جريدة خه بات بصورة دورية وفتحت مقرات الحزب في المناطق الشمالية وغيرها، وبدأ يمارس نشاطه السياسي، إذ كانت الأمور الحزبية تسير بشكل طبيعي وتمارس قيادة الحزب دورها الفعال والتفت الجماهير الكردية حوله.

﴿ بداية التوتر في العلاقة الطيبة ﴾ (٢٥)

كانت الأمور تسير بشكل طبيعي وطيب بين العرب والكرد ، ولكن خصوم الثورة والحركة الكردية لم يرتاحوا لهذه العلاقة لذا لم يتركوا الأمور تسير بهذا الصفاء. فقد كانت حكومة الزعيم عبدالكريم قاسم ملغومة بعدد غير قليل من العناصر الشوفينية ، التي كانت تضع العراقيل بينه وبين إخوانه الكرد كما كان يسميهم . وتعمل على عدم تنفيذ ما وعدت به الثورة للكرد من حقوق وخاصة المادة الثالثة من الدستور المؤقت.

وفي نفس الوقت كانت المكتسبات التي حققتها الثورة مثل الإصلاح الزراعي قد ألحقت ضرراً كبيراً بالأغوات والإقطاعيين في كردستان وهم ليسوا من الحركة الكردية أساساً. وأيضاً اكد هذا الرأي المؤرخ الكبير حنا بطاطو في أحد اجزاء ثلاثيته .

وقد هرب هؤلاء بعد ثورة تموز وإصدار قانون الإصلاح الزراعي إلى إيران. وكانت حكومة الشاه تخاف أن تصل عدوى الإصلاح الزراعي إلى الفلاحين الإيرانيين فيطالبون بقانون مماثل.

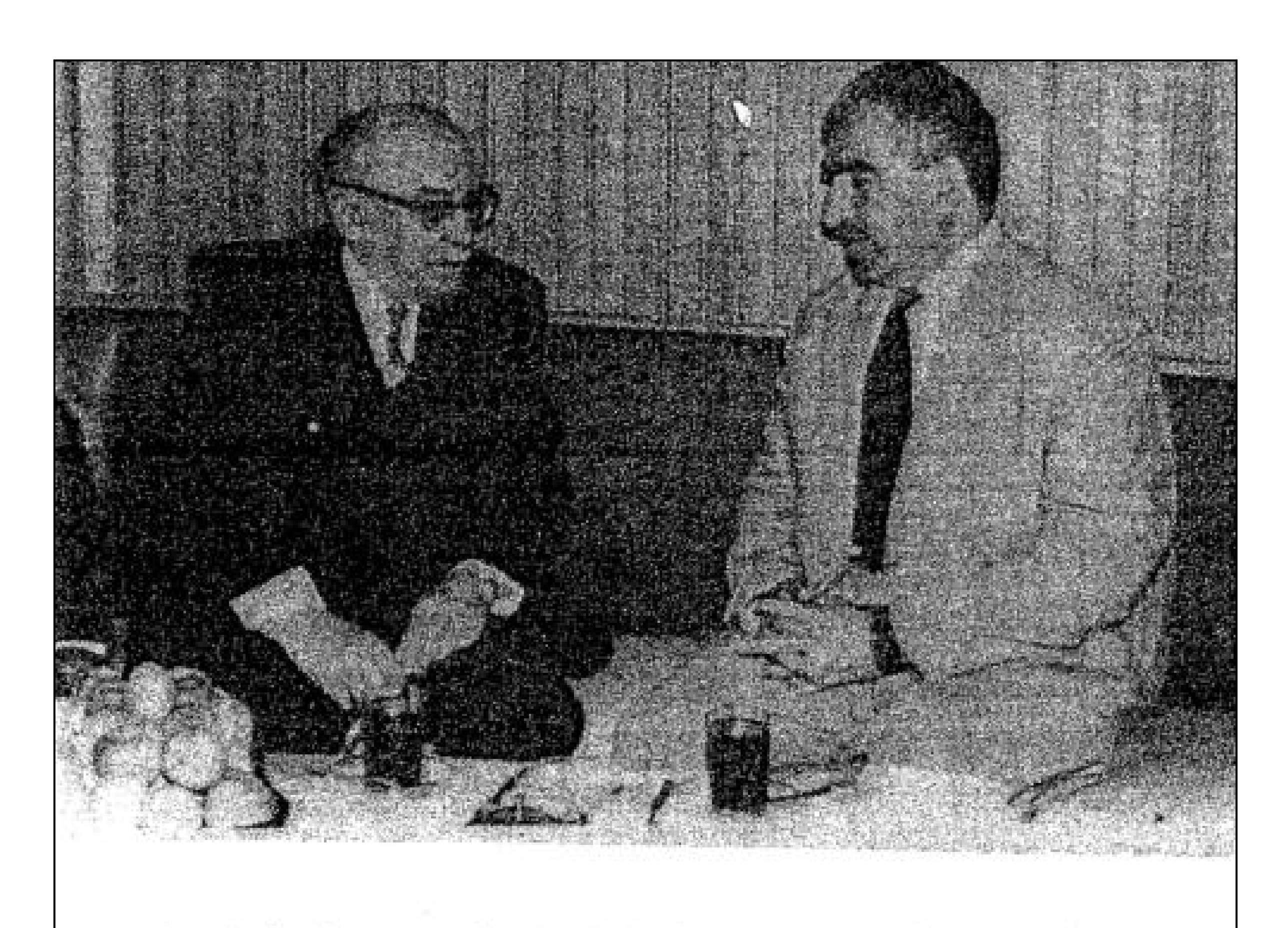
لذلك قامت الحكومة الإيرانية بتدريب عدد من الإقطاعيين وأتباعهم وجهزتهم بالسلاح للقيام بأعمال التخريب في كردستان.

ويقول الدكتور محمود عثمان أحد قياديي الحزب الديمقراطي الكردستاني آنذاك بهذا الصدد: « كما إن القوى الأجنبية التي كانت ضد الثورة التي قضت على بعض مصالحها في العراق، حاولت توسيع الثغرات في العلاقة بين الحكم والقيادة الكردية وخلق المزيد من الخصومات بينهما، وهكذا تفاقم الوضع بسرعة واتخذت السلطة إجراءات ضد الجانب الكردي فخلقت ردود فعل واسعة على الصعيد الكردي، حيث أن الشعب الكردي كان يريد الحفاظ على وجوده ومكاسبه ومستعداً لدفع الثمن. ويضيف الدكتور عثمان لقد لعب الشعور القومي المتصاعد في كردستان دوراً هاماً في الرد على سياسة السلطة وإجراءاتها، بإجراءات

كانت في بعض الأحيان غير مدروسة بدقة، الأمر الذي صعد التوتر بشكل خطير. كذلك فإن جهوداً أخرى كردية إضافية لم تنجح في إبعاد القتال بين الطرفين. ومن أهم هذه الجهود إرسال وفد كردي كبير ومسئول إلى بغداد لعرض المطالب الإدارية والثقافية التي كانت في إطار القرارات الإيجابية لثورة تموز نفسها إلا إن الوضع كان متأزماً لدرجة أن عبد الكريم قاسم لم يقابل الوفد كما لم تسفر جهود بعض الجهات الصديقة للطرفين كالإتحاد السوفيتي وغيرهم عن نتائج إيجابية... وهكذا أدى التصعيد في الوضع إلى الإقتتال المؤسف بين الطرفين والذي كان له دور في إضعاف الثورة وتهيئة الأرضية للمزيد من التآمر

لإسقاطها، إضافة إلى أضراره البالغة بالكرد وبكردستان وبالعلاقات العربية - الكردية والوضع في العراق بشكل عام » .

لما نشب الخلاف بين الملا مصطفى البرزاني وعبد الكريم قاسم في الستينات ، حاول شاه إيران محمد رضا بهلوي استغلال الوضع للحصول على مكاسب سياسية فعرض سراً على عبد الكريم بواسطة الملحق العسكري الإيراني في بغداد التعاون للقضاء على الثورة الكردية فجاوبه الزعيم برفض وقال لهُ « بأنه لا يتآمر ضد أبناء شعبه » يقصد الملا مصطفى والثورة الكردية [٢٦] ، في الحقيقة لا نخرج عن الموضوعية اذا ما قلنا ان هذا الرجل يصلح لقيادة دولة .



عام ١٩٦٨ رئيس الدولة الاسرائيلية زلمان شيزار يستضيف البرزاني

﴿ قاسم والكويت ﴾

يقول مدير الاستخبارات العسكرية ، العقيد محسن الرفيعي بخصوص هذا الموضوع [٢٧] : « إن قضية المطالبة بالكويت ومحاولة دمجها مع العراق قضية طويلة ، وفيها تشعبات كثيرة تبدأ من العهد الملكي مروراً بعهد الزعيم عبد الكريم قاسم ، وأخيراً حكم حزب البعث العربي الاشتراكي ، وعلاقة البريطانيين والبعض من الدول العربية بذلك .

أما عن مطالبة الزعيم عبد الكريم قاسم بالكويت، فإنه أخفى الموضوع عن الجميع ، مجلس الوزراء ومجلس السيادة، كما إن أجهزة الأمن والاستخبارات وجميع أجهزة الدولة فوجئت بالموضوع ، لاسيما حينما

طلب فتح المذياع والاستماع لأمر مهم وحينها كنت في دار الحاكم العسكري العام ، ورئيس أركان الجيش أحمد صالح العبدي مع قادة الفرق.

ويبدو لي أنه لم يكن جاداً في تنفيذ طلبه بانضمام الكويت إلى العراق ، إذ لم لنا الأوامر للعمل أو التهيؤ لتنفيذ أي عمل بهذا الخصوص ، حتى بعد إعلانه ذلك الأمر ، ولا صحة لما تم ترويجه بأن الزعيم قد أصدر أمراً للواء حميد الحصونة قائد الفرقة الأولى باحتلال الكويت، لكن الأخير تلكأ في تنفيذ الأوامر.

وكانت هناك مفاوضات ومباحثات بين وفدين أحدهما عراقي برئاسة

الأستاذ قاسم حسن سفير العراق في براغ ، والآخر كويتي ، للوصول إلى حل لهذه الإشكالية ، ولم يخبرنا الزعيم بهذه المباحثات ، ولم يشر إليها صراحة ، لكنني شخصياً كنت مطلعاً على ما يجري في هذه المفاوضات والمباحثات بحكم صداقتي مع المرحوم قاسم حسن ، الذي كان يطلعني على المقترحات العراقية والكويتي وسير المباحثات .

وكادت هذه المباحثات أن تؤتي ثمارها بشكل من الأشكال الاتحادية الوثيقة بين العراق والكويت لولا حدوث ثورة ٨ شباط ، وفي هذا السياق، فبعد الثورة وإيداعي السجن، كان يزورني المرحوم حردان التكريتي ، فرجوته أن يبلغ الرئيس عبد السلام عارف (رئيس الجمهورية

آنذاك) بأن لا يفرطوا في موضوع الكويت لأن المسألة باتت وشيكة الحل ، وأن يكملوا ما انتهينا عنده ، ورجوته أن يتصل بالأستاذ قاسم حسن ويطلب منه الاضبارة الخاصة بذلك ليطلع عليها المسؤولون وفي المقدمة منهم عبد السلام عارف . وبعد خروجي من السجن ، ومقابلتي في مناسبة ما للرئيس عبد السلام سألته :« هل أخبرك حردان بما رجوته حول موضوع قضية الكويت » ، فقال لي : كلا .

* * *

هوامش الفصل السادس

(١) حامد الحمداني ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٤٦ .

(٢) أحمد تاج الدين، الأكراد: تاريخ شعب وقضية وطن، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٢٧.

(٣) ديفيد مكدول، تاريخ الأكراد الحديث، ص ٤٥٩.

(٤) جمال بابان، أعلام كرد العراق، مطبعة شيفون، إقليم كردستان، ٢٠٠٦، ص ٢٧٨.

(٥) حامد محمود، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الأمريكي، ص ٣٠٧.

(٦) درية عوني، عرب وأكراد: خصام أم وئام، ص ٨١.

(٧) ديفيد مكدول، تاريخ الأكراد الحديث، ص ٤٦٠.

(٨) خليل إبراهيم حسين، ثورة الشواف في الموصل ١٩٥٩: الصراعات بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، من موسوعة ١٤ تموز، ج١، ص ١٨٠.

(٩) خليل إبراهيم حسين، المصدر نفسه، ص ١٨٦.

(١٠) مسعود بارزاني، البارزاني والحركة الكردية، ج٢، بيروت، ص ٧٣.

(١١) مسعود بارزاني، المصدر نفسه، ص ٧٣.

(١٢) عبد الفتاح علي، ملا مصطفى البارزاني: قائد الثورة الكردية وملهمها، ص ٧٣١.

(١٣) عبد الفتاح علي، المصدر نفسه، ص ٧٣٢.

(١٤) شهاب أحمد رحمن، الاغتيالات السياسية في العراق: ١٤ تموز ١٩٥٨ - ٨ شباط ١٩٦٣، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(١٥) ياس خضير إبراهيم، موقف الزعيم عبد الكريم قاسم من الأكراد (١٩٥٨ - ١٩٦٠)، ص ٤١.

(١٦) أيوب بارزاني، المقاومة الكردية للاحتلال ١٩١٤ - ١٩٥٨، ج٢، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

(١٨) خليل إبراهيم حسين، المصدر نفسه، ص ١٩١ - ١٩٢.

(١٩) جاسم كاظم العزاوي، ثورة ١٤ تموز: أسرارها وأحداثها ورجالها حتى نهاية حكم الزعيم عبد الكريم قاسم، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

(٢٠) حامد محمود، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الاحتلال الأمريكي، ص ٣٠٦.

(٢١) محمود أحمد، الحركة الكردية في العراق ودور البارزانيين في الحكم

الذاتي، ص ١٤٧.

(٢٢) مسعود بارزاني، البارزاني والحركة الكردية، ج٢، بيروت، ص ٤٣.

(٢٣) حامد محمود، المصدر نفسه، ص ٣٠٨.

(٢٤) جواد كاظم البيضاني، موقف الأحزاب السياسية في العراق من القضية الكردية، ص ٤٣.

(٢٥) د. عبد الخالق حسين ، المصدر السابق الذكر ، ص ١١٤ .

(٢٦) عبد اللطيف الشواف ، عبد الكريم قاسم وعراقيون آخرون ،

دار الوراق ، ص ٩٤ .

(٢٧) العقيد محسن الرفيعي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٨٧ .

الفصل السابع

إنقلاب ٨ شباط والنهاية

﴿ اسماء بعض المشاركين في هذا الانقلاب ﴾ (١)

١. المقدم عبداللطيف الحديثي.

٢ . العقيد طاهر يحيى التكريتي.

٣ . ابراهيم عباس الدليمي.

٤ . سامي سلطان.

٥ . أنور عبد القادر الحديثي.

٦. الملازم وجدي ناجي.

٧. المقدم سعيد صليبي.

٨. المقدم محمد المهداوي.

٩. النقيب الركن سعد وهيب السامرائي.

١٠. علاء الدين الجنابي .

١١. عدنان شريف التكريتي.

١٢. عدنان دحام الجبوري.

١٣. كامل نعمة.

١٤. مظفر يونس الدبوني.

١٥. فليح عبد الجبار الحربيط.

١٦. فارس حسين.

١٧ .فاضل جاسم.

١٨ .طالب شبيب.

١٩ .العقيد ذياب العلكاوي .

٢٠ .العقيد رشيد مصلح التكريتي.

٢١ .العقيد أحمد حسن البكر .

٢٢.نصيف جاسم العاني.

٢٣.عدنان العزاوي.

٢٤.الملازم سعدي طعمة الجبوري.

٢٥.المقدم عبدالستار عبداللطيف.

٢٧.الرئيس أول جميل صبري البياتي.

٢٧.النقيب أحمد عبدالجبار الجبوري.

٢٨.الملازم عدنان خير الله طلفاح.

٢٩.صلاح الطبقجلي.

٣٠.طارق صادق.

٣١.حميد عبدالله التكريتي.

٣٢.محمد اسماعيل الويس.

٣٣.وليد محمود سيرت.

٣٤.جاسم شبوط.

٣٥.عزيز الخطيب العاني.

٣٦.سليم الأمامي.

٣٧.هاشم اسماعيل.

٣٨.سعدون فليح العاني.

وفي الحبانية تمكن ضابط بعثيون وعلى رأسهم داود الجنابي من الاستيلاء على اللواء الثامن.

٤٠.عبد الغني الراوي.

٤١.حامد جواد.

٤٢.واثق عبدالله.

٤٣.منذر الونداوي.

٤٤.عبد اللطيف عبدالرزاق.

٤٥. يونس صالح.

٤٦.أسامة وهبي.

٤٧.صباح سالم.

٤٨. فهد السعدون من قيادة حزب البعث .

٤٩.حازم جواد.

٥٠.عبدالعزيز الدوري.

٥١. عبد السلام محمد عارف.

٥٢.خالد الهاشمي.

٥٣.فليح الساعدي.

٥٤.طه الشكرجي.

٥٥. كريم شنتاف.

٥٦.بهاء شبيب.

٥٧.رياض قدو.

٥٨.هاني الفكيكي.

٥٩.عدنان القصاب.

٦٠.و صباح سالم.

٦١. محمد علي سعيد.

٦٢.الطيار جبار السوداني.

٦٣.علي صالح السعدي.

٦٤.صالح مهدي عماش.

٧٥. عماد شبيب .

٦٦.عبدالستار الدوري.

٦٧.مسارع الراوي.

٦٨.ثامر الونداوي.

٦٩. عبدالجبار السعدي.

٧٠.أمين شاهين.

٧١.مزهر جواد رائد.

٧٢.صباح عبد القادر .

٧٣.جاسم كاظم العزاوي (سكرتير الزعيم عبد الكريم قاسم).

٧٤.صبحي عبدالحميد.

٧٥.ناجي طالب.

٧٦.عبدالله الركابي (مدني).

٧٧.محمد يوسف طه.

٧٨.عبدالجبار علي الحسين.

٧٩.الضابط الطيار عزيز أمين.

٨٠.محمد يوسف طه.

٨١.عبد الكريم فرحان.

٨٢.شكري صالح زكي.

٨٣.علاء الحيدري .

٨٤.جابر حسن جواد .

٨٥.عماد نعمة عزيز.

٨٦.جميل السعودي .

٨٧.عامر خالد حمدان .

٨٨.نعمة كاظم الرماحي.

٨٩. عارف عبد الرزاق.

* * *

﴿ تنفيذ الانقلاب ﴾

اختار الانقلابيون الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة ، الثامن من شباط ١٩٦٣ ، وكان لديهم أسبابهم وراء هذا الاختيار. فاليوم الجمعة هو يوم عطلة، ولا يتواجد في المعسكرات سوى الضباط المناوبين. وقد قاموا

بترتيب مناوبات الضباط المتآمرين في ذلك اليوم لتسهيل عملية تنفيذ الانقلاب.

كما أن توقيت الانقلاب في الساعة التاسعة صباحاً كان غير متوقع، حيث كانت في العادة دائما أن تحدث الانقلابات العسكرية في الساعات الأولى من الفجر بفعل ان اغلب الوحدات العسكرية غير مهيأة الى التصدي الى انقلاب عسكري. كان الوضع السياسي في البلاد متوتراً، اذ كانت أنشطة المتآمرين تتصاعد بشكل ملحوظ . كما أصدر الحزب الشيوعي العراقي بياناً في ٣ كانون الثاني ١٩٦٣ تم توزيعه بشكل علني وواسع، حذر فيه من خطورة الوضع. تضمن البيان

معلومات ، تشير إلى أن الكتائب المدرعة في معسكرات بغداد ، ولواء المشاة التاسع عشر الآلي قد أصبحت مراكز لنشاط عدد كبير من الضباط الرجعيين والمغامرين الذين كانوا يأملون في تحويل هذه المراكز إلى قواعد انطلاق لشن هجوم مفاجئ على استقلال البلاد . وقد حددوا مواعيد متعددة لتحقيق هذا الهدف، وكان للموعد الحالي دلالة خاصة نظراً لخطورة الأزمة السياسية الراهنة وكثرة الزيارات التي يقوم بها كبار الجواسيس الأمريكيين إلى البلاد. وقد وجه الحزب نداءً لعبد الكريم قاسم لإجراء تطهير واسع وفعال في صفوف الجيش.(٢)

تم توزيع الأدوار على الضباط الانقلابيين ومنظمات حزب البعث

وأفراد الحرس القومي، الذين تم إعدادهم وتدريبهم مسبقاً وتجهيزهم بالسلاح. وقد حددوا ساعة الصفر باغتيال قائد القوة الجوية جلال الاوقاتي .

كان البعثيون قد رصدوا حركته ، حيث اعتاد كل يوم جمعة أن يخرج بنفسه لشراء الفطور، وفي ذلك اليوم ، ترصدوا له وهو خارج برفقة ابنه ، وأطلقوا عليه النار، مما أدى إلى مقتله على الفور . تم الاتصال بالزمرة الانقلابية وإبلاغهم باغتيال الأوقاتي، وعندها تحرك المتآمرون، حيث قاموا بقطع البث من مرسلات الإذاعة في أبو غريب، وتركيب تحويل في مرسلات الإذاعة، وبدأوا البث من هناك قبل استيلائهم

على دار الإذاعة. و في الوقت نفسه، قام منذر الونداوي بطائرته من قاعدة الحبانية، وحردان التكريتي من القاعدة الجوية في كركوك بقصف مدرج مطار الرشيد العسكري، حيث تم تدميره بالقنابل لشل أي تحرك للطيارين الموالين للسلطة، وبعد ذلك بادروا إلى قصف وزارة الدفاع.

وفي تلك الأثناء سمع عبد الكريم قاسم أصوات الانفجارات باتجاه معسكر الرشيد ، فبادر على الفور بالذهاب إلى وزارة الدفاع ، وتحصن فيها ، وقد هبت الجماهير العراقية المخلصة للزعيم والوطن والثورة بمجرد سماعها الانفجارات التي اصبحت بالفعل مسموعة وواضحة وتدل على حركة واضطراب في صفوف الجيش والامن في البلاد ، الى مطالبة

الزعيم عبد الكريم قاسم بالسلاح لمقاومة الانقلابيين وقد رفض الزعيم عبد الكريم قاسم خوفا من قيام حرب اهلية في البلاد. (٣)

توجه عبد السلام عارف إلى معسكر ابي غريب ، حيث وصل مقر كتيبة الدبابات الرابعة ، وانضم إليه الآخر أحمد حسن البكر ، واستقل كلاهما في احدى الدبابات ، وتوجها إلى دار الإذاعة ، وبصحبتهم دبابة أخرى ، وساعدهم حرس دار الإذاعة ، المشاركين في الانقلاب على السيطرة عليها ثم التحق بهم كل من حازم جواد ، وطالب شبيب ، وهناء العمري ، خطيبة علي صالح السعدي ، أمين سر حزب البعث ، أما خالد مكي الهاشمي فقد أندفع بدباباته متوجهاً إلى

بغداد ، رافعاً صور عبد الكريم قاسم لخدع جماهير الشعب التي ملأت شوارع بغداد لتدافع عن الثورة وعن قائدها الزعيم عبد الكريم قاسم التي انتظروها طيلة حياتهم .

في الوقت نفسه، وصل العقيد عبد الغني الراوي إلى مقر لواء المشاة الآلي الثامن في الحبانية، وتمكن بمساعدة أنصاره من الانقلابيين من السيطرة على اللواء. ثم تحرك نحو بغداد، بينما نزل المئات من أفراد الحرس القومي ، على طول الطريق بين الحبانية وأبو غريب، حاملين أسلحتهم، وقد وضعوا إشارات خضراء على أذرعهم. تقدمت قوات الانقلابيين بقيادة المقدم المتقاعد عبد الكريم مصطفى نصرت،

وأحاطت بوزارة الدفاع. كما تقدمت قوة أخرى من الضفة الأخرى لنهر دجلة، مقابل وزارة الدفاع، واستقرت في مواقعها هناك، وبدأت بقصف وزارة الدفاع بالمدفعية الثقيلة [٤] .

منذ اللحظات الأولى لوقوع الانقلاب سارع الحزب الشيوعي العراقي إلى إصدار بيان وزع على جماهير الشعب صباح ذلك اليوم دعا فيه القوات العسكرية الوطنية ، وجماهير الشعب إلى التصدي للانقلابيين ، بكل الوسائل والسبل ، ومما جاء في البيان :

« إلى السلاح ! اسحقوا المؤامرة الرجعية الإمبريالية . أيها المواطنون ، يا جماهير شعبنا العظيم المناضل ، أيها العمال ، والفلاحون والمثقفون

، وكل الوطنيين والديمقراطيين الآخرين

لقد دق جرس الخطر ... استقلالنا الوطني يتعرض للخطر العظيم ، إنجازات الثورة تحدق بها المخاطر لقد قامت عصابة حقيرة من الضباط الرجعيين والمتآمرين بمحاولة يائسة للاستيلاء على السلطة استعداداً لإعادة بلدنا إلى قبضة الإمبريالية والرجعية ، بعد أن سيطروا على محطة البث الإذاعي في أبو غريب ، وانكبوا على إنجاز غرضهم الخسيس ، فإنهم يحاولون الآن تنفيذ مجزرة بحق أبناء جيشنا الشجاع . يا جماهير شعبنا المناضل الفخور إلى الشوارع، اقضوا بحزم وقسوة على المتأمرين والخونة طهروا بلدنا منهم ، إلى السلاح دفاعاً عن استقلال شعبنا ومكتسباته ،

شكلوا لجان دفاع في كل ثكنة عسكرية ، وكل مؤسسة ، وكل حي وقرية ، وسيُلحق الشعب ، بقيادة قواه الديمقراطية ، الخزي والهزيمة بهذه المؤامرة الجبانة ، كما فعل بمؤامرات الكيلاني ، والشواف وآخرين . إننا نطالب بالسلاح . »

ودعا البيان رفاق وجماهير الحزب إلى الاستيلاء على الأسلحة من مراكز الشرطة وتوزيعها على الجماهير ، إلا أن ذلك لم يكن في مستوى الأحداث ، فلم يكن الحزب قد كدس السلاح ، كما فعل الانقلابيون خلال ثلاث سنوات ، ولاشك أن قيادة الحزب تتحمل جانباً كبيراً من المسؤولية في عدم أخذ الاحتياطات اللازمة

لمنع الانقلابيين من تنفيذ جريمتهم، ولاسيما وأن الحزب كان على علم بما يجري في الخفاء ، وأنه كان قد أصدر بياناً قبل أيام يحذر فيه من وقوع مؤامرة ضد الثورة ، فما هي الإجراءات التي اتخذتها قيادة الحزب لتعبئة رفاقه وجماهيره ، وخاصة في صفوف الجيش في الوقت الذي كان الحزب لا يزال يتمتع بنفوذ لا بأس به داخل صفوف الجيش ، على الرغم من تصفية عبد الكريم قاسم لمعظم القيادات الشيوعية فيه ومحاربة الحزب الشيوعي العراقي في السنوات الثلاث الاخيرة ، الا ان الحزب الشيوعي العراقي هو القوى السياسية الوحيدة التي دافعت عن الزعيم عبد الكريم قاسم في اصعب اوقاته بغض النظر اكيد عن مساندة

الشعب المخلص (٥).

وفي ذكر الحزب الشيوعي العراقي لابد من القول ان تآمر شباط

والانقلاب الغادر انى لتصفية الزعيم عبد الكريم قاسم وتصفية الحزب

الشيوعي العراقي على الرغم من وجود احزاب اخرى في الشارع

السياسي العراقي آنذاك (٦).

* * *

﴿ الزعيم عبد الكريم قاسم يخاطب أبناء شعبه ﴾

في الوقت الذي كان فيه القصف العنيف يستهدف وزارة الدفاع،

وكانت القوات الانقلابية تحاصرها، قام الزعيم عبد الكريم قاسم

بتسجيل خطاب موجه إلى الشعب والقوات المسلحة، يدعوهم فيه لمقاومة الانقلابيين. تم تسجيل هذا الخطاب على شريط كاسيت وسط أصوات الانفجارات والقصف المدوي، وأرسله مع الرائد سعيد الدوري، الذي كان قد ائتمنه على ذلك.

لكن تبين لاحقًا أنه كان من المشاركين في الانقلاب، حيث سلم الخطاب للانقلابيين. كما أن دار الإذاعة كانت قد احتلت من قبلهم، مما حال دون إذاعة الخطاب. وفيما يلي نص الخطاب (٧) .

« إلى أبناء الشعب الكرام، وإلى أبناء الجيش المظفر إن أذناب الاستعمار ، وبعض الخونة والغادرين والمفسدين ، الذين يحركهم

الاستعمار لتحطيم جمهوريتنا ... كلمات غير مفهومة بسبب القصف

الذين يحاربوننا بحركات طائشة للنيل من جمهوريتنا ، وتحطيم كيانها . إن

الجمهورية العراقية الخالدة ، وليدة ثورة ١٤ تموز الخالدة لا تقهر ... (

كلمات غير مفهومة بسبب القصف) ، وإنها تسحق الاستعمار ،

وتسحق كل عميل وخائن . إنما نحن نعمل في سبيل الشعب ، وفي

سبيل الفقراء بصورة خاصة ، وتقوية كيان البلاد ، فنحن لا نقهر ،

وإن الله معنا أبناء الجيش المظفر والوحدات ، والقطعات ، والكتائب

والأفراد، أيها الجنود الغيارى، مزقوا الخونة ، اقتلوهم ، اسحقوهم ، إنهم

متآمرون على جمهوريتنا ليحطموا مكاسب ثورتنا ، هذه الثورة التي

حطمت الاستعمار ، وانطلقت في طريق الحرية والنصر ، وإنما النصر من عند الله ، والله معنا ... (كلمات غير مفهومة بسبب القصف) ، كونوا أشداء ، اسحقوا الخونة والغادرين - دوي شديد - أبناء الشعب في كل مكان - دوي شديد - إنهم خونة -قصف - إنهم أذناب الاستعمار والله ينصرنا على الاستعمار وعلى أذنابه وأعوانه . ثم يتوقف التسجيل بسبب دوي القصف، ويعاود الزعيم مرة أخرى : « السلام عليكم أبناء الشعب ، أيها الضباط، أيها الجنود ، أيها الضباط الصف الأشاوس ، أيها العمال الغيارى : إن الاستعمار يحاول أن يسخر نفراً من أذنابه للقضاء على جمهوريتنا ، لكنه بتصميمنا ، وتصميم الشعب المظفر ، فأننا

نحن جنود وشعب ١٤ تموز الخالد ، الذي وجه الضربات الخاطفة إلى العهد المباد .... (كلمات غير مفهومة بسبب القصف) رغم الاستعمار ، وحرر أمتنا ، واسترد كرامتها ، فان هذا اليوم المجيد ... (كلمات غير مفهومة بسبب القصف) ، لسحق الخونه والغادرين ... كلمات غير مفهومة .

أبناء الشعب ، أبناء الجيش المظفر ، إن النصر أمامنا ، وإننا صممنا على سحق الاستعمار وأعوانه فلا ... كلمات غير مفهومة ، الخونة والغادرين ، فأن الله معكم ، وسوف ... كلمات غير مفهومة ، الظالمون والغادرون والسفاكون ، أذناب الاستعمار ، سوف ... كلمات غير مفهومة ،

عندما توجه إليهم الضربات الخاطفة ، وقد باشرنا بتوجيهها إليهم ...

كلمات غير مفهومه ، إنني الزعيم عبد الكريم قاسم وإننا أقوى وأمضى

، وأشد عزماً وكفاحاً في سبيل الفقراء ، والنصر للشعب المظفر والنصر

لكم أيها الغيارى . »

الزعيم عبد الكريم قاسم

هذا هو نص الخطاب الذي لم يتمكن عبد الكريم قاسم من إذاعته، لقد فات الأوان، حيث استولى الانقلابيون على دار الإذاعة، وكان الشريط الذي يحتوي على الخطاب في أيديهم. ربما لو لم تقع دار الإذاعة بيدهم، وتم إذاعة البيان، لكان بإمكان بعض القطعات

العسكرية الموالية له أن تتحرك وتتصدى للانقلابيين١٤٠ تموز وقيادتها، رغم الأخطاء التي ارتكبها عبد الكريم قاسم. كان الجميع على متن سفينة الثورة، وإذا غرقت، غرق الجميع. لذلك، أعلن الانقلابيون في الساعات الأولى من الانقلاب عن مقتل عبد الكريم قاسم، لمنع أي تحرك عسكري لدعمه، كما فعلوا عندما تقدمت دباباتهم حاملة صور عبد الكريم قاسم لخداع الجماهير للوصول إلى وزارة الدفاع.

ورغم ذلك، اندفعت جماهير الشعب لمواجهة الانقلابيين بكل ما تملك من عزيمة وقوة، رغم افتقارها للسلاح، وخاضت المعارك معهم باستخدام البنادق والعصي والحجارة، بينما واجهتهم الدبابات

والمصفحات، مما أسفر عن خسائر فادحة في الأرواح بلغت عدة آلاف من أبناء الشعب.

أما الحرس القومي الذي شكله الانقلابيون، فقد اندفع أفراده إلى الشوارع، وهاجموا مراكز الشرطة واستولوا على الأسلحة، وبدأوا يهاجمون جماهير الشعب بعنف وقوة، موجهين نيران أسلحتهم نحو كل من يصادفونه في طريقهم.

استمرت مقاومة الشعب في بعض مناطق بغداد، وخاصة في مدينة الثورة، والشاكرية، والكاظمية، وباب الشيخ، وحي الأكراد، والحرية،

والشعلة لعدة أيام، ولم يتمكن الانقلابيون من قمع المقاومة إلا بعد أن جلبوا الدروع لتنفث نار القنابل الحارقة فوق رؤوسهم. وأصدر الانقلابيون بيانهم رقم ١٣ الذي دعا إلى إبادة الشيوعيين الذين تصدوا للانقلاب منذ اللحظات الأولى، وشنوا حرب إبادة لا هوادة فيها ضد الحزب الشيوعي، حيث اعتقلوا أكثر من نصف مليون مواطن، بينهم ١٣٥٠ ضابطاً عسكرياً من مختلف الرتب، وتعرض المعتقلون لتعذيب وحشي لا يصدقه عقل، واستشهد المئات من المناضلين تحت التعذيب.

من بين ضحايا التعذيب كان مثل سلام عادل، السكرتير العام للحزب الشيوعي، الذي تعرض لقطع يديه ورجليه، وفقأ عينيه في محاولة

لانتزاع اعترافات منه عن تنظيمات الحزب. كما من أعضاء اللجنة المركزية كل من جمال الحيدري، ومحمد صالح العبلي، ونافع يونس، وحمزة سلمان، وعبد الجبار وهبي، أبو سعيد، وعزيز الشيخ، ومتي الشيخ، ومحمد حسين أبو العيس، وجورج تللو، وعبد الرحيم شريف، وطالب عبد الجبار، بالإضافة إلى المئات من الكوادر الحزبية ورفاق الحزب، الذين قضوا جميعاً تحت التعذيب رافضين تقديم اعترافات عن تنظيمات حزبهم [٨].

* * *

﴿ استسلام الزعيم عبد الكريم قاسم ﴾

بعد ان خاطب الزعيم وسجل خطابه ولم يصل الى دار الإذاعة بسبب سيطرة الانقلابيين عليه ، بدأ بالتواصل مع الانقلابيين بشكل مباشر وكانت المحادثات والإتصالات بين الاثنين مضطربة وبائسة ، ولا يوجد اي نوع من التفاهم بين الطرفين في كل المحادثات . بعد مقاومة من الزعيم عبد الكريم قاسم ورفاقه وبعد ضعف المقاومة القاسمية وازدياد الضغط من قبل الانقلابيين ، وتصاعد الاحداث والقصف على مبنى وزارة الدفاع الذي كان محتميا فيها طلب الزعيم عبد الكريم قاسم ،

لقد اتصل الزعيم عبد الكريم قاسم عبد السلام عارف طالبا

اياه بأسم العلاقة التي بينهم بأسلوب مؤدب وخلوق بينما يرد عليه

الاخير بكلمات نابيه لا تدل على الاخلاق لا من قريب ولا من بعيد ،

مما اثار غضب الشهيد طه الشيخ احمد الذي اخذ الهاتف من يد الشهيد

عبد الكريم قاسم مخاطبا لعبد السلام عارف باللهجة العامية « **شوف**

ولك اني طه الشيخ احمد اكلمك ، انت نذل وحقير ، وجبان وخائن

،وزقاقي من الاول للأخير ، وراح تبقى هيج سواء صرت رئيس

الجمهورية او صعلوك من الصعاليك » ، ليرد عليه عبد السلام عارف

قائلا « **انجب (ويعني اسكت) اترك الهاتف شيوعي قذر** »

وفي صباح اليوم التالي التاسع من شباط خرج يونس الطائي

صاحب صحيفة الثورة ، المعروف بعدائه للشيوعية ، والذي كان قد سخره عبد الكريم قاسم لمهاجمة الحزب الشيوعي على صفحات جريدته الثورة ، خرج للقاء الانقلابيين ، وكان في انتظاره أحد ضباط الانقلاب ، واصطحبه إلى دار الإذاعة ، حيث قام بدور الوسيط بين عبد الكريم قاسم ، والانقلابيين ، لقاء وعد بالحفاظ على حياته وتسفيره إلى تركيا ، وهكذا انتهت الوساطة بخروج عبد الكريم قاسم ، ومعه المهداوي ، وطه الشيخ أحمد ، وكنعان حداد كان بانتظارهم ناقلتين مصفحتين عند باب قاعة الشعب ، وكان الوقت يشير إلى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً ، حيث نقل عبد الكريم قاسم وطه الشيخ

أحمد على متن إحدى المصفحات ، ونقل المهداوي ، وكنعان حداد على متن المصفحة الثانية ، وعند وصول المصفحتين إلى دار الإذاعة ، أنهال عدد من الانقلابيين على المهداوي ضرباً مبرحاً حتى غطت الدماء جسمه ، وأدخل الجميع إلى دار الإذاعة ، وكان عبد الكريم بكامل بزته العسكرية ولم يمسه أحد بسوء عند دخوله مبنى الإذاعة (٩) .

ولم يضعوا قيودا في يد الزعيم عبد الكريم قاسم عندما خرج بل كان ماسكا في يديه راديو صغير الذي كان يترقب منه الاحداث واليد الاخرى فيها وسيدارته العسكرية ، ولم يتلفض احد المتآمرين عن الزعيم عبد الكريم قاسم بسوء سواء عندما خرج او داخل مبنى الإذاعة (١٠) .

﴿ اعدام عبد الكريم قاسم ﴾

كل ما قيل عن محاكمة الزعيم عبد الكريم قاسم كان مجرد كذب وهراء ومن وحي الخيال. فقد قرر الانقلابيون والمتآمرون مسبقًا الحكم عليه بالإعدام، وعلى رفاقه بالطبع . لم يكن بإمكان الزعيم عبد الكريم قاسم أن يسلم نفسه لأولئك المجرمين، لكنه خُدع، أو ربما خدع نفسه بواسطة الخائن والدجال يونس الطائي ، وانا أعتذر للقارئ عن هذا الوصف ولكن هذا قليل جدا بما يستحق هذا المجرم ، الذي كان يتملقه طوال فترة حكمه. تصور عبد الكريم قاسم أن الانقلابيين سيسمحون له بالخروج بسلام، أو أن يوفروا له محاكمة عادلة وعلنية كما فعل هو عندما

حاكم عبد السلام عارف ، عند دخول عبد الكريم قاسم إلى دار الإذاعة، انبرى له عبد السلام عارف وعلي صالح السعدي بشتائم مخجلة لا تصدر إلا من أولاد الشوارع. حيث قال السعدي: « لقد كانت لدينا حركة قبل أسبوعين، وأريد أن أعرف من أفشى لك بهذه الحركة، وهل هو موجود بيننا؟ » وقد أدت تلك الحادثة إلى اعتقال السعدي، فأجابه عبد الكريم قاسم: « غير موجود هنا بشرفي» ، لكن السعدي رد بانفعال: « ومن أين لك بالشرف؟» ، فرد عليه الزعيم عبد الكريم قاسم: « إن لي شرفًا أعتز به» .

ثم دخل عبد السلام عارف في نقاش حول من كتب البيان الأول

للثورة، وكان همه الوحيد هو انتزاع اعتراف من عبد الكريم قاسم بأنه هو من كتب البيان . لكن عبد الكريم قاسم أصر على أنه هو من كتب البيان بنفسه ، وبالفعل هو من كتب البيان والدليل على ذلك لم تكن لعبد السلام عارف ثقافة كافية تمكنه من كتابة بيان لثورة بحجم ثورة ١٤ تموز في حين ان الزعيم عبد الكريم قاسم لديه الثقافة العالية والرصينة التي تجعل يصيغ البيان الاول بسهولة جدا [(١١)] ، كانت تلك الأحاديث هي كل ما جرى في دار الإذاعة.

طلب عبد الكريم قاسم محاكمة عادلة ونزيهة وعلنية تُبث عبر الإذاعة والتلفزيون ليطلع عليها الشعب، لكن طلبه قوبل بالإهمال، حيث كان

الانقلابيون في عجلة من أمرهم للتخلص منه لوضع حد للمقاومة ومنع أي وحدات من الجيش من التحرك ضدهم.

قام العقيد عبد الغني الراوي بإبلاغه ورفاقه بقرار الإعدام للجميع، وحسبما ذكر إسماعيل العارف في مذكراته، فإن عبد الكريم لم يفقد رباطة جأشه وشجاعته، ولم ينهار أمام الانقلابيين.

عند الساعة الواحدة والنصف من ظهر ذلك اليوم، ٩ شباط ، أُقتيد الزعيم عبد الكريم قاسم ورفاقه إلى استوديو التلفزيون، وتقدم عبد الغني الراوي والرئيس منعم حميد والرئيس عبد الحق، فوجهوا نيران أسلحتهم الأوتوماتيكية إلى صدورهم، فماتوا على الفور، رافضين وضع عصابة على

أعينهم. وكان آخر كلام الزعيم عبد الكريم قاسم هو هتافه بحياة ثورة ١٢ تموز وحياة الشعب العراقي.[١٢]

* * *

أحد الانقلابيين يمزق صورة الزعيم عبد الكريم قاسم بعد نجاح انقلابهم



﴿ علاقة انقلاب شباط بالقوى الخارجية ﴾ [١٥]

في البداية، لابد أن نطرح سؤالاً منطقياً طُرح سابقاً:

هل من المعقول أن يتمكّن حزب صغير، عدد أفراده قليل وقاعدته الاجتماعية محدودة، من تنفيذ انقلاب ضد نظام يملك قاعدة شعبية أوسع نسبياً؟

هل يُعقل أن يقوم حزب يعتمد على ٢٩ ضابطاً فقط، أغلبهم من الرتب الصغيرة، ويعتمد على كتيبة دبابات واحدة وثلاثة طيارين فقط، بإسقاط نظام حاكم من دون أي مساعدة خارجية؟ خاصةً وأن هؤلاء

الضباط لم يكونوا معروفين بالكفاءة العالية في عملهم العسكري؟

الجواب على هذا السؤال نجده في حقيقة التعاون الخطير بين حزب البعث والقوى الخارجية. فقد نسّق الطرفان معاً، وكلٌ قام بدوره، وتم تحديد خطة الانقلاب وتوقيته بدقة، حتى العلاقات مع جهات خارجية أُديرت بعناية.

ومن ضمن التحضيرات، جرى إعداد إذاعة سرية في الكويت، كانت بإشراف أمريكي، لتبث رسائل موجهة إلى الانقلابيين. كما تم إعداد قوائم مسبقة تضم أسماء الأشخاص المناوئين للانقلاب، والذين تقرر القضاء عليهم أو تحييدهم فوراً.

بهذا، بدأت تتضح الجهات التي وقفت خلف هذا الانقلاب، وسنذكر

بعضاً منها في الفقرات التالية :

١ - الاكاديمي حنا بطاطو

كتب الاكاديمي حنا بطاطو، يقول : « ...لا يمكن تجنب ارتكاب

الخطأ في تقدير المصدر الذي جاءت منه هذه القوائم ، أو من هو الذي

صاغها، ولكن هنالك ما أكده الملك حسين ، ان بعد سبعة أشهر في

حديث شخصي منفرد مع محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام،

جرى في فندق كريون في باريس ويستحق الإيراد هنا: « تقول لي

الاستخبارات الأمريكية" كانت وراء الأحداث التي جرت في الأردن عام ١٩٥٧.

اسمح لي أن أقول لك أن ما جرى في العراق في ٨ شباط قد حظي بدعم الاستخبارات الأمريكية. ولا يعرف بعض الذين يحكمون بغداد اليوم هذا الأمر، ولكني أعرف الحقيقة. لقد عقدت اجتماعات عديدة بين حزب البعث والاستخبارات الأمريكية، عقد أهمها في الكويت. أتعرف أن محطة سرية تبث إلى العراق كانت تزود يوم ٨ شباط رجال الانقلاب بأسماء وعناوين الشيوعيين هناك للتمكن من اعتقالهم وإعدامهم. . وليس واضحاً ما الذي دفع الحسين إلى قول هذه الأشياء.

فالواقع أنه لم يكن صديقاً لحزب البعث، ولكن ملاحظته يمكن أن تقرأ في ضوء ما كشف أخيراً من أنه كان يقبض راتبه منذ ١٩٥٧ الاستخبارات الأمريكية (سي.آي. أي).

٢ - محمد حديد

ومن جانب آخر أشار وزير مالية حكومة عبد الكريم قاسم الأولى، محمد حديد إلى دور الكويت في هذا الموضوع بالقول : « ... إلى أن قضي على عبد الكريم قاسم في انقلاب ٨ شباط/فبراير، وهو الانقلاب الذي ساهمت الكويت فيه بالتعاون مع أطراف عربية وأجنبية. ونتيجة لذلك التآمر اعترفت الحكومة العراقية الجديدة باستقلال الكويت لقاء ثمن

قيل أن الكويت قدمته إلى المسؤولين في الحكومة العراقية.

وبحسب ما ذكره إسماعيل العارف فقد عقدت جلسات تفاوض كانت خاتمتها في أثينا (يقصد بها المفاوضات بين حكومة قاسم والتي قادها عنها السفير قاسم حسن والكويت - المؤلف) ، في الوقت الذي كان وفد كويتي آخر يشترك مع المتآمرين في التخطيط لحركة ٨ شباط التي أنهت بنجاحها قضية الخلاف مع الكويت. وقد تبين من مجرى الأحداث أن الكويت قصدت من المفاوضات القيام بلعبة دبلوماسية لتفويت الفرصة على عبد الكريم قاسم للقيام بأي إجراء ضدها من جانب وصرف الأنظار من جانب آخر عن التآمر الذي كانت ضالعة

فيه..."

٣ ـ باتريك كوكبرن

وفي الوقت ذاته يؤكد باتريك كوكبورن حول موضوع (سباق المسافات الطويلة) في العلاقة بين قادة الانقلاب والقوى الخارجية بالقول من ان: «... الوكالة (المقصود بها المخابرات الأمريكية - المؤلف) لعبت دوراً رئيسياً في إعداد قوائم بأسماء الذين تمت تصفيتهم في أعقاب الانقلاب من قبل فرق الموت التابعة لحزب البعث ويعتقد بأن عدد ضحايا الانقلاب بلغ الآلاف، منهم ٦٠٠ من أطباء ومحامين ومعلمين

وأساتذة جامعيين يمثلون النخبة العراقية المثقفة... وقد جرى وضع قوائم الموت في مقرات المخابرات المركزية في بلدان الشرق الأوسط بالتعاون مع منفيين عراقيين.

وفي القاهرة استعانت الوكالة بضابط مخابرات مصري حصل على معظم معلوماته من صدام حسين أثناء إقامته في العاصمة المصرية. وأن أطول قائمة وضعها أحد عناصر الوكالة وهو (وليم ماكهيل) الذي كان يعمل تحت غطاء مراسل لمجلة (التايم) في بيروت ، وحالما وصلت قوائم المخابرات المركزية إلى بغداد كانت النتيجة مجزرة استثنائية في وحشيتها، فقد قتل شيوخ ونساء وحوامل وعذب البعض حتى الموت

أمام أطفالهم... ويُؤكد أن صدام حسين الذي عاد من منفاه في مصر لينضم إلى المنتصرين تورط شخصياً في تعذيب اليساريين في مراكز اعتقال مخصصة للفلاحين وأخرى للمثقفين... »

ويؤكد ذات المؤلف في أحدث كتاباته هذا الرأي بالقول :

« ... ففي الثامن من شباط أطاح انقلاب عسكري بقاسم، حيث لعب حزب البعث دوراً قيادياً. فقد كان الدعم للمتآمرين محدوداً ، ففي الساعات الأولى من القتال كان بحوزة البعثيين تسع دبابات فقط و ٨٥٠ عضواً فعالاً، لكن يبدو أن قاسم تجاهل التحذيرات المتعلقة بانقلاب وشيك الحدوث، والذي أمال كفة الميزان أكثر ضده هو

تورط الولايات المتحدة في هذا الانقلاب لأن قاسم أخرج العراق من حلف بغداد.الذي أقيم لمحاصرة السوفييت. وفي العام ١٩٦١ هدد باحتلال الكويت ، وكذلك أمم جزءا من شركة نفط العراق المتألفة . اتحاد شركات نفط أجنبية ضخمة لاستغلال نفط العراق.

فعند استعادة أحداث الماضي والتأمل فيها نجد أن الانقلاب العسكري كان مفضلاً ومحبذا لوكالة المخابرات المركزية، حيث صرح جيمس كريستفيلد، الذي نصب مؤخراً رئيساً لوكالة المخابرات المركزية في منطقة الشرق الاوسط، (لقد غضينا الطرف عما كان يحدث في العراق حينها) ويضيف (فقد اعتبرناه أعظم نصر لنا). وقد أكد المشتركون

من الضباط العراقيين في الانقلاب ما صرح به كريستفيلد من تورط الامريكيين فيه، حيث صرح علي صالح السعدي السكرتير العام لحزب البعث , والذي كان على وشك إقامة حكم إرهابي لم يسبق له مثيل في المنطقة قائلا : « لقد أتينا إلى السلطة على قطار وكالة المخابرات الأمريكية » .

فقد تضمن مساعدة وكالة المخابرات المركزية وبصورة رسمية على التنسيق مع مخططي الانقلاب عن طريق مركز الوكالة في سفارة الولايات المتحدة في بغداد كان مدير المركز وليم ليكلاند .

إضافة إلى محطة الراديو السرية في الكويت وفي نهاية الأمر، نجد أن

قاسم احتفظ بشعبية بعد الإطاحة به، فبعد إعدامه رفض أنصاره التصديق بأنه ميت ، حتى عرض قادة الانقلاب من على شاشة التلفزيون وعلى صفحات الجرائد اليومية تظهر جسده وقد اخترقته عيارات نارية... »

٣ - رامزي كلارك

يجسد ثانيةً وزير العدل الاسبق رامزي كلارك، موقف الولايات المتحدة الأمريكية ونشاطها السري من أجل الاطاحة بثورة ١٤ تموز ونظامها بالقول : « ... لقد كان العراق هدفاً لنشاط سري منذ عام ١٩٥٨ على الأقل عندما بدأ النفوذ البريطاني على المنطقة يضعف.

ففي ١٤ تموز من تلك السنة أطاحت ثورة شعبية قادها عبد الكريم قاسم بالنظام الملكي القائم منذ ١٩٢١ . وعملت الحكومة الجديدة على إنشاء منظمة البلدان المصدرة للنفط (أوبك) ، التي تشكلت عام ١٩٦٠ ، لمواجهة نفوذ احتكارات النفط الغربية وقال قاسم : « نحن لا نحارب شركات النفط للحصول على ٧ ملايين دينار أخرى في السنة ، نحن نقاتل لإدخال جمهوريتنا عصر الصناعة ولإنهاء اعتمادنا على بيع النفط الخام. »

وتحدى قاسم سيطرة شركات النفط الغربية المطلقة على تسويق البترول العربي . ولم تكن الولايات المتحدة لتتساهل إزاء هذا التحدي الذي

يعرقل نواياها التي التخطيط لها للحلول محل الاستعمارين البريطاني والفرنسي كقوة وحيدة مسيطرة في الشرق الأوسط. ومنذ ذلك الحين خططت الولايات المتحدة لإضعاف العراق والسيطرة على نقطه.

وبعد وقت قصير من ثورة عام ١٩٥٨ ، شكلت المخابرات الأمريكية لجنة للتآمر بهدف إغتيال عبد الكريم قاسم. وفي الوقت نفسه وضع جنرالات أميركيون في تركيا خطط عسكرية تحت اسم (عظمة المدفع) ، لغزو شمال العراق والاستيلاء على حقول النفط هناك. وفي عام ١٩٦٣ ذُبح عبد الكريم قاسم والآلاف من مؤيديه في انقلاب دامي دعمته المخابرات الأميركية . »

٤ - د. أحمد عبد الهادي الجلبي

يقول د. أحمد عبد الهادي الجلبي ، في محاضرة له :« .... أما تدخل أمريكا الحقيقي الأول في العراق فبدأ سنة ١٩٦٢، حينما كلفت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي. آي أي) من جانب رئيس الولايات المتحدة ، بمجابهة الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي في العراق، فعملت الـ(سي. آي. أي) بشكل مباشر ويتحالف مع النظام المصري حينها بزعامة جمال عبد الناصر، وتعاونت مع حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، خصوصاً كوادر الحزب في القاهرة ومن ضمنهم صدام حسين على تشجيع وتأهيل الحزب لتسلم الحكم. وقد

ذكر لي أحد مسؤولي الـ (سي آي أي) في فرانكفورت وأسمه ريتشفيلد

، كان مسؤول الـ (سي.آي. أي) في أوربا ، أن الوكالة أصدرت

بالتعاون مع البعثيين قائمة بأسماء ١٧٠٠ شخص تقريبا يجب تصفيتهم

لدى قيام أي حركة ضد عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي في العراق.

وفعلا نشرت هذه الأسماء عبر إذاعة سرية للأمريكيين في منطقة الشرق

الأوسط... » .

* * *

﴿ بعض مصائر الذي شاركوا في قتل الزعيم ﴾ (١٤)

المقدم داود الجنابي : أحد المنفذين الأساسيين لحركة ٨ شباط، قام بالسيطرة على الثامن وتحضيره للعقيد عبد الغني الراوي وزحف بأحد أفواجه على بغداد، أصبح أمراً للكلية العسكرية ثم قائداً للفرقة العاشرة المدرعة وقائداً لقوات بغداد، طرد من الجيش بعد أن وجهت له تهمة أخلاقية (جنسية) أثر خلاف نشب بينه وبين حسين كامل.

العميد حميد التكريتي : كان ضمن الصدمة الأولى وأتجهت دبابته إلى إذاعة الصالحية عمل سكرتيراً لأحمد حسن البكر، قتل عام ١٩٧٩ قبل إبعاد البكر وتمهيداً السيطرة صدام على السلطة، عثرت عليه زوجته متكئاً

على طاولة الطعام وقد أخترقت ثلاثة رصاصات جسده وجاءت من النافذة المفتوحة .

رشيد مصلح التكريتي : حاكم عسكري وزير داخلية، قتل من قبل حكومة البكر - اتهمه صدام بتهمة العمالة لل CIA وعلّق بمشنقة في السجن المركزي ، بعد أن أخذ منه اعتراف بأن الذي جنّده هو شخص يهودي ، ويعمل عميلا مزدوجاً ، وذكر لهم اسماء ربما ليس له وجود انما لكي يتخلص من التعذيب، أعدم فوراً بعد وساطة نخبة من وجهاء مدينة تكريت لأطلاق سراحه .

اللواء الركن ابراهيم فيصل الأنصاري: قائد فرقة ومعاون أركان

ومساهم في قيادة دبابة في ٨ شباط، نفي خارج العراق ثم عاد مستغلاً عفواً خاصاً بعفوه، قتله نسب الجريمة إلى أسباب جنسية، ويذكر أن الأنصاري هو خال رئيس النظام بعد أن الأركان السابق نزار الخزرجي وقريب لعبد الكريم مصطفى نصرت.

فليح حسن جاسم الشمري : عضو قيادة قطرية ووزير صناعة، طرد مـن مناصبه ؛ بسبب عدم موافقته على عضوية المحكمة الخاصة للمصادقة على مقتل انتفاضة صفر التي قام بها زوار العتبات المقدسة ، خلال مسيرتهم السنوية من مدينة النجف إلى كربلاء.

العميد جابر حسن حداد: ساهم في ٨ شباط بعد إخراجه من المعتقل

وكان من أبرز الناشطين ضد حكومة ١٤ تموز وخاصة ضد الزعيم عبدالكريم قاسم، محافظ كربلاء، قتل في ١٩٧٠ ، تهمة الاشتراك بمؤامرة رجعية ونفذ فيه حكم الاعدام مع ٤٠ شخصية سياسية وعسكرية , وأعدمت السلطات معه الشيخ راهي آل سكر زعيم آل فتلة ، وجاء قتله تذكيراً للعراقيين بأن ما لم يستطعه الأنكليز ضد أبناء الفرات الأوسط فعله صدام حسين وأنتقم لهم من الحاج عبد الواحد بأبنه، كما أنتقم من شعلان أبو الجون بقتل أبنه.

حامد الديلمي : ساهم في ٨ شباط سجنته حكومة ١٨ تموز في سجن (أبو غريب) واشعل المحققون النار تحته وبعد أن أصبح الجزء الأسفل

من جسده مشوياً قطعت عنه الماء وترك ليموت كان عضواً في المكتب العسكري بعد سنة ١٩٦٣ ، ثم أصبح سفيراً في نيجيريا أستدعي ، وأعتقل في المطار بعد أن أعتدي عليه أمام المسافرين، ويذكر أنه أصبح لفترة قصيرة معاون مدير الأستخبارات البعثية وشارك في مهرجانات القتل.

محمد رضا الذهب : عضو قيادة قطرية وقومية، قضى سنوات في سجن النظام ثم مات نفياً ومتأثراً بأمراض سببها التعذيب الذي لاقاه خلال فترة الأعتقال.

حقي أسماعيل الراوي: ضابط طبيب قتل سنة ١٩٩٥ بتهمة المساهمة

مؤامرة أمريكية .

خالد عبدالله : قتل الآلاف من المواطنين خلال أكثر من ربع قرن ، وقبع في السجن مؤقتاً ريثما يقرر نظام صدام حسين التخلي عنه فوضع في تابوت ممتاز.

الفريق الركن حردان عبد الغفار التكريتي : عضو مجلس قيادة ثورة وقائداً للقوة الجوية ومساهم في حركة ٨ شباط، قُتل أغتيالاً في الكويت، وبعد إبعاده بأيام سفّر النظام زوجته مع أولاده فماتت في الطائرة بصورة غامضة وكانت حاملاً.

الفريق الركن حماد شهاب التكريتي: رئيس أركان ووزير الدفاع وعضو مجلس قيادة الثورة قتل في مؤامرة بوليسية مدبرة

فؤاد الركابي : اول امين قطري لحزب البعث في العراق وأول وزير بعثي في العراق، ثم اصبح امين عام حركة الوحدويين ،الاشتراكيين وخطط وأمر بتنفيذ خطة حسين للوصول إلى قمة السلطة، أعتقل . اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم برأس القرية، وشكلت تلك المحاولة أول خطوة لصدام بعد أتهامه بالتجسس ثم قتل بطعنه سكين غادرة من أحد عناصر المخابرات المندسين بين السجناء مدعياً أنه فعل ذلك لأسباب أخلاقية (جنسية) ولم يتقدم أحد الأسعافه فمات بتأثير

الطعنة والنزيف، ادعت السلطة. أنها أعدمت المجرم فمات ميتة خزي وعار لا من أجل عقيدته بل من أجل شهواته الجنسية.

دراجي عباس التكريتي: وزير وقائد سياسي قُتل بطريقة بشعة بتهمة الضلوع بمؤامرة أمريكية لأسقاط حكومة صدام حسين ويُعتقد أن السفير العراقي في الأردن أعطاه مخدراً ونقله إلى بغداد بسيارته وكان آخر منصب له مديراً لمستشفى الرشيد العسكري.

العميد عبد الكريم مصطفى نصرت : قائد معركة وزارة الدفاع في ٨ شباط ، وعضو مجلس الثورة والمكتب العسكري قتل بتمثيلية بائسة وعُرض قاتله على التلفاز ليدعي أنه قتله لأسباب أخلاقية.

عبدالرزاق النايف: ساهم بعد إعلان حركة ٨ شباط، رئيس وزراء بعد انقلاب ١٧ تموز , أغتيل غدراً بلندن من قبل المخابرات العراقية بمساهمة أحد أفراد عائلة الحربيط.

عبدالكريم الشيخلي : مساهم نشط ضد نظام الزعيم عبد الكريم قاسم ومنفذ لعملية رأس القرية في شارع الرشيد وزير خارجية، قُتل اغتيالاً في بغداد من قبل نظام صدام حسين أمام زوجته.

علي هادي وتوت: أحيل للتقاعد وقتل عدد كبير من أقربائه وأحيل أخوه العقيد جعفر على التقاعد بعد خمسة أيام من الحرب الأيرانية بتهمة الميول قتلته المخابرات خلال انتفاضة الشعبانية ، وقتل معه

عدنان سالم الزيادي وحيدر جواد وتوت وجرح العميد توفيق الياسري وذلك خلال التحضير لإعادة تحرير مدينة الحلة من ايدي القوات الحكومية

عبدالعزيز ابراهيم الحديثي: قائد الفيلق الخامس، طرد من الجيش ثم أعيد ليسقط بطائرته الهليكوبتر مع عدد كبير من ضباطه في شباط ١٩٢٢ .

محسن الشعلان: رئيساً للجمعيات الفلاحية بعد سيد حسين جبر، قتله نظام البكر - صدام.

محمد فاضل : ساهم في أنقلاب ٨ شباط ، عضو قيادة قطرية، ومدير مكتب العلاقات العامة العامة المخابرات الخاصة أعدم مع ناظم كزار.

وليد محمد صالح الجنابي: ساهم في أنقلاب ٨ شباط ، وكانت تربطه صلة طيبة بالبكر، اشترك بتعذيب عبد الرحمن البزاز وأشتهر بقسوته في التحقيق أعدم مع جماعة عدنان حسين الحمداني.

هاني الفكيكي : أحد قادة انقلاب ٨ شباط تخطيطاً وتنفيذاً، عضو قيادة قطرية ومجلس قيادة الثورة، قضى حياته حتى الموت منفياً.

العميد الركن محمد علي سعيد : ساهم في انقلاب ٨ شباط ، وأصبح

بعد ١٩٦٨ ، سكرتيراً للمكتب العسكري، أعدم في نيسان ٧٩ ، مع مجموعة الضباط البعثيين السامرائيين في سجن أبو غريب .

العميد الركن محمد رشدي الجنابي : ساهم في انقلاب ٨ شباط , بعد اعلانه ، أعدم في شباط ١٩٧٠ .

محمد صبري الحديثي : وكيل وزارة الخارجية، أعدم من قبل بقايا صدام حسين إثر محاولة عدنان حسين الحمداني ومحمد عايش.

وهاب كريم : ساهم في انقلاب ٨ شباط ، عضو قيادة قطرية ومجلس الثورة قتل بحادث مدير بعد أن كلف هو بقتل أشخاص

كثيرين على رأسهم أول وزير خارجية بعد ١٩٦٨ ، الدكتور ناصر الحاني .

وليد ابراهيم الأعظمي: بعثي، قُتِل في سنة ٧٩ ، وكان حينها مديراً عاماً لمعمل شهرزاد للبيرة.

عبد السلام عارف: أحد قادة انقلاب ٨ شباط وقد قتل في حادثة هليكوبتر غامض . وسخر العراقيين حينها ، بمقولة : « صعد لحم نزل فحم » .

* * *

هوامش الفصل السابع

(١) د. فائزة المهداوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٥٣٥ .

(٢) سعيد علي كريم ، عراق ٨ شباط من حوار المفاهيم الى حوار الدم مراجعات في ذاكرة طالب شبيب ، ص ٧٢ - ٧٣ ؛ د. فائزة المهداوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٥٣٥ - ٥٣٦.

(٣) حنا بطاطو ، العراق ، الكتاب الثالث ، ص ٢٨٧ .

(٤) شاكر العزاوي ، المصدر السابق الذكر، ص ١٠٢ .

(٥) حامد الحمداني ، المصدر السابق الذكر ، ٢٤٣ .

(٦) نوري صبيح ، المصدر السابق الذكر،- ٢٧٢ .

(٧) عزيز سباهي ، تاريخ من عقود الحزب الشيوعي العراقي ، ص

٤٣٧.

(٨) حامد الحمداني ، المصدر نفسه ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٩) حامد الحمداني، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٤٨.

(١٠) حامد الحمداني ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٥١ .

(١١) علي جاسم السواد ،المصدر السابق الذكر ، ص ١٠٦.

(١٢) حامد الحمداني , المصدر السابق الذكر ، ص ٢٥٢ .

(١٣) د. عقيل الناصري ، من ماهيات السيرة ، الكتاب الثالث ، عبد الكريم قاسم في يومه الأخير ، ج٢ ، ص ٤٥.

(١٤) د. فائزة المهداوي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٥٧٧ .

الفصل الثامن

آراء وخواطر عن الزعيم قاسم والثورة

كتب العديد من الضباط الأحرار والمؤرخين عن الزعيم عبد الكريم قاسم، وتباينت الآراء حول شخصيته. سنستعرض بعض الآراء حول الزعيم وانطباعاته، ونبدأ برأي العقيد محسن الرفيعي الذي قال عن الزعيم عبد الكريم قاسم [١] :

« من تسلسل ما ذكرته في هذه الصفحات من حوادث وذكريات على الصعيد الداخلي والخارجي ، نستطيع أن نقول بأن الزعيم عبد الكريم قاسم القائد العام للقوات المسلحة العراقية ، ورئيس وزراء العراق منذ ١٤ تموز ١٩٥٨ وحتى ٨ شباط ١٩٦٣ كان يتمتع بالصفات الآتية :

١- لا يحب التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى المجاورة منها

والبعيدة ، فهو يعد التدخل في شؤون الآخرين ، فضلا عن كونه تدخل غير مقبول ، فإنه يعد أيضا هدراً للمال العام وقدرات أبناء العراق .

٢ - لا يشجع على إفساد ذمم بعض الصحفيين العرب مطلقاً ، ويعيب على بعض الحكام العرب انزلاقهم في هذا الطريق .

٣ - عطفه على الفقراء ، وأمنيته بأن يسكن كل فقير في دار مزودة بالماء الصالح للشرب والكهرباء ، ومناطق صحية مجهزة المستلزمات الصحية والمدارس

٤ يريد للمواطنين الأمن والأمان .

٥ - يكره اختزان المواد ، ولا يحب السارق والمرتشي والمتاجرين بقوت الشعب .

٦- يحب أقرانه من الضباط ، ويسعى لرفع مستواهم المعاشي ، ولطالما قال لي أيام كنت أعمل معه في فلسطين : « سأعمل على ضمان حقوق أخواني الضباط وحفظ كرامتهم ، بما يؤمن مستقبلهم وأولادهم » ، وقد حقق لهم ذلك.

٧ - رغبته في بناء عراق متطور حديث بالموارد المتيسرة له ، دون اللجوء إلى مساعدة الآخرين ، أو إثقال البلد بالديون التي تكون سببا في إذلاله .

٨ - شجاعته ووطنيته معروفة ، وقد انبرى للحديث عنها الكثيرون ممن تناولوا سيرته. و طوال ملازمتي له لم أسمعه يوما يقذف أو يستغيب أحداً أبداً.

١٠ - كرهه الشديد لاستغلال منصبه ، فعلى الرغم من كونه القائد العام للقوات المسلحة، ورئيس الوزراء ، وعضواً في جمعية بناء المساكن للضباط ، فقد مات ولم يمتلك داراً سكنية ، سواء من خلال الجمعية ، أو قيامه ببناء دار مناسبة له كما فعل الكثير من أقرانه الضباط بجهودهم الخاصة ، أو بجهود جمعية بناء المساكن للضباط ، وهذا هوحال أقرب المقربين إليه وهو الحاكم العسكري العام ورئيس أركان

الجيش آنذا كالمرحوم اللواء الركن صالح أحمد العبدي، وكبار المسؤولين في الأجهزة الأمنية والوزراء ووكلاء الوزارات والمحافظين ، وإخوانه وأخواته عدا شقيقه السيد حامد قاسم الذي تمكن من تملك دار سكنية له بجهوده الشخصية . وإنني هنا أتحدى أي مناصر لأي حاكم من حكام العالم الثالث أن يقول أن صاحبه قد ترك الحكم دون أن يتملك عقاراً أو ودائع في البنوك ، أما الزعيم عبد الكريم قاسم فلم يتملك سوى دينار واحد ومائتي فلس ، كما جاء في تقرير السيد حسن العلوي المنسب من قبل السلطة بعد ٨ شباط للتحري عن ثروته داخل العراق وخارجه ، فالتاريخ رغم قساوته سيكتب عن هذا الرجل بإنصاف

، ويخطئ من يقول إنه مات ولا يملك شيئاً ، بل إنه مات وهو يملك الكرامة وعفة اليد واللسان والوفاء لمن أخلص له من أصدقائه والسمعة الطيبة ، ولابد أن يأتي اليوم الذي سيكتب عنه المنصفون : « الليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب »

١١- تنتابه في بعض الأحيان شكوك في المقربين إليه ، وأنا أعطيه بعض الحق ، لأن الأيام العصيبة التي مرت به خلال الثورة زرعت فيه هذه البذرة .

١٢ - الويل لمن يخرج عن الطريق من أبناء أشقائه ، وقد غرس هذه الروح في الحاكم العسكري

الذي أمر بحجز شقيقه لمدة شهر في معتقل نقرة السلمان

١٤ - سريع الغضب في بعض الحالات .

ويذكر المتآمر على قاسم ، عارف عبد الرزاق : « ان عبد الكريم قاسم رجل جسور وانه لم يكن شيوعيا. » [٢]

حين ذكر العقيد نعمان ماهر الكنعاني « ان عبد الكريم قاسم مخلص للعراق و غير منتمي لأي جهة أجنبية أو حزبية . » [٣]

في سياق آخر، يتحدث الأستاذ ليث الزبيدي عن رأيه في الزعيم عبد الكريم قاسم، حيث ذكر [٤] :

١ - إن عبد الكريم قاسم شخص أقليمي ومخلص للعراق فقط وغير عميل لأية جهة أجنبية .

٢ - أنه وفي لاصدقائه إلا أن تنفيذه لهذا الوفاء قليل بسبب تردده وشكوكه فإنه كان مترددا على الرغم مما يحاول كتمانه من التردد ، كما أنه كان متشككا إلى حد الوهم .

٣ - شخص كتوم وحذر جداً ، لا يختلط بأحد قبل الثورة ، لا يدخن ولا يشرب الخمر ، ولا توجد عنده جوانب خلقية سيئة كما يدعي البعض.

٤ - كان زاهدا في المال فلم يستغل منصبه لاقتناء الأموال والعقارات ، وإنما جاء بملابسه العسكرية ومات بها ولم توجد له عقارات أو أموال في البنوك سواء داخل العراق أو خارجه .

وقال الدكتور علي الوردي عن الزعيم عبد الكريم قاسم : « يجدر بي قبل أن أنتهي من كلمة الوداع، هذه أن أشير إلى موقف الزعيم عبدالكريم قاسم في هذه المرحلة الاجتماعية الهامة من تاريخنا. فلقد أعلن الرجل غير مرة أنه فوق الميول والاتجاهات، واعتقد أنه صادق فيما قال ولكني مع ذلك لا أستطيع أن أعد موقفه هذا خالياً من الدقة والحراجة. إنه ليس قائد حزب إنما هو قائد بلد تتصارع فيه الأحزاب،

وهو إذن معرض للحيرة أكثر من تعرض أي قائد حزبي لها وكلما تأملت

في حراجة موقفه هذا شعرت بالثقل الهائل الموضوع على عاتقه. ساعده

الله إنه لا يستطيع أن يتجاهل أهمية الحماس الشعبي في تأييد الثورة التي

تكاثر عليها الأعداء، وهو لا يستطيع كذلك أن يجاري هذا الحماس إلى

الدرجة التي اندفع بها المتعصبين المتسرعين. بين يديه من جهة بلد يحتاج

إلى استقرار، وبين يديه من الجهة الأخرى ثورة تحتاج إلى تأييد. ولا بد

للرجل من أن ينظر في هذه الجهة تارة وفي تلك الجهة تارة أخرى. إني

أشعر بالعجز في سياسة صف واحد من الطلاب حين يشتد الجدل

بينهم، فكيف بالرجل وهو يقود ثورة كبرى كثورة ١٤ تموز وفي

مجتمع كالمجتمع العراقي. ومهما يكن الحال فإننا يجب أن نحني رؤوسنا اعترافاً بما وهب الرجل من مهارة في قيادة سفينة البلد بين هاتيك الأمواج المتلاطمة. » (٥)

وذكر حسن العلوي عن الزعيم عبد الكريم قاسم : « مضى ربع قرن على إنعقاد أول جلسة عربية لمحاكمة عبد الكريم قاسم وثورة ١٤ تموز ولم ينته النظر في هذه القضية مع إن المتهم الرئيسي فيها قد أعدم رمياً بالرصاص دون محاكمة. ومرت عشرون سنة على إعدامه شهود النفي صامتون. وشهود الإثبات وحدهم الذين كتبوا الكتب، ونشروا المذكرات وسودوا أعمدة الصحف العربية بالسطور الغاضبة. ولم يتخلف

الشعر العربي العمودي والحديث عن الإدلاء بقصائده ضد المتهم الماثل أمام الأمة منذ ربع قرن ومازالت المحكمة مستمرة، يساهم فيها حتى هذه الساعة صحفيون عبروا مع الرئيس المصري أنور السادات إلى تل أبيب، ورجال نفط وأشخاص حكموا على المتهمين الذين أطلق عبد الكريم قاسم سراحهم بالموت شنقاً وبالنفي حتى الموت رصاصاً... فرصة ثمينة لأن يصير المنفى شاهد نفى مفارقة لغوية غريبة تتحول إلى واقع النفي يولد النفي.. ويولد الشهادة الجديدة التي تأخرت عن موعدها ربع قرن. » (٦)

قالت الدكتورة نزيهة الدليمي عن الزعيم :« كان للزعيم عبد الكريم قاسم

الكثير من الصفات الحميدة وأفضلها من وجهة نظري أنه كان مهذباً جداً وذا إخلاق عالية وحضارية ولم أسمع منه كلمة نابية قط. وكان نصيراً للفقراء وذوي الدخل المحدود، يسعى لخدمتهم ورفع مستواهم المعيشي وقد عمل الكثير في هذا المجال من أجلهم فأنشأ لهم مشاريع خدمية وسكنية عديدة، لقد كان ذا نشأة عسكرية غير سياسية ولعل ذلك كان أحد أسباب عدم إستمرار حكمه زمناً طويلاً ... وقد تألمت للمصير الذي انتهى إليه الزعيم عبد الكريم قاسم ، والمذابح والتصفيات التيجرت في صفوف الشيوعيين والوطنيين ، ولم يكن قائد ثورة ١٤ تموز يستحق ذلك المصير المؤلم بعد أن أسس النظام الجمهوري وحارب

الإستعمار بصلابة وخدم الفقراء بصدق وسعى للإرتقاء بمستوى العراق إلى مصاف الدول المتقدمة في جميع المجالات[٧].

ايضا وذكر الدكتور عباس فاضل المهندس المعماري والكاتب ، عن الزعيم عبد الكريم قاسم : « اتبع قاسم سياسة التدرج بإلغاء التمايز الطائفي التي سارت عليها الحكومات السابقة، قد أثارت المخاوف في نفوس غلاة الطائفية، فقد عثر انقلابيي ٨ شباط (فبراير) عام ١٩٦٣ في مكتبه على مسودة القانون الجديد للجنسية العراقية والذي كان سيلغي القانون القديم الذي يقسم العراقيين إلى مواطنين من الدرجة الأولى والثانية، والذي استغله صدام حسين فيما بعد لتهجير أكثر من نصف

مليون مواطن. » [٨]

وقال طالب خزعل عن الزعيم : « ولما كان قاسم في دورة أركان في كلية سانت هيرز في إنكلترا، والإمتحان النهائي كان يتمثل في سؤال واحد هو : أكتب خطة مفصلة لإحتلال عاصمة بلادك؟

وحين وزعت الأسئلة، استجاب شباب الدورة من مختلف اصقاع الدنيا، إلا ضابطاً واحداً أمسك بورقة الأسئلة وقام صارخاً لا لإحتلال بغداد. أتعرفون من هو هذا الضابط؟ عبد الكريم قاسم [٩] .

ويذكر الضابط الذي كان من اوائل الضباط الأحرار الا وهو اسماعيل

العارف حول الزعيم عبد الكريم قاسم : « كان عبد الكريم قاسم على خلاف ما نعته به بعض أقرب الناس إليه من الحاقدين على شخصه، يؤمن بمبادئ سياسية واضحة أعتنقها واستخلصها من حاجة الناس ومعاناتهم ، وقد كانت تلك المبادئ تدور على ألسنة الكتل والأحزاب السياسية والأفراد والشخصيات الواعية، يرددونها في مجالسهم ويتحدثون بها في كل مناسبة متاحة للتعبير عن آرائهم ، ولم تكن هذه المبادئ تستند بالضرورة، إلى فلسفة سياسية أنيقة أو أفكار استوعبتها النشرات والكتب السياسية، بل جسدها الواقع وتطلعات الجماهير لتحقيقها(١٠) .

وكتب ذوالنون ايوب : « أُعطيتُ حين قدومي إلى (بغداد) مركزاً خطيراً. لقد واجهت قائد الثورة، فوجدته يختلف عن القادة العسكريين الذين يقومون بأمثال هذه الثورة، في كل بلد متأخر في العالم الآن، ووجدته في حيرة. إن أهداف القوم واحدة، فلماذا يختلفون ويقتل بعضهم بعضاً ؟

إن الرجل لا يفهم أن يستعمل العنف لتأديب من استعمل العنف هو مرة إن له فلسفة كفلسفتنا، ولا أدري من أين أتته؟ إذ أنه نشأ وتربى في وسط القوة التي لا تعرف غير القوة حلاً. لقد ملت إلى الرجل، ولكني أدركت أنه حمامة سلام في ثوب نسر، أو مسيحاً يحمل

صليبه على كتفه. إن أعداءه في الخارج يسمونه دكتاتوراً. وهو لا يستطيع

في نظري أن يحمي نفسه أنه يترفع عن استعمال القوة حتى في الدفاع

عن نفسه أما الساسة الحاذقون المطلعون فيعتبرونه جاهلاً في السياسة،

مفلساً من أساليب الحكم الصحيحة. أما أعداؤه في الداخل فيروجون

بأنه رجل مجنون، وأن الخير في التخلص منه وهو يسمع كل ذلك دون

أن يتأثر، إن جل همه منصرف إلى إلغاء أنظمة قديمة جائرة، وإبدالها

بأخرى منصفة إنسانية حديثة. وهذا ما استهواني للبقاء معه على الرغم

من أني أعلم أنا وكل انصاره القلائل، بأننا سائرون إلى هاوية » [١١] .

الزعيم عبد الكريم قاسم متحدثاً إلى العقيد محسن الرفيعي مدير الاستخبارات العسكرية خلال حضوره الاحتفال الذي أقيم في بهو أمانة العاصمة بمناسبة هذا الجيش العراقي - ٦ كانون الثاني ١٩٦٣



هوامش الفصل الثامن

(١) العقيد محسن الرفيعي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(٢) عقيل الناصري - قراءة اولية في سيرة عبد الكريم قاسم - ص ١٩٧ .

(٣) د. هادي حسن عليوي - المصدر السابق الذكر، - ص ٣٢.

(٤) ليث الزبيدي ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٣٨.

(٥) الدكتور علي الوردي ، الاحلام بين العلم والعقيدة ، دار كوفان

، لندن ، ط٢ ، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

(٦) حسن العلوي ، عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين ، ط١

١٩٨٣ ، ص ٥ .

(٨) مقابلة مع الدكتورة نزيهة الديلمي في صحيفة الزمان - لندن ٢٦ / ٩

/ ٢٠٠١ .

(٩) جريدة المؤتمر العدد ١٦٢ في ٢ آب ١٩٩٦.

(١٠) جريدة الوفاق العدد ٢٢٢ في ١١ تموز ١٩٩٦ - لندن .

(١١) اسماعيل العارف ، اسرار ثورة ١٤ تموز ، ص ٤٣٣ .

(١٢) ذو النون ايوب ، وعلى الدنيا السلام ، ص ٧٤ ، ٧٥.

- تم بحمد الله الجزء الثاني من السلسلة -

رسالة العقيد عبد السلام عارف للزعيم عبد الكريم قاسم من سجنه في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٨

بغداد

١٩٥٨/١١/٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

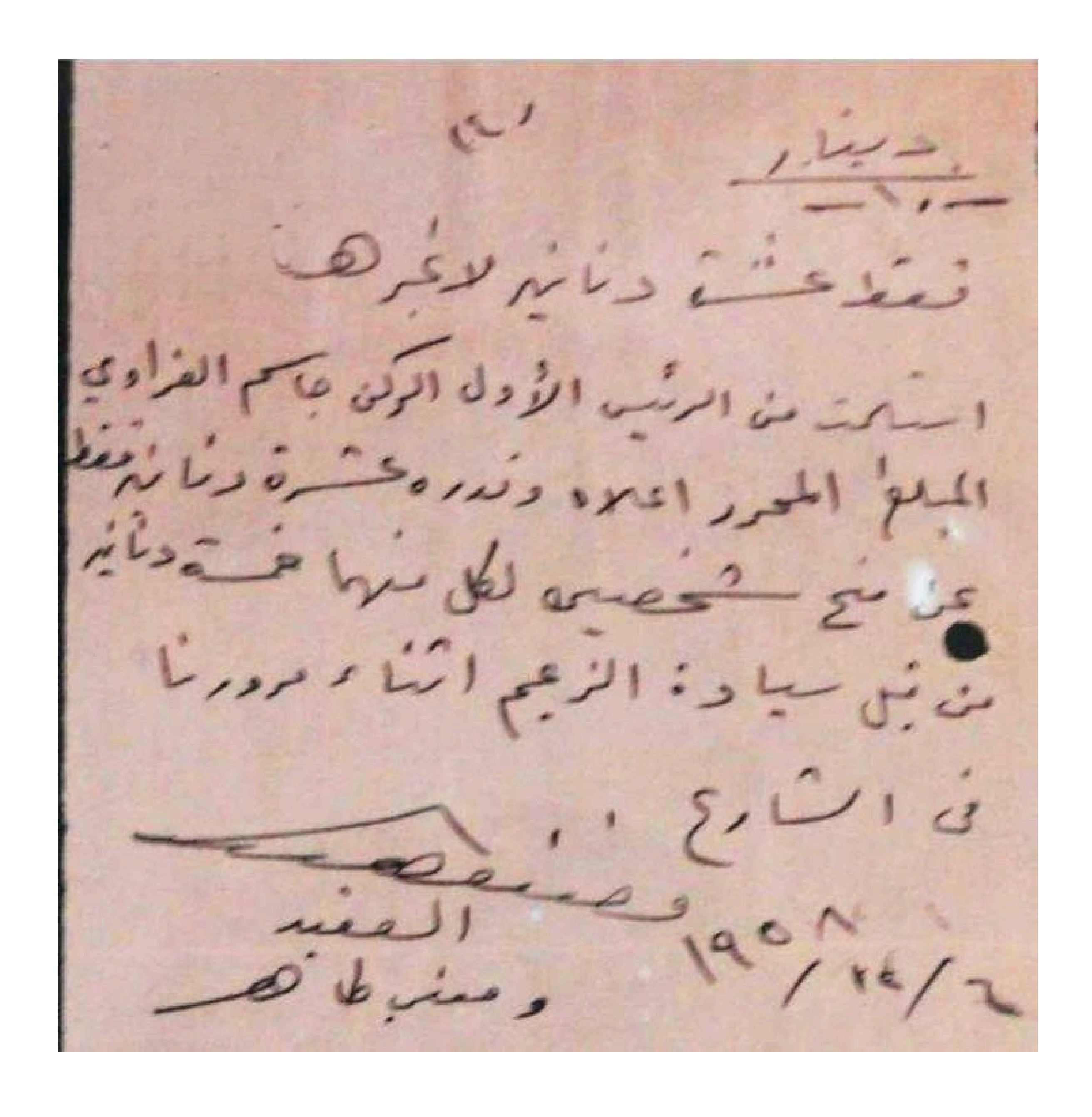
وبه نستعين

سيدي الاخ الاكبر الزعيم الركن عبد الكريم قاسم المحترم

تحية اخوية خالصة صادقة

ايها الاخ العزيز – ها انا اعود لكتابة اليك وانا بين يديك

وثيقة بخط يد وصفي طاهر جاء فيها ، استلام مبلغ نقدي من جاسم العزاوي سكرتير الزعيم قدره ١٠ دنانير لكون الزعيم اعطاها لبعض الناس اثناء مروره في الشارع وكان كثيرا ما يرى المحتاجين والصغار الفقراء فيمد يده الى جيبه ليعطيهم من ماله الخاص



(٢)

دينار
١٠/-

نقدا عشرة دنانير لا غيرها

استلمت من الرئيس الأول الركن جاسم العزاوي
المبلغ المحرر اعلاه وقدره عشرة دنانير فقط
عن منح شخصية لكل منهما خمسة دنانير
من قبل سيادة الزعيم اثناء مرورنا
في الشارع ،،

المعتمد
وصفي طاهر
٢/٢٤/ ١٩٥٨

وثيقة تبين مصادرة أراضي الإقطاع من قبل الزعيم عبد الكريم قاسم تطبيقا لقانون الإصلاح الزراعي. ، والوثيقة تبين اسم والد عادل عبد المهدي المشمول بمصادرة اراضيه

٤ ـ عبدالمهدي حسن المنتفكي
٥ ـ ورثة حسن السيد ناصر المنتفكي
٦ ـ خيون العبيد
٧ ـ هلامة الحمادى
٨ ـ عبدالغنى الحاج حمادى
٩ ـ ورثة فتاح الحبيب

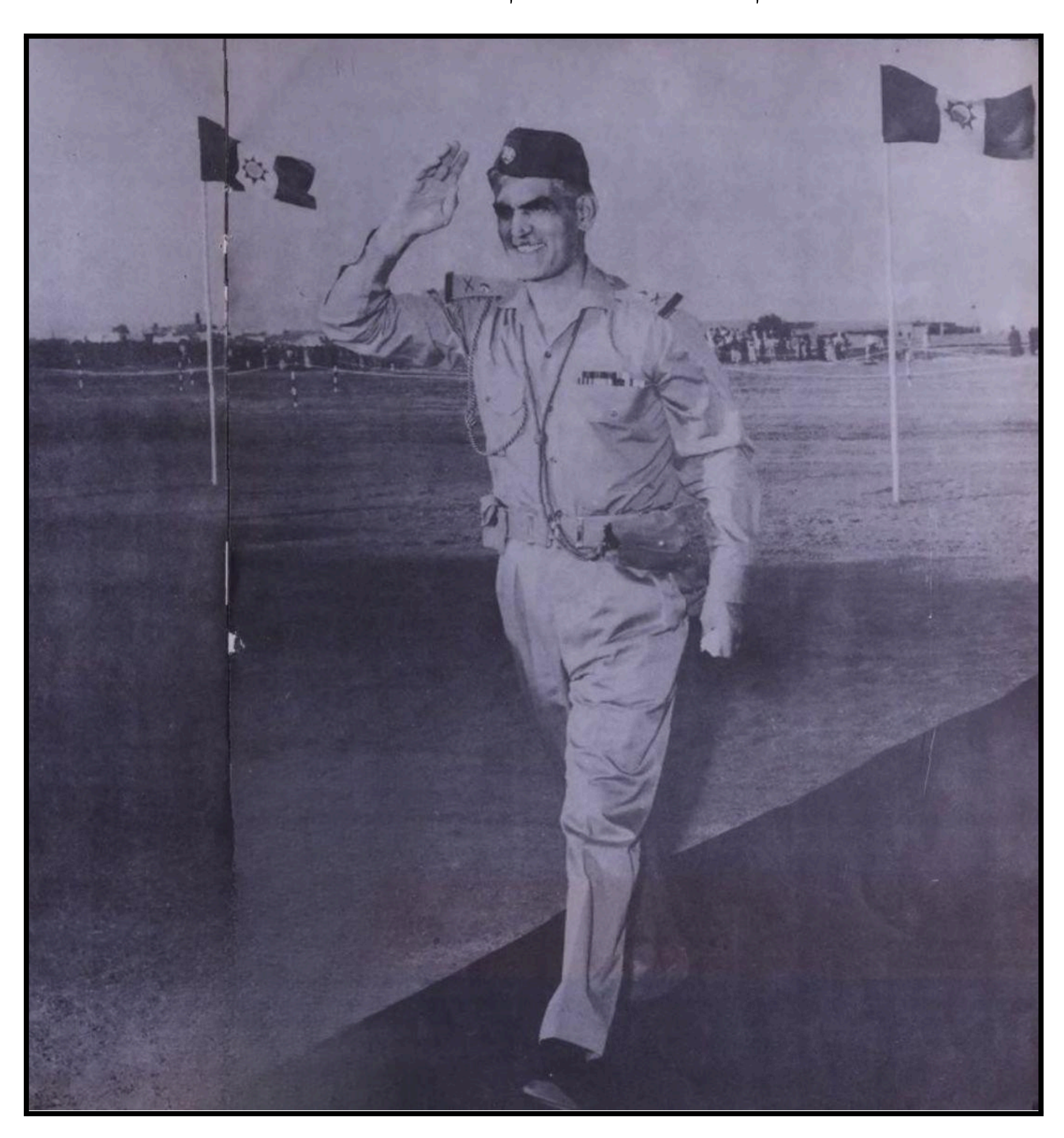
آ ـ عبد فتاح الحبيب
ب ـ سعد فتاح الحبيب
ج ـ عباس فتاح الحبيب

١٠ ـ حمادى اليوسف
١١ ـ حامد رجب النقيب

ينفذ هذا القرار من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية

الزعيم الركن
عبدالكريم قاسم
رئيس الهيئة العليا للاصلاح الزراعي
رئيس الوزراء

الزعيم عبد الكريم قاسم يفتتح قناة الجيش



صورة نادرة تجمع الزعيم عبد الكريم قاسم مع عبد الكريم الجدة بعد نجاة الزعيم من محاولة اغتياله الفاشلة



الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول / حياته ونشأته	١١
الفصل الثاني / الضباط الأحرار ومحاولات التغيير قبل ١٤ تموز	٨٧
الفصل الثالث / قاسم يفجر الثورة أخيراً	١٧٠
الفصل الرابع / من صرائف إلى دور	٢٧٦
الفصل الخامس / الانشقاق	٣٠٦
الفصل السادس / قضايا مختلفة في نظام قاسم	٣٤٨
الفصل السابع / إنقلاب ٨ شباط والنهاية	٤٠٤
الفصل الثامن / آراء وخواطر عن الزعيم قاسم والثورة	٤٨٠
ملاحق للصور والوثائق	٥٠٧